سلسلة ذخائر الجمعية



رسالة المسلمين في بلاد الغرب

فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي

الدكتور أحمد جاء بالله — الأستاذ أحمد الراوي

الشيخ راشد الغنوشي — الشيخ عبدالله الجديع

الدكتور عزام التميمي — الدكتور عصام البشير

الشيخ فيصل مولوي — الدكتور كمال الهلباوي

الأستاذ مصطفى الطحان

إعداد وتحرير

مجدي عقيل أبو شمالة

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

دار الأمل للنشر والتوزيع

رسالة المسلمين في بلاد الغرب

سلسلة ذخائر الجمعيّة

رسالة المسلمين في بلاد الغرب

إعداد وتحرير

مجدي عقيل أبو شمالة

دار الأمل

للنشر والتوزيع

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٠/٨/٢٣٩٩)

رقم التصنيف : ٢١٥,١

المؤلف ومن هو في حكمه : مجدي عقيل

عنــوان الكتـــاب : رسالة الاسلام في بلاد الغرب / مجدي عقيل أبو شماله

ر . أ (٢٣٩٩ / ٨ / ٢٠٠)

الموضوع الرئيسي : ١ - الاسلام

بيـانـــات النشـــر : . - اربد : دار الأمل ، ٢٠٠٠

× تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبه الوطنيـة

شكر وعرفان

تتقدم جمعية الطلبة المسلمين
في المملكة المتحدة وآيرلندا

بخالص الشكر والعرفان لسمو الشيخ حمدان بن راشد آل مكتوم لدعمه المستمر لأنشطة الجمعية خاصة وللمؤسسات الخيرية في أوربا عامة والذي بفضله ظهر هذا الكتاب ليكون في متناول القارئ العربي في الشرق والغرب.

وإننا إذ نقدر ونثمن الجهود المتعددة لسموه في مجالات الخير المختلفة لنسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزيه عنا وعن المسلمين خير الجزاء ، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته يوم القيامة.

مجدي عقيل أبو شمالة
رئيس الجمعية

الفهرس

مقدمة

الحمد لله على نعمة الايمان به ، وشرف الاسلام له ، ونشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وبعد :
فلقد تزامن إنشاء جمعية الطلبة المسلمين في المملكة المتحدة وآيرلندآ المعروفة باسم :

(Muslim Students Society in the UK and Ireland)

M.S.S

مع قدوم الطلائع الأولى من الشباب العربي للدراسة في بريطانيا في بداية الستينات من هذا القرن . فقد أنشئت الجمعية سنة ١٩٦١م في بريطانيا لتقوم بمهمتين رئيسيتين هما :

١ - القيام برعاية الطلاب الوافدين من العالم العربي وحفظهم من الضياع في أتون الغرب المادي الإباحي .

٢ -الاضطلاع بنشر الدعوة الإسلامية بين الجالية المسلمة وكذلك غير المسلمين في المجتمع البريطاني والآيرلندي .

ونحسب أن الجمعية نجحت في تحقيق هذين الهدفين نجاحاً كبيراً ، رغم ما يعترض العمل في بلاد الغرب من عقبات ومشاكل تنوء بحملها الجبال الرواسي ، وليس أدل على ذلك من هذا العدد الكبير من الشباب الذين احتضنتهم الجمعية وتربوا في ظل أهدافها النبيلة وحملوا شهادات الدكتوراة ، وعادوا إلى بلادهم ليقودوا مسيرة العلم والثقافة والدعوة إلى الله عز وجل ، وقد احتل الكثير منهم مناصب وزارية أو أصبحوا أعضاءً في برلمانات بلادهم ، أو رؤساء جامعات أو أصحاب رسالة دعوية .

ولقد رفعت الجمعية شعار :

﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾

وكان من أهدافها التى وردت في دستورها مايلي :

١ -جمع الشباب المسلم على الإسلام عقيدةً وسلوكاً ومنهج حياة .
٢- العمل على صياغة الشخصية المسلمة وتربيتها تربيةً إسلامية .
٣- العمل على سد حاجات الشباب المسلم ثقافياً وروحياً ومساعدتهم على التحصيل العلمي في جو إسلامي .
٤- تهيئة أعضائها للإسهام في بناء المجتمع الإسلامي .
٥- التعاون مع الجمعيات والجاليات والمؤسسات الإسلامية الأخرى بما يحقق وحدة العمل الإسلامي .
٦- دعم الجمعيات الإسلامية العلمية وتشجيعها .
٧- مناصرة القضايا الإسلامية أينما كانت .

وهي عضو في عدة مؤسسات عالمية مثل:

*- الندوة العالمية للشباب الاسلامي في المملكة العربية السعودية : (WAMY)
*- اتحاد المنظمات الاسلامية في أوروبا : (FIOE)
*- المجلس الاسلامي البريطاني : (MCB)

ومع مرور الزمن وتتابع السنين، تزايدت أعداد المهاجرين العرب الذين آثروا الاستقرار لأسباب مختلفة في بلاد الغرب. فأصبحت الجالية العربية تتشكل من كتلتين :

- كتلة الطلبة الذين جاءوا للدراسة لفترة معلومة .
- كتلة العائلات العربية التي استقرت في الغرب بصفة دائمة .

ولمواجهة هذا الوضع تفرعت أنشطة الجمعية لتشمل هؤلاء وهؤلاء ، فكان لها نشاط في الكثير من المراكز الإسلامية والجامعات في مختلف المدن البريطانية والآيرلندية .

ولكن النشاط المتميز للجمعية على امتداد الثمانية والثلاثين عاماً من عمرها هو المؤتمر السنوى في الشتاء والمخيم السنوى في الصيف ليجمع

الطلاب وأبناء الجالية أيضاً حيث يدعى للمؤتمر كبار العلماء ، والمفكرون ، والمثقفون في العالم الإسلامي ، ليساهموا في ترسيخ العقيدة الإسلامية لدى أبناء الجالية وتثقيفهم لترسيخ المعاني الإسلامية في وجدانهم . ومن هؤلاء العلماء و المفكرين من رحل عنا وانتقل إلى رحمةالله مثل : الشيخ/ عبدالفتاح ابو غدة والشيخ/ محمد الغزالي والشيخ الدكتور / عبد الله عزام والشيخ/ محمد الصواف، والأستاذ/ عبد الحليم أبو شقة، عليهم رحمة الله جمعياً . ومنهم من لم يستطع الحضور فكان يرسل بكلمتة مطبوعة أو مسجلة على شريط مثل الشيخ/ عبدالحميد كشك عليه رحمة الله ، والشيخ/ أحمد ياسين أطال الله عمره. والكثير منهم مازال شعلة في مجال الدعوة الإسلامية ، وعدد كبير يصعب حصره .

ومع الأسف فإن هذا التراث الهائل من المحاضرات والبحوث التى ألقاها هذا الكم الهائل من العلماء والمفكرين من عشرات السنين لم يتم حفظه بالكامل ، فلم يتم توثيقه وتسجيله إلا في فترة متأخرة ، حيث تم تسجيل المحاضرات على أشرطة كاسيت أو فيديو ولكنها بقيت حبيسة تلك الأشرطة .

وبفضل الله سبحانه وتعالى أولاً ، ثم بفضل سمو الشيخ حمدان بن راشد آل مكتوم ، وكذلك بفضل رئيس هيئة المكتوم الخيرية سعادة الأستاذ/ ميرزا الصايغ ، تم البدء في مشروع إصدار سلسلة من الكتب تحتوئ على المحاضرات التى ألقيت في مؤتمرات ومخيمات الجمعية ، حيث يتم تجميع المحاضرات التى تتناول موضوعاً معيناً ليتم إصدارها في كتاب خاص .

وقدآثرنا في الجمعية البدء في إصدار الكتاب الأول الذى يحمل عنوان :

(رسالة المسلمين في بلاد الغرب)

لأننا نرى أن هذا الموضوع جدير بالدراسة والبحث ، وأن مواضيع الكتاب هى رائدة في هذا المجال، ولكن القضية تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث والتأصيل الشرعي لقضايا الجالية في المجالات الفقهية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية .

وسيتبع هذا الكتاب سلسلة من الكتب في مواضيع مختلفة إن شاء الله . وقد راعينا عند ترتيب مواضيع هذا الكتاب أن تكون حسب الترتيب الأبجدي لأسماء المحاضرين مع الاستثناء الخاص لفضيلة الشيخ الدكتور/ يوسف القرضاوي ، نظراً لمكانته الخاصة في العالم الاسلامي. فإن أصبنا فمن الله وإن أخطانا فمن أنفسنا .

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نذكر بالخير، ونعترف بالفضل لأولئك الرواد الذين أسسوا الجمعية، وقاموا على شؤون الدعوة في هذه البلاد، وبذلوا من وقتهم ومالهم وجهدهم الكثير الكثير، سواءً كانوا رؤساءً أو جنوداً مجهولين سهروا الليالي الطوال يعدون لمؤتمراتها ،أو يجهزون لمخيماتها ، أو يصدرون نشراتها ومجلاتها، . . . إلى أولئك الأفذاذ ، نتوجه لهم بالشكر، ونسأل الله العظيم أن يكتب لهم الأجر والثواب .

﴿ فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره ﴾

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مجدي عقيل أبو شمالة

رئيس الجمعية

أغسطس – سنة ١٩٩٩

بريطانيا–مانشستر

المبحث الأول

الإنفتاح على الغرب

مقتضياته وشروطه

فضيلة الشيخ الدكتور / يوسف القرضاوي

الإنفتاح على الغرب : مقتضياته وشروطه

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، وأزكى صلوات الله و تسليماته على معلم الناس الخير وهادي البشرية إلى الرشد وقائد الخلق إلى الحق ومخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه والذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أو لئك هم المفلحون ورضى الله عمن دعا بدعوته واهتدى بسنته وجاهد جهاده إلى يوم الدين .

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل كلامنا هذا خالصا لوجهه وأن يعلمنا ما ينفعنا في ديننا ودنيانا وأن يجعلنا ممن قال الله فيهم :

﴿ فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب. ﴾ (١)

١- الزمر :١٧- ١٨

الإنفتاح على الغرب : مقتضياته وشروطه

انفتاح الإسلام على العالم

إن من طبيعة الإسلام أنه دين منفتح ، وليس ديناً منغلقا ، لا على الغرب ولا على الشرق، ومن طبيعة الإسلام أنه دين انتشارى ، دين يخاطب الناس كافة والعالم كله ﴿ **وما أرسلنك إلا رحمة للعالمين**﴾[1] ﴿ **تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا**﴾[2] ﴿**قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً** ﴾[3]

وهذا ثابت في القرآن المكي ، وفي الآيات التي تحدثت عن عالمية الإسلام ، فكلها آيات مكية مما يدل على أن الإسلام من أول يوم يعرف وجهته ، ويعرف طريقه ، وأنه جاء للعالم كله ، ولايفرق الإسلام بين شرق وغرب ، لأن الأرض كلها لله ، والكون كله ملك لله عزوجل ، والله تعالى يقول: ﴿ **ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله**﴾[4]

فلا يفرق الإسلام بين الناس بسبب أوطانهم أو بسبب إقليمهم من الناحية الجغرافية كما لايفرق بين الناس بعضهم وبعض بالأسباب التي عرفها الناس مفرقة بين البشر ، ن العنصر ، واللون ، أو

١- الأنبياء : ١٠٧
٢-الفرقان : ١
٣-الأعراف : ١٥٨
٤- البقرة : ١١٥

اللسان، أو الإقليم ، أو الطبقة ، كل هذه الأشياء لايعتبرها الإسلام إنما ينظر للإنسان من حيث هو إنسان فلايعتبر هذه الأشياء التي يعتبرها الناس مفرقة بين البشر ، إلا أنها آية من الآيات كما قال تعالى : ﴿ **ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين** ﴾[1] ومن هنا فنحن ليس عندنا مشكلة غرب وشرق ، فالأصل أننا ننفتح على العالم كله.

تحفظ بعض المسلمين على الغرب

وكل مافي الأمر : أن بعض المسلمين قد يتحفظون على التعامل مع الغرب من كثرة ماأساء الغرب إلى الإسلام ، ولعل هذا من جراء الصراعات الطويلة التي حدثت في الماضي ، فإننا نعرف الحروب الصليبية وماجرى فيها من دماء تسفك ، ومن حرمات تهتك ، ومن مساجد تدمر ، ومن بيوت تحرق، وغير ذلك مما تشيب له الولدان ، وتقشعر من هوله الأبدان ، ولكن هذا زمن مضي .

ثم جاء الإستعمار الغربي الحديث الذي احتل ديار المسلمين ، ولم يسلم منه إلا وطن أو وطنان - مثل المملكة العربية السعودية واليمن - وكل بلاد المسلمين أصيبت بهذا الإستعمار ، وكانت كل بلاد المسلمين أصيبت بهذا الإستعمار وكانت التجربة قاسية ومريرة .

١-الروم : ٢٢

ولقد ظل الصراع دهرا حتى تحررت أوطان المسلمين من الاستعمار العسكري على الأقل ، وحمل عصاه ورحل عن أوطان الإسلام ، وإن كان الآن يحاول أن يعود بوجه جديد ، ولون جديد ، وسلاح جديد ، ليؤثر في الأوطان الإسلامية ، وليحاول أن يجرها إلى مايريد . ، ويفرض عليها ما يريد .

فهذه العلاقات المتوترة خلال القرون السابقة ، وخلال ما يجري اليوم ، هى التي جعلت بعض المسلمين يتحفظ على الإنفتاح على الغرب ويرى فيه عدوا لدودا وخصوصا في الأزمنة الأخيرة حيث وقف الغرب ضد قضايا المسلمين المختلفة ، وكلما ولدت قضية إسلامية وجدنا الغرب يقف ضدها ، وأعظمها وأبرزها قضية الإسلام المحورية ، القضية الأولى ، وهي : قضية فلسطين أرض النبوات ، والأرض المقدسة ، أرض المسجد الأقصى .

وقد وقف الغرب مع الصهيونية العالمية ، بل هو الذي زرع هذه الصهيونية ورعاها وتعهدها بالسقي والتسميد ، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه ، حتى قامت إسرائيل وأعلن الغرب أن إسرائيل خلقت لتبقى ، ولازال الغرب يمد إسرائيل إلي اليوم بكل ما تحتاجه .

فهذه أيضا من الأشياء التي جعلت بعض المسلمين يتحفظون علي التعامل مع الغرب ، ولكننا برغم هذا كله فنحن بحكم ديننا وبمقتضى إيماننا بهذا الدين ، نتفتح على الغرب .

فلسفة الإسلام تجاه البشرية

نحن ننفتح على العالم جميعا ، ومقتضيات هذا أننا نعتقد أن البشرية كلها أسرة واحدة ، هذه هى فلسفة الإسلام التي ينظر بها إلى البشرية باعتبارها أسرة آدمية جمع بينها عاملان أساسيان هما :
العبودية لله ، والنبوة لآدم . وهذا ما أعلنه رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام في أعظم محفل في حجة الوداع أمام الجموع الحاشدة فقال :
﴿أيها الناس ،إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لأدم وآدم من تراب ، لافضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى "إن أكرمكم عند الله أتقاكم " ﴾(1)

إن ربكم واحد وإن أباكم واحد. . . هنا العبودية لله والبنوة لآدم ، هي أساس هذه الأسرة البشرية ، فالاسلام ينظر إلى البشرية هذه النظرة الإنسانية ويعتبر أن هناك أخوة انسانية تجمع بين البشر وهذا مارواه الإمام أحمد وأبوداوود عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ كان يقول في دبر (أي عقب) كل صلاة :
﴿اللهم ربنا ورب كل شيئ ومليكه ، أنا شهيد أنك الله وحدك لاشريك لك ، اللهم ربنا ورب كل شيئ ومليكه أنا شهيد أن محمد عبدك ورسولك ، اللهم ربنا ورب كل شئ ومليكه أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة ﴾
هكذا أعلن الرسول ﷺ هذه الشهادات الثلاث :

١-رواه احمد في مسنده

شهادة لله بالوحدانية ، شهادة لمحمد بالعبودية والرسالة ، وشهادة للبشر كلهم بأنهم إخوة. هذه أخوة عامة وبعض المتدينين يقول كيف هذا والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾[١]

ويقول ﷺ : (المسلم أخو المسلم) متفق عليه . هذا صحيح ، هناك الأخوة الدينية وهى أجمع هذه الأخوات وأعمقها ، ولكن هناك أكثر من أخوّة . حينما كنت أقول مرة في مصر : (إخواننا الأقباط) ، اعترض على بعض المتدينين وقال: (كيف تقول إخواننا الأقباط ، نحن نقول : إخواننا المسلمون ، أما الأقباط فليسوا إخواننا !!)

قلت : هم إخواننا في الوطن ، أو إخواننا في القومية ، فالله سبحانه وتعالى قال:

﴿كذبت قوم نوح المرسلين إذ قال لهم أخوهم نوح﴾[٢]

﴿كذبت عاد المرسلين إذ قال لهم أخوهم هود ﴾[٣]

﴿كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ﴾[٤]

﴿كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ﴾[٥]

كيف يقول عن النبي (أخوهم) وقد كذبوه وكفروا به وجحدوا برسالته؟! لأنه منهم ومن قومهم. كما قال مؤمن آل فرعون :

١- الحجرات : ٩
٢- الشعراء : ١٠٥
٣-الشعراء : ١٢٣
٤-الشعراء : ١٤١
٥-الشعراء : ١٦٠

﴿ياقوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد .... ياقوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار﴾[1]
فهذه أخوة قومية ، وهناك أيضاً أخوة بشرية ، كما رأينا .

مقتضيات الانفتاح على الغرب

هناك موجبات شتى ، ومقتضيات عدة للانفتاح على الغرب ، لا يجوز لنا أن نغفلها في حديثنا : ضرورة التعارف بين الشعوب .

إننا يجب أن ننفتح على العالم ، وأول مقتضيات الإنفتاح هو وحدة الأصل البشري ، فالبشر جميعا أسرة واحدة : و ما داموا أسرة واحدة فالتعارف واجب بينهم ، وهذا ما أعلنه القرآن بصراحة حينما قال :
﴿ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلنكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾[2]

فالتعارف لابد منه بين قبائل البشر وشعوب البشر المختلفة ، فعليهم أن يتعارفوا ولا يتناكروا ، حتى يستطيعوا معاً أن يؤدوا مهمتهم على ظهر الأرض ، كما أراد الله تعالى منهم .

عالمية الإسلام

ومن ناحية أخرى فإن الإسلام دعوة عالمية ، جاء يدعو الناس جميعا ، فمن المعروف أن اليهودية دين منغلق على أهله ، ولكن الإسلام جاد

١-غافر : ٣٨ - ٤١
٢-الحجرات : ١٣

دعوة عالمية ، للعالم كله ، وكما قلت لكم فإن الإسلام من أول يوم جاء يعلن عالمية الدعوة ، ويعلن أنه للناس ، كل الناس . وعند أول فرصة أتيحت للرسول ﷺ دعا ملوك العالم وأمراءه : دعا كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس في مصر وأمراء الشام وغير هؤلاء، دعاهم إلى الإسلام ، وكان يختم رسائله إلى أهل الكتاب بالآية الكريمة :

﴿ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ﴾(١)

دعا لتحرير البشر من عبودية غير الله ، ومن عبودية الإنسان للإنسان :

﴿ لايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ﴾

فلايجوز أن يعبِّد الناس أنفسهم لا لأهل الدنيا ولا لأهل الدين ، لا للملوك و الكبراء ، ولا للأحبار والرهبان ، وقد عاب الله على أهل الكتاب أنهم : **﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً ﴾**(٢)

فدعوة الإسلام دعوة عالمية ، والمسلمون مطالبون بأن يدعوا العالم كله إلى رسالة التوحيد والإخاء والعدل والوسطية : رسالة الإسلام . وإنني أعتقد أن ضلال كثير من الأمم سيسأل عنها المسلمون أمام الله يوم القيامة، لأنهم لم يبلغوا إليهم رسالة الإسلام .

تبليغ الدعوة إلى الناس :

١- آل عمران : ٦٤

٢- التوبة : ٣١

هناك مئات الملايين من الناس لايعرفون عن الإسلام شيئاً ، يعيشون ويموتون ولم يعرفوا شيئاً عن الإسلام ، وهناك مئات ملايين أخرى تعرف عن الإسلام عكس مايدعو إليه ، فكل ماعندهم عن الإسلام صور شائهة ، لفقها خصوم الإسلام ليقبحوا وجهه ويلطخوا سمعته عند الأمم ، فهؤلاء معذورون ، لأنه لم تبلغهم دعوة الإسلام بلوغاً مشوقاً يحمل على البحث والنظر في هذه الدعوة ، فنحن بحكم دعوتنا العالمية مطالبون بأن ننفتح على هؤلاء لنبين لهم بلسانهم حقيقة الإسلام ، وندفع عنه الشبهات والمفتريات ، كما أننا مطالبون بأن ننفتح على الغرب لندعوه ونقترب منه . أما إذا أغلقنا الجسور بيننا وبين الناس فلن تحدث دعوة، فالدعوة نتيجة الإنفتاح ولذلك لابد أن ننفتح على الغرب كما ننفتح علي غيره .

وجوب الحوار مع المخالفين بالحسنى

ومن ناحية أخرى نحن مأمورون بالحوار ، وليس أى حوار ، ولكن الحوار بالحسنى ، هو فرض فرضه الله تعالى علينا ، فالقرآن يعبر عن هذا بالجدال بالتى هي أحسن : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنه، وجادلهم بالتى هي أحسن** ﴾[1]

ومعنى (التي هى أحسن) يعنى الطريقة التى هى أفضل الطرق وأجودها وأقربها للوصول إلى العقول والقلوب ، بمعنى أنه اذا كان هناك طريقتان في الجدال والحوار : طريقة حسنة جيدة ، وطريقة أحسن منها وأجود .

١-النحل : ١٢٥

فنحن باعتبارنا مسلمين مطالبون بأن نحاور بالطريقة التي هى أحسن وأجود. والقرآن ذكر لنا نماذج من ذلك حتى في خطاب المشركين فالله تعالى يقول: ﴿ وإنا أوإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾ (١) علم الرسول ﷺ أن يخاطب المشركين ويقول : وإنا أو إياكم - أي أحد الفريقين - نحن أو أنتم على هدى أو في ضلال مبين .

هل يشكك القرآن في الرسول أنه ﷺ على الهدى ؟ لا ، لكن يريد أن يقرب هؤلاء و يرخى لهم العنان حتى يقتربوا من الإسلام، فيخاطبهم بهذه الصيغة : ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ وبعدها يقول: ﴿ قل لاتسألون عما أجرمنا ولانسأل عما تعملون﴾(٢) كان مقتضى المقابلة أن يقول : قل لاتسألون عما أجرمنا ولانسأل عما تجرمون ، ولكن نسب الإجرام الى نفسه ولم يرض أن ينسب الإجرام اليهم ، حتى لايوغر صدورهم و حتي يقرب قلوبهم ، وحتى يؤنسهم بالاسلام ، فقال : "قل لاتسألون عما أجرمنا ولانسأل عما تعملون " وليس عما تجرمون . فهذا هو الحوار أو الجدال بالتى هى أحسن ، نحن مطالبون أن نحاور العالم بأرق الأساليب وألطفها ما استطعنا . والمقابل في الآية التي رسمت منهج الدعوة للمسلمين ، يجدها تقول :

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾

فاكتفي في الموعظة ان تكون حسنة ولم يكتف بالجدال إلا أن يكون بالتى هى أحسن لماذا ؟ لأن الموعظة مع الموافقين ، والجدال مع المخالفين ،

١-سبأ : ٢٤
٢- سبأ : ٢٥

والموافق يكفي أن تحدثه بالموعظة الحسنة ، أما المخالف فلا ، لابد أن يكون بالتى هي أحسن ، فهذا أيضاً من الأشياء المطلوبة في التعامل مع غير المسلمين .

منزلة خاصة لأهل الكتاب

من ناحية أخرى نحن مطالبون بالتعامل الأفضل بالنسبة لأهل الكتاب أكثر من غيرهم ، نحن نعلم أن أهل الكتاب لهم ميزة خاصة في الإسلام . والقرآن يخاطبهم بهذا العنوان الرفيق الندى : ﴿ **ياأهل الكتاب** ﴾ ، يذكرهم بأنهم أصحاب كتاب سماوى ، إنهم ليسوا غريبين ولا بعيدين عن المسلمين ، المسلمون هم أهل القرآن ، وهم أهل الإنجيل والتوراة ، صحيح أنهم حرفوا وبدلوا ، لكنهم يتميزون أن هناك أصلاً سماوياً لهم ، لذلك أباح مؤآكلتهم ، وأباح مصاهرتهم ، حيث قال تعالى :

﴿ **وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات و المحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم** ﴾[1] فأجاز أن تؤآكلهم، وتأكل من ذبائحهم ، وأن تصاهرهم أي تتزوج منهم ، وأى سماحة أكبر من هذا وأعلى وأعمق من أن تتزوج امرأة من غير دينك ، تكون ربة بيتك وشريكة حياتك ، وموضع سرك كما عبر القرآن : ﴿ **هن لباس لكم وأنتم لباس لهم** ﴾[2] و ﴿**وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾[3]

١-المائدة : ٥

٢-البقرة :١٨٧

٣-الروم : ٢١

تكون زوجتك أم أولادك ، ويكون آباؤها أجداداً لأولادك ، وأمها جدة لأولادك ، و إخوانها أخوالاً لأولادك ، وأخواتها خالات أولادك .
معني ذلك أنه قامت مصاهرة ، وأنشئت رحم وقربى ، وقامت روابط مشتركة ، وهذه عملية تعد قمة في التسامح .

فأهل الكتاب لهم منا هذه النظرة الخاصة ولذلك ففي أوائل الإسلام ، في فجر الدعوة الإسلامية كان المسلمون قلة في مكة ولكنهم كانوا يتابعون أحداث العالم ولم يكونوا في معزل عما يجرى في أركان الدنيا ، فقام صراع بين الدولتين الكبريين في العالم في ذلك الوقت ، الدولة الشرقية : دولة الفرس في إيران ، والدولة الغربية: دولة الروم البيزنطية ، فلو كان الأمر أمراً اقليمياً لكان المفروض أن يكون الفرس هم أقرب إلى العرب لأن إيران أقرب و بينهم خليج فقط ، لكن الفرس كانوا مجوساً يعبدون النار ، والروم كانوا نصارى من أهل الكتاب، لذلك حزن المسلمون حينما إنتصر الفرس على الروم، وفرح المشركون ، وقامت معركة جدلية بين الفريقين ، ونزلت آيات في أوائل سورة الروم : تفصل في الأمر ، وتبشر المؤمنين بأن انتصار الفرس لن يطول ، وأن الروم سيغلبون :

﴿ لم ، غلبت الروم في أدني الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون، في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾(١)

١-الروم : ١ - ٥

ففرح المسلمون حينما انتصر الروم بعد ذلك على الفرس المجوس .

ثورة الإتصالات تقرب العالم

وأمر آخر يجعل انفتاحنا على الغرب أمراً ضرورياً لا مفر منه ، ففي عصرنا حدث تقارب في العالم، نحن في عصر التقارب ، خصوصاً بعد ثورة الاتصالات ، أحد الأدباء الغربيين قال قديماً : (الشرق شرق، والغرب غرب، ولن يلتقيا)، ونحن لا نؤمن بهذا المنطق المغلق ، والذي يقوم على فطرة متعصبة .

وقد جاء بعد ذلك من يقول : (إن العالم أصبح قريتنا الكبرى) أي بالتواصل الجغرافي ووسائل المواصلات الحديثة، أصبح العالم قريتنا الكبرى، ونقول حقيقة : لم يعد العالم قرية كبرى، بل أصبح قرية صغرى، القرية الكبري ؛ لايدرى الناس في شرقها بما يدور في غربها ، فمن الممكن أن يموت الميت في القرية الكبيرة ولايعرف الناس بذلك إلا بعد يوم أو يومين، إذا كان من غير الجيران .

أما الأن فنحن نعلم ما يحدث في العالم بعد لحظات وأحياناً نتابع الأحداث وهى تحدث في التو نتابعها على التلفاز . فالعالم أصبح قرية صغيرة ، وهذا يوجب على الناس أن يحسوا أن التعايش بينهم، أصبح هذا ضرورة : التعايش بين ا لناس بعضهم وبعض ، فلم يعد أحد يستغنى عن أحد .

هنا في بريطانيا كثير من المسلمين ومن العرب ومن أهل الشرق ، منهم الذين جاءوا للدراسة ، والذين جاءوا للعلاج ، والذين جاءوا فراراً من الاضطهاد في بلادهم ، والذين جاءوا للعمل ، وهذا في كل بلد من بلدان العالم ، فما عاد هناك مكان للانعزال ، فمن يفكر في العزلة فهو يفكر تفكيراً غير ايجابي وغير سليم وغير بناء وغير واقعى ، العالم أصبح لابد أن يتعايش بعضه مع بعض ومارأيناه في السنوات الأخيرة يؤكد ذلك ، فنحن نعلم كيف كان الصراع الذى كان بين الكتلة الغربية بزعامة الولايات المتحدة والكتلة الشرقية بزعامة روسيا ، وظل هذا الصراع طويلاً ، ثم في الآونة الأخيرة قالوا لابد من عمل شئ ، وأسموه سياسة الالتعايش السلمين ، ثم بعد ذلك سياسة الوفاق ، وهكذا اقتضت ضرورات الحياة : التقارب بل الوفاق بين مبدأين متعارضين ، أو متناقضين .

التعايش : ضرورة من ضرورات الحياة

فضرورة الحياة تقتضى أن يتعايش الناس بعضهم مع بعض ، ونحن ليس عندنا مانع من ديننا أن نعايش الآخرين ماداموا يقرون بحقنا في الحياة .

ولقد تحدثنا عن المقتضيات ، فلابد أن نتحدث شيئاً عن شروط الانفتاح وهى شروط في الحقيقة ليست لايجاد الانفتاح ، ولكن لنجاح الإنفتاح .

شروط الإنفتاح :

أولاً : تخلي الغرب عن عداوته لنا

لنجاح الإنفتاح بيننا وبين الغرب لابد أن يتخلى الغرب عن عداوته لنا ، فالغرب
- للأسف - تحكمه أحقاد قديمة ، ومخاوف جديدة بالنسبة لنا ، الأحقاد الصليبية لازالت تحكم الغرب وهذه أحياناً يكتمها السياسيون ويعبر عنها العسكريون ، كما قال العسكريون في حرب البوسنة : (نحن فرسان الصليب، نحن ندافع عن الغرب كما دافع فرسان الصليب بالأمس) وحينما دخل القائد الانجليزي اللنبي سنة ١٩١٧ مدينة القدس قال كلمته الشهيرة : (اليوم انتهت الحروب الصليبية)وحينما دخل القائد الفرنسى (غورو) مدينة دمشق ووقف عند قبر صلاح الدين الأيوبي قال بشماته : (ها قد عدنا ياصلاح الدين) .

إن هذه الروح - للأسف - لاتزال موجودة عند كثير من الغربيين . ولا يمكن أن يتم انفتاح بيننا ما دام فينا من يحمل هذه الروح ، ويعيش بهذه العقدة . لابد من التحرر من هذه العقد. فنحن أبناء اليوم لا بقايا الأمس .

ثانياً : التحرر من عقدة الخوف من الإسلام

إن المخاوف من صحوة الإسلام ومن نهضة الأمة الإسلامية يرعب الغربيين مع أن الغربيين يرحبون بنهضات الأمم المختلفة ، وبصحوات الأمم المختلفة ، إلا بالصحوة الإسلامية ، إلابصحوة الإسلام، هم

يخافون من هذا . وأنتم تعلمون ما كتب خلال السنوات الماضية خصوصاً بعد سقوط الاتحاد السوفيتي حيث كان يمثل دولة الشر كما قال (رونالد ريغان) رئيس الولايات المتحدة الأسبق ، أرادوا أن يبحثوا عن عدو جديد يعبئون المشاعر ضده ، ويحشدون الناس في مقاومته ، فلم يجدوا عدواً إلا الإسلام ، فكان الإسلام هو العدوالمرشح ليحل محل دولة الشر كما سموها أو الخطر الإسلامي ، نعم سموه الخطر الإسلامي .

وكتبت في ذلك الكتب وكتب الرجل هذا صاحب كتاب (صراع الحضارات) أن الحضارات لابد أن تتصادم ، وذكر ثماني حضارات ولكن خص منها الصدام بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية والحضارة الصينية (الكونفوشية) ، فقال إن الصراع لابد أن يحدث مع هذه الحضارة وبين الحضارة الغربية . لماذا يا أخى ؟! لماذا لايكون كما قال (روجيه جارودى) : (حوار الحضارات وليس صدام الحضارات أوصراع الحضارات) هل هو صراع فكرى ثقافي أو صراع عسكرى سياسي ؟!

فإن كان صراعاً فكرياً فلا مانع من هذا فنحن نرحب بأى صراع فكرى ، و كل إنسان يدلى بما عنده ويقيم حجته ، والبقاء في النهاية للأصلح كما قال تعالى : ﴿ **فأما الزبد فيذهب جفاءً ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض**﴾ (1)

ولكننا نؤثر أن نسميه (حواراً) أو (تفاعلاً) بين الحضارات ، فإن

١-الرعد . ١٧

العبارات الرفيقة لها اعتباراتها في التقريب بين البشر .

ثالثاً : عدم فرض الحضارة بالقوة

كما نريد من الغرب كذلك ، لا يدلّ علينا بقوته المادية ، ويرهبنا بها ، فلسنا عبيداً نساق بالعصا ، نريد أن لا تتدخل القوة وغرور القوة وفرض الحضارة على الأخرين بالقوة المادية وبالسلاح القهرى ، فهذا ما نرفضه ، بل نريد أن نتعامل تعامل الأحرار بعصهم مع بعض ، لقد سمّوا الخطر الإسلامي (الخطر الأخضر)، لأنه بعد أن زال (الخطر الأحمر) الخطر الشيوعي الروسي ، بزوال الإتحاد السوفيتي ، وتقارب الغرب مع (الخطر الأصفر) الخطر الصينى ، لم يبق الا الخطر الأخضر ، وهو الخطر الإسلامي ، ونحن نقول أن الإسلام ليس خطراً ، إن الإسلام رحمة الله للعالمين .

إن الاسلام خطر على المادية والإلحاد ، وخطر على الظلم والاستعباد، وخطر على الإباحية والفساد ، ولكنه ليس خطراً على الإنسانية ، وليس خطراً على القيم والفضائل، وليس خطراً علي العدالة والحرية وحقوق الإنسان.

فنحن نريد من الغرب إذا كان يريد أن ننفتح عليه إنفتاح الند للند ، وأن نتعاون معاً لبناء مستقبل جديد للبشرية : أن نتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

إن أول ما نشترط هو أن يتخلى الغرب عن عدواته لنا ، عدواته التي تحركها الأحقاد القديمة والمخاوف الجديدة .

رابعاً : التخلي عن الأطماع في ثرواتنا

ونريد من الغرب ايضاً أن يتخلى عن أطماعه فينا فقد انتهى عصر الإستعمار، ويكفى الغرب مانهب من ثرواتنا وما أخذ من بلادنا، فما صنعه الغرب في بلاده من حضارة وعمران قد استفاد فيه من بلاد الشرق، فيكفيه ما أخذ ، ويكفيه ما نهب ، ولنبدأ صفحةً جديدة . ولوطالبنا الغرب بما أخذه من بلادنا لأفلس ، ولكننا لانطالب « فمافات مات »ولنبدأ صفحة جديدة وليتخل الغرب عن أطماعه في ثرواتنا .

إن الغرب يريد أن يأخذ ثرواتنا بأرخص الأسعار ثم يصنعها ويعيدها إلينا ليبيعها بأغلى الأسعار . فالبترول الذى يملكه العرب والمسلمون ، الغرب يريد أن يأخذ هذه الثروة بأقل من ما يمكن ثم يصنعها ويعيدها لنا بأغلى ما يمكن ، أهذا عدل ؟!

فنحن نريد من الغرب اذا كنا نريد أن ننفتح ، أو ينفتح بعضنا على بعض، أن يكون عادلاً في تعامله الاقتصادى معنا .

خامساً : أن يتخلى الغرب عن استعلائه

من ناحية أخرى نريد من الغرب أن يتخلى عن استعلائة علينا، فالغرب ينظر الى نفسه أنه سيد العالم ، وحتى في نظرته للتاريخ يريد أن يقسم

التاريخ، ويصنف التاريخ على أساس غربي، العصور القديمة - العصور الوسطى (عصور الظلام) والعصور الحديثة ، ويجعلنا نحن في العصور الوسطى .

إن العصور الذهبيه الإسلامية هي التى أقامت حضارة شامخة، جمعت بين العلم والإيمان وبين الرقى الحضاري والسمو الأخلاقي ، ووحدت بين الروح والمادة، وربطت بين الأرض والسماء، هذه الفترة الذهبية كانت في القرون الوسطى -قرون الظلام في الغرب.

إننا نريد من الغرب أن يتخلى عن النظرة الاستعلائيه التى كانت عند الرومان قديماً حينما قسموا العالم قديماً الى رومان وبرابرة ، كل من عدا الرومان هم برابرة ومتوحشون . لا بل هناك أناس لهم إبداعات ، وأناس لهم حضارات ، وأناس لهم فلسفات ، وأناس لهم تراث، وتاريخ عريق .

الأمة الإسلامية ليست أمة عائمة أو قريبة القاع أو سطحية الجذور، إنها أمة عميقة الجذور، ففي أرضها نبتت الرسالات السماوية ، وفي أرضها قامت الحضارات المختلفة : الحضارة الفرعونية والحضارة الفنيقية ، والحضارة الآشورية ، والبابلية والكلدانية والهندية ، والفارسية وغيرها من الحضارات ، كلها قامت في أرضنا ، فنريد من الغرب أن يفهم أن ديارنا مهد الحضارات كلها ونريد من الغرب أن يتخلى عن استعلائه في النظرة الينا وأن يعاملنا معاملة الند للند .

سادساً : أن يعترف الغرب برسالتنا

ونريد من الغرب كذلك أن يعترف بذاتيتنا بأننا أناس لنا رسالة نحن لسنا أناساً دخلاء على تاريخ العالم، نحن أناس لنا تاريخ ، و نحن أصحاب رسالة، ورسالة عالمية ورسالة ربانية إنسانية أخلاقية ، لابد أن يعترف لنا بهذا وأن من حقنا أن نحقق ذاتيتنا في أرضنا . المشكله أن الغرب لايريد لنا أن نقيم إسلامنا و ننشر رسالتنا الإسلامية حتى على أرضنا الاسلامية ، ويزعجه هذا ويقلقه جداً . فما الذى يزعجكم أيها الغربيون ؟ أن يحكّم المسلمون إسلامهم على أبنائهم وبناتهم وفي ديارهم وأوطانهم ؟

إن الغربيين يزعجهم ذلك، ونحن نقول لهم ليس من العدل وليس من الخير وليس من النافع أن يحكم اللادينيون بلاد الإسلام والملحدون والمتحللون بلاد الإسلام ، بل على العكس ، من الخير أن يحكم بلاد الإسلام أهل الدين والقيم والأخلاق والفضائل ، وتتعاملوا مع أناس يحترمون عهودهم ومواثيقهم ، ويتعاملون مع البشر بأخلاقيات راقية ، وليسوا نفعيين ، وليسوا من الذين يبررون الوسائل بسبب الغاية ، و يعتبرون رسالتهم رسالة أخلاقية ، كما يعتبرون الأخلاق من شعب الايمان، ويتقربون إلى الله بالتزام الفضائل والقيم.

نريد من الغرب أن يعترف برسالتنا وبذاتيتنا وبهويتنا : أننا أصحاب هوية متميزة من حقنا أن نعيش بها وأن نعيش لها وأن نموت عليها ، وما يضره هذا .

سابعاً : أن يعترف الغرب بحقوقنا

نريد من الغرب أن يعترف بحقوقنا ولا يقف ضد حقوقنا ولا يظاهر علينا أعداءنا كما فعل مع الصهيونية ، مع اسرائيل ، ولازال يفعل إلى اليوم ، وكما نراه في كل قضية لا يقف في صف المسلمين ، رغم وضوح حقهم ، كما ظهر ذلك في قضية البوسنة والهرسك وفي قضية كوسوفو .

نحن نطالب الغرب اذا كان يريد أن نعيش معاً في أسرة بشرية متعاونة متسامحة – ونحن دعاة التسامح – أن يعترف بحقوقنا .

المسلمون متسامحون

لقد كان شيخنا محمد الغزالي – رحمه الله – يقول : (إن التسامح اختراع إسلامي) المسلمون هم الذين اخترعوا التسامح ، فلم يعرف التسامح قبل الإسلام، فنحن دعاة التسامح .

لسنا متعصبين كما يحاولون أن يصورونا ، نعم هناك بعض المسلمين متعصبون ، ولكن هذا التعصب دفع اليه تعسف الغرب وظلم الغرب ووقوفه ضد قضايانا باستمرار ، ولو أنصف الغرب ما وجد هذا التعصب، نحن متسامحون ، والتسامح قضية أساسية عندنا ، لأنها تقوم على أن الله خلق الناس مختلفين :

﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولايزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾[١]

١–هود : ١١٨

فمن يريد أن يجمع الناس على دين واحد أو مذهب واحد ، كان كمن يقف ضد المشيئة الإلهية .

ثم إن اختلاف الناس في هذه الدنيا لايحاسب عليه الناس في هذه الدنيا انما يحاسبون في الأخرة ، ، والذي يحاسبهم هو الله عزوجل :
﴿الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لاحجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا وإليه المصير﴾(١)
﴿وإن جادلوكم فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ﴾(٢) ثم من ناحية أخرى إن الإسلام يهتم بكل إنسان بغض النظر عن دينه أياً كان .

وقد روى البخارى أن النبي ﷺ مر عليه بجنازة فقام لها واقفا فقالوا : (يارسول الله ، إنها جنازة يهودى) فقال عليه الصلاة والسلام : (أليست نفساً ؟!) أي أنها نفس إنسانية وإن تكن جنازة يهودى ، وكل نفس في الإسلام لها حرمة ومكان . ثم إن الإسلام جاء بالعدل لكل الناس ، العدل مع من تحب والعدل مع من تكره .
﴿كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾(٣)

١- الشورى : ١٥
٢- الحج : ٦٨ - ٦٩
٣- النساء : ١٣٥

وفي المقابل يقول :

﴿ كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولايجرمنكم شنئآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾[١]

فهذا هو الذى جاء به الإسلام ، فهو من التسامح ، فنحن نريد أن نتعامل مع الغرب بهذه الروح المتسامحة المتفاهمة المتعاونة التى لاتعرف التعصب ولاتعرف الظلم ولاتعرف الإغتصاب ولاتعرف الإستعلاء على الآخرين وإنما تتعامل بروح إنسانية عالية ، وبأفق رحب واسع وهذا ما ندعو إليه الغرب ، وما ندعو اليه البشرية جمعاء في مشارق الأرض ومغاربها .

أسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا لما يحب ويرضى
وأستغفر الله تعالى لى ولكم
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

١- المائدة : ٨

المبحث الثاني

قواعد التعامل بين المسلمين وغيرهم في المجتمعات الأوربية

الدكتور/ أحمد جاء بالله

قواعد التعامل بين المسلمين وغيرهم في المجتمعات الأوربية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى. ولا يضر إلا نفسه ولن يضر الله شيئاً.

﴿ ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيبا﴾[1]

﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[2]

﴿ ياأيها الذين أمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما﴾[3]

١- النساء:١

٢-آل عمران: ١٠٢

٣- الاحزاب : ٧١

أمـا بعـد :

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثه بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.
نتعرض في هذه المحاضرة إلى موضوع يتصل بالقواعد التي ينبغي أن ينطلق منها المسلمون في تعاملهم مع غيرهم في هذه المجتمعات الأوروبية الي نعيش فيها، وقد أردنا أن نخصص القول عن تعامل المسلمين في المجتمعات الأوربية لما نعتقده من أن الواقع المختلف، والأعراف المتباينة، تقتضي تقديراً خاصاً. فالإسلام كما تعلمون وفي باب الإجتهاد بالذات قد أعطى إعتباراً كبيراً إلى الأعراف، وإلى اختلاف البيئات، ولذلك فقد اختلفت إجتهادات الفقهاء، بل قد تختلف إجتهادات الفقيه الواحد، من مكان إلى آخر بناءً على تغير الظروف والأعراف. هناك أصول عامة مشتركة ثابتة لاشك، ولكن هناك قضايا أخرى تقتضي إجتهاداً وللعرف وللبيئة وللواقع أثر في تكييف الإجتهاد وفي مناسبته لذلك الواقع المتغير.

أسس وقواعد للتعامل مع غير المسلمين

من الممكن تقسيم الأسس أو القواعد إلى قسمين:

أسس شرعية مستمدة من مبادئ ديننا الحنيف، ولاشك أننا في كل قضية من القضايا نريد أن نحدد فيها موقفاً إسلامياً، يجب أن ننطلق من منطلقاتنا الشرعية. ثم نعرج بعد ذلك على جملة من القواعد وهي نتيجة إدراك لمعطيات الواقع الذي نعيش فيه، أذ أنه لايمكننا أن نحدد موقفاً صحيحاً مدروساً إلا إذا كان هذا الموقف ينبني على القواعد الشرعية من جانب ينبني على استيعاب الواقع وخصائصه من جانب آخر. فليس الإسلام ديناً منفصلاً ومنعزلاً عن واقع المسلمين في المكان الذي يتحركون فيه ويعيشون فيه.

الأسس الشرعية

إن قصدنا من الأسس الشرعية هو أن يكون موقفنا شرعياً، فعندما نريد أن نتعامل مع الآخرين ننطلق من منطلق شرعي يجعلنا نطمئن إلى أن مواقفنا يقبلها الشرع وهي في دائرة ما شرعه الله عز وجل. والأمر الآخر هو أننا عندما نحدد المنطلقات الشرعية، فهذا من شأنه أن يجعل مواقفنا مواقف مبدئية تعود إلى أصول ثابتة، وليست مواقف منطلقة من ردود أفعال، أو من ميول شخصية خاصة، فليس هذا مما يليق بالمسلم عندما يحدد مواقفه تجاه أي قضية من القضايا. إن المبدئية في الفكر وفي التصور والسلوك تقتضي أن يكون المسلم دائما منطلقاً من مبادئ شرعية ثابتة، هي

التي يحكمها في علاقاته مع الناس. فإذا أردنا أن نحدد القواعد أو الأسس الشرعيه للعلاقات بين المسلمين وغيرهم فإننا يمكننا أن نركز على ثلاثة قواعد لها علاقة طبعاً بهذا الموضوع الذي نحن بصدده. القاعدة الأولى التي تحتاح منا إلى استيعاب وإلى فهم دقيق وتحتاج منا بعد ذلك إلى إبراز، لإننا عندما نريد أن نتحدث عن الإسلام في هذه المجتمعات، تعلمون أن الإسلام واسع وكبير، ويمكننا أن نعرف الإسلام من زوايا مختلفة، بعرض نظامه في العقيدة أو في تنظيم المجتمع، في إصلاح الإقتصاد، في السياسة الشرعية، كلها جوانب من الإسلام. ولكن قد تقتضي البيئة أن يركز الداعية على بعض القضايا التي تناسب الواقع الذي يتحرك فيه. وتكون هذه القضايا خير مدخل للحديث عن الإسلام في بيئة معينة.

فالدعوة الإسلامية، وهذه من القضايا التي ندرسها دائما في فقه الدعوة تقتضي من الداعية أن يأخذ بعين الإعتبار ظروف المخاطبين (بفتح الطاء)وعقلية المخاطبين، والقضايا التي تُطرح عندهم حتى يكون طرحه للإسلام متناسباً مع هذا الواقع. فالخاصية الأولى التي نعتقد أنها خاصية شرعية تحكم علاقتنا مع غير المسلمين في هذه المجتمعات، وهي تقتضي أن نُبرزها في طرحنا الإسلامي في هذه المجتمعات هي خاصية الإنسانية.

إنسانية الدعوة

كثيراً ما نتحدث ونعرف الإسلام بخصائصه العامة، ونذكر أن الانسانية هي من بين خصائصه ، فهو دين إنساني. ولكن لنعترف بأن مقدار هذا

الطرح الإنساني للإسلام في خطابنا الإسلامي اليوم، مقدار ضعيف محدود. وقد تكون ظروف المسلمين الصعبة التي يعيشونها في بلادهم وفي كل مكان، جعلتهم يحجبون هذا الجانب بحيث باتوا يشعرون بذلك أو لا يشعرون. ولكن إذا أردنا أن نكون أوفياء لديننا وعقيدتنا، فينبغي أن يكون طرحنا للإسلام طرحاً وافياً مرتبطاً بمبادئه وقواعده الأصلية. بل أن نبرز في هذه البيئة بعض الجوانب التي قد يكون في إبرازها كما يجب مدخلاً طيباً كما قلنا لتقريب الناس من هذا الدين ومن هذه العقيدة.

إذا عدنا أيها الإخوة إلى القرآن الكريم، وقد عدت إلى المعجم المفهرس[1]، واكتشفت كذلك أن القرآن الكريم قد توجه في خطابه في قسم من آياته إلى الناس جميعاً في آيات كثيرة ﴿ **ياأيها الناس**﴾، وفي آيات أخرى كان الخطاب موجهاً إلى المؤمنين، خاصةً عندما كان الأمر يتعلق بقضية الأحكام التي يفرضها الله عز وجل على المكلفين من المؤمنين. فوجدت أن القران الكريم، قد اشتمل على ٢٤٠ مرة ورد فيها الخطاب بـ﴿ **ياأيها الناس**﴾، وجاء فيه ٢٥٦ مرة الخطاب موجها إلى المؤمنين بقوله تعالى بـ ﴿**ياأيها الذين آمنوا**﴾. فقلت من العجيب فعلا أن لا تكون هذه الموازنة موجودة في خطابنا الإسلامي.

عندما نتحدث عن الإسلام أحياناً ومن حيث لا نقصد فإننا نعرضه كدين خاص لمجموعة خاصة بمعشر العرب ومن أسلم من بعض الأعاجم وغيرهم وهذا هوا لإسلام. وهذه الفكرة منتشره كما تعلمون في أوساط كثير من

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم- محمد فؤاد عبد الباقي

الغربين عندما يُعَرِّفون الإسلام أحياناً فيقولون أنه دين العرب، أو أن الله إله العرب لماذا؟ لعله من الأسباب، ولا نقول أن القضية لها سبب واحد، لكن لعله من الأسباب أن المسلمين لم يُركزوا ولم يلحوا على هذا الطرح الإنساني الذي يتوجه فيه الإسلام إلى البشرية جمعاء، و ليس عبثاً أن يأتي خطاب القران في هذه المواضع المتكررة﴿**ياأيها الناس**﴾، خطاباً إنسانياً مفتوحاً إلى البشرية جمعاء.

من هذه الآيات التي تحتاج في الحقيقة إلى وقفة كنموذج ، قول الله عز وجل في سورة الحجرات عندما يُخاطب الناس جميعاً فيقول لهم ﴿ **ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[1] وبالتأمل في هذه الآية نجد قواعد في النظرة الإنسانية، أو في خاصية الإنسانية في الإسلام تحتاج منا إلى شيئ من التوقف.

وحدة الأصل الإنساني

الأمر الأول : في قوله تعالى }**إنا خلقناكم من ذكر وأنثى**{ فهذا التركيز على مسألة مهمة يحتاج المسلم أن يدخلها في وعيه عندما يتعامل مع الناس، وهي التسليم بوحدة الأصل الإنساني، والمساواة في الصفة الإنسانية، لماذا؟ لأن الخالق واحد ﴿**ياأيها الناس إنا خلقناكم**﴾، فالله عز وجل هو الذي خلق المؤمنين ، لكن هو الذي خلق الكافرين،

١-الحجرات : ١٣

كلهم خلق لله عز وجل، ولا أحد يمكنه أن يعترض على ذلك. ثم من ﴿**ذكر وأنثى**﴾، فأصل البشرية من أب واحد وأم واحدة. ثم القران يُرشدنا أن الإنسان بصفته الإنسانية، مخلوق مكرم قال تعالى:

﴿ **ولقد كرمنا بني آدم** ﴾[1] وهذا تكريم عام وليس خاصاً بمعشر المؤمنين، وإنما هو تكريم للإنسان كبشر بصفته الإنسانية. الإنسان أي إنسان بالنسبة لسائر المخلوقات. طبعاً يزيد المؤمن بعد ذلك درجةً في التكريم بسبب إيمانه، ولكن الناس كل الناس بصفتهم الإنسانية يشتركون في صفة التكريم. ثم تقول الآية بعد ذلك لتُنبهنا إلى مسألة مهمة في التعامل الإنساني مع الناس عندما يقول تعالى: ﴿**وجعلناكم شعوباً وقبائل**﴾، ومعنى جعلناكم من حيث المدلول اللغوي تدل على إرادة إلهية، الله عز وجل هو الذي أراد أن يخلق الناس وأن يجعلهم شعوباً وقبائل، شعوباً متمايزة وقبائل متمايزة.

فعندما نقول شعوب فالبشرية مقسمة إلى شعوب، وهذا التقسيم دليل على أن هناك شيئ من التنوع والتمايز بين الناس ينبغي أن يُسلم به المسلمون، ومع اعتقادنا أن الإسلام جاء ديناً للبشرية جمعاء، لكن لاينبغي أن يكون مع هذا التصور إعتقادٌ بأن الإسلام لو أنه أصبح دين البشرية على الكرة الأرضية كلها، فلن يُلغي ما بين الشعوب والقبائل من تمايز يتعلق بأعرافهم وعاداتهم وظروفهم وما يتصل بهم، فهذه من المسائل التي قبلها الإسلام. ولو عدنا إلى التاريخ الإسلامي فإننا نجد أن البلاد التي دخلها الإسلام وفتحها لم يُلغ فيها خصائص الشعوب المختلفة ولا عاداتهم ولا أعرافهم

١- الإسراء: ٧٠

طالما هذه الأعراف والعادات والخصائص تندرج تحت أصول الإسلام العامة. ولذلك ينبغي أن يكون منطلقنا هذا، وأن نميز بين روح الفكرة الإسلامية في مبادئها العامة التي هي خطاب للبشرية جمعاء، وبين أعراف الناس وما بينهم من تمايز وتنوع، أراده الله عز وجل لأنه قال ﴿**وجعلناكم شعوباً وقبائل**﴾. ولكن بعد ذلك مباشرةً حتى لاتنصرف الأذهان إلى أن هذا التنوع والتمايز قد يُؤدي إلى نوع من النزاع والصراع، قال تعالى: ﴿**وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا**﴾، إن الهدف من الإختلاف هو دفع الناس إلى التعارف. وقد ذكر بعض العلماء، أنه من القوانين أو السنن الإجتماعية أن أي مجموعة بشرية لا يمكنها أن تُنتج شيئاً، إلا إذا كانت في عدد محدود، كشعب، قبيلة، أو أي [illegible] بشرية معينة، فإذا أنتجت حضارة أو أي إنتاج، فإنه يجعلها تتطلع إلا أن تتعاطى مع غيرها. قد يكون هذا التعارف برسالةً تحملها لهداية الناس، وقد يكون أيضاً من باب طلب الغلبة والتسلط على الآخرين، وهذه سنة التدافع أيضاً ألتي أشار إليها القرانالكريم. ولكنها حقيقةٌ ينبغي أن يدركها المسلمون، أن العالم مكون من شعوب وقبائل مختلفة متمايزة وأن هذه هي إرادة الله عز وجل في أن يكون هذا التمايز. ثم تُختم هذه الآية بالإشارة إلى مقياس التفاضل، وإن هذا المقياس هو: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾. وأجد في هذه الإشارة أيضاً معنى مهماً وهو أن التمايز هو أمر في ميزان الله عز وجل، وليس من شأن الناس أن يتدخلوا في وضع مراتب للناس يُصنفونهم بحسب ما يُريدون. ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾، فهنا المكانة والتفضيل أمران في مقياس الله عز

وجل وقد جعلهما للمتقين، فالله وحده هو صاحب العلم، وهو الخبير بعباده وبما هم عليه.

هذا هو الطرح الإنساني للإسلام، وهذه النزعة الإنسانية التي يجب أن ندركها أولاً حين نتعامل مع الآخرين، ثم يجب أن نُبرزها في خطابنا الإسلامي عندما نُريد أن نُعرف بالإسلام لدى الآخرين.

الأصل الثاني الذي أعتقد أنه ينبغي أن يحكم علاقتنا مع غير المسلمين في هذه المجتمعات، وهو أصل يتعلق بطبيعة العلاقة بين المسلمين وغيرهم. ما هي طبيعة العلاقة؟ هل العلاقة ينبغي أن تكون علاقة صراع وحرب؟ وأن المسلم إذا التقى مع غير المسلم فلا يجمعه معه إلا الحرب والقتال؟ أم أن العلاقة غير ذلك؟ فيما نعتقد وبعد العودة إلى النصوص، أن أصل العلاقة بين الناس كما يُريد الإسلام أن يُحددها، هي التعارف والتواصل والحوار، وليست الحرب إلا إستثناءً. إعتبار أن الحرب هي الأساس في العلاقة بين المسلمين وغيرهم، أو بين الناس جميعاً، أعتقد أن هذا منافٍ للتصور الإسلامي الصحيح.

الإسلام جاء ليُؤكد مبدأ التعارف، مبدأ الحوار، مبدأ التعايش. لأن موضوع الدعوة لا يمكن أن ينتشر بين الناس إلا إذا جمعهم التعارف والتواصل والحوار والتعايش. في ظل هذه الأوضاع يُمكن للدعوة أن تنتشر. أما في أجواء الصراع فإن الناس تتغير موازينهم في النظر إلى الأشياء والأفكار، لا يعود الحق هو الذي يُقبل ويُرفض، وإنما القضية هي قضية صراع مع إنسان يُقابلك ليقضي عليك. فنعتقد أن الأصل إذاً في

العلاقات كما يُحدده الإسلام هو التعارف والتعايش ، وهذا واضح في سورة الحجرات ﴿ **وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا** ﴾. فهذا التمايز ينبغي أن يكون دافعاً للتعارف . يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسير أضواء البيان في هذه الآية : "فبين الله تعالى أنه جعلهم شعوباً وقبائل لأجل أن يتعارفوا" . يعني أن هذا التمايز دافع محرك يدفع هذه الشعوب إلى أن تلتقي وأن تتعارف . وأجد أن كلمة التعارف أيضاً كلمة موحية ، لأن التعارف يقتضي تبادلاً بين جهتين .

تعارف لا استعلاء

إن واجب الدعوة والبلاغ لا يبرر لك أن تستعلي ولو بحقٍ لتُعلِّم الآخرين ، وأقول أن منهج الدعوة هو أن تبدأ بالتعارف قبل أن تدعو . و ستجد أن هذه الكلمة موحِية ، لأن التعارف يقتضي أن تتعرف على الآخر وأن يتعرف عليك ، هي عملية فيها نوع من التبادل والتساوي بين الطرفين . والمسلم في هذا التعارف لاينسى دوره كداعية ، حاملاً للحق . لكن بشرط ألا يُشعر الآخر أنه جاء معلماً وأستاذاً له ، وأنه ينبغي عليه أن يتعلم منه ولا يأخد منه شيئاً . . هذه النظرة عند بعض المسلمين في عدم التمييز بين الحق الذي نحمله في ديننا-ونحن مُطالبون بتبليغه وإيصاله للناس - وبين إمكانية أن نأخذ من الناس عندما نتعرف على ما عندهم ، وهذا أمر ينبغي أن يكون وارداً في حسابنا . فالله سبحانه جعلهم شعوباً وقبائل لأجل أن يتعارفوا ، أي يعرف بعضهم بعضاً ، لا لأجل أن يفتخر بعضهم على بعض ، ويتطاول بعضهم على بعض ، وكلمة التطاول قد تكون بالباطل ، مثل الإنسان

الذي يستعلي على الآخرين، ولكن قد تكون من غير شعور بالحق كذلك. فإطمئنان المسلم للحق الذي هو عليه قد يوقعه في خُلق التطاول على الآخرين من غير شعور منه، وهذا من الأسباب المبعدة والمنفرة تجاه الناس إذا أردنا أن نكون دعاة لدين الله عز وجل.

يقول سيدقطب - رحمه الله - في الظلال في تفسير هذه الآية: " الذي يُناديكم هذا النداء هو الذي خلقكم من ذكر وأنثى، (إذاً الذي ينادي الناس ﴿ياأيها الناس﴾، هو رب العزة، الذي خلق الناس من أصل واحد من ذكر وأنثى)، وهو يُطلعكم على الغاية من جعلكم شعوباً وقبائل، إنها ليست التناحر والخصام، إنما هي التعارف والوئام". فنعتقدإذاً أن الأصل في العلاقة بين الناس وبين المسلمين وغيرهم إنما هو التعارف والإلتقاء، وليس التنازع والصراع والحرب والقطيعة.

نحن نعلم أيضاً ما خصصه القرآن الكريم من آيات فيها دعوة صريحة لأهل الكتاب، طبعاً الآية الأولى[١] تعم الناس جميعاً، ولكن القران الكريم كما تعلمون أعطى مكانة متميزة لأهل الكتاب، وهذا أمر يتعلق بنا فنحن نعيش في بلاد الغرب التي أهلها من أهل الكتاب أو ينتسبون لأهل الكتاب، فالقران الكريم كما نعلم أعطى لهم مكانة خاصة، وطالب المسلمين بأن يُحاوروهم ويجادلوهم، ﴿قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواء﴾[٢]

١- سورة الحجرات:.١٣

٢- سورة عمران: ٦٤

وقد نستغرب أحياناً عندما نقرأ الآيات، ونستغرب كذلك عندما نسمع من بعض المسملين من يستنكر أحياناً على بعض المبادرات التي يقوم بها البعض فيما يُسمى بالحوار الإسلامي المسيحي ويعتبرون هذا منافياً لمبادئ الإسلام فنحن المسلمون ديننا حق وهؤلاء دينهم باطل فما الذي يدفعنا أن نحاورهم ؟! والحوار كأن المقصود منه هو أن نعرض ديننا للأخذ والرد وأن نحاورهم في دينهم وعقائدهم ويستنكرون هذا، مع أن منطق القرآن الكريم غير ذلك تماماً.

في سورة العنكبوت أجد توجيهاً صريحاً في مسألة الحوار لأن الإسلام يُؤمن بأن العلاقة ينبغي أن تكون علاقة التواصل، وليست القطيعة هي الأساس في العلاقات بين الناس. يقول تعالى ﴿**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أُنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون**﴾(١)

وهذه الآية في الحقيقة تعتبر منهجاً كاملاً في قضية الحوار مع أهل الكتاب، لأنها حددت قضيتين مهمتين:

القضية الأولى: متعلقة بالأسلوب

القضية الثانية: متعلقة بمضمون الحوار

١-العنكبوت: ٤٦

الحوار : أسلوب ومضمون

والأسلوب والمضمون قضيتان مهمتان ، وفي كل خطاب هناك أسلوب وهو مايسمى بالشكل، وهناك مضمون لهذا الخطاب، وهو ما يحمله هذا الخطاب، فهذه الآيه حددت لنا الشكل وا لمضمون، فالأسلوب هنا﴿**ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن**﴾ أي اذا كانت هناك طريقتان ، طريقة حسنة وطريقه أحسن فالمسلمون مطالبون على مستوى أسلوب الحوار مع أهل الكتاب بأن يأخذوا بالأسلوب الأحسن(١) ، وكلمة أحسن كلمة عامة تضم كل أنواع الحوار الذي يتصف بالحكمة والبر والحسنى يعني كلمة تضم كل هذه المعاني . ومسألة الأسلوب وردت هنا قبل مضمون الحوار لأنها مهمة جداً ، لأنه إذا كان أسلوب الحوار مع الناس والخطاب معهم بطريقة تستهوي قلوبهم فإنهم بعد ذلك لن يستنكفوا عن مضمون الخطاب الذي سيوجه لهم، فالقلوب إما أن تنفتح إلي الحقائق فيتعامل العقل معها بعد ذلك بشيء من التجرد، وإما أن تنغلق القلوب فتنغلق العقول، وهذه قضية مهمة ينبغي أن ندركها في دعوتنا . هناك مسألة متعلقة بالشكل، وأجد لزاماً علينا نحن الذين نعيش في الغرب ان نمتلك هذه القضية .

في بعض الأحيان نتسائل عما يسمى بالديانات الوضعية ، و الديانات الوضعية التي تنتشر اليوم في أوروبا كثيرة ، حتى أنه في فرنسا منذ سنتين

١- هذا ما يكثر من التذكير به فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف القرضاوي حفظه الله ورعاه ونفع به.

أصدروا إحصائية يقولون أن عدد المنتسبين إلى هذه الديانات الوضعية غير الديانات السماوية الكبيرة المعروفة ، أكثر من عدد أعضاء الأحزاب السياسية مجتمعة من يمينها إلى شمالها. و هذا دليل على الفراغ الروحي الرهيب في هذه البلاد، فالواحد منا يستغرب أحياناً عندما يسمع عن العقائد الباطلة المزيفة التي يقدمها أصحاب هذه الديانات وتجد قبولاً وأتباعاً . فتستغرب من هؤلاء الغربيين الذين يتصفون بالعقل والنظرة العقلية العلمية كيف بهم يقبلون مثل هذه العقائد المزيفة .

فإذا كان هناك سبب، فهو يتعلق بطريقة هؤلاء في عرض عقائدهم . لقد أتقنوا الأسلوب، أسلوب العرض فزينوا عقائدهم الباطلة فإذا بالناس يقبلون عليها، فالمسلمون يحملون حقاً ينطق بنفسه ولكنهم مع الأسف كما قال أحدهم: (المسلمون يملكون خير بضاعة ولكنهم مُنوا بأسوأ المسوِّقين) ، فالبضاعة قد تكون طيبة ونحن في هذه المجتمعات الإستهلاكية ندرك قيمة الإشهار والدعايةالتي تجذب الناس و تؤثر فيهم.

وأي بضاعة صالحة وبخصائص رفيعة جداً، إذا لم يقم أصحابها بالتعريف بها والدعاية لها وإبرازها فلن تلقى القبول والإنتشار بين الناس . إذاً الأسلوب قضية مهمة . ثم بعد ذلك تحدد الآية لنا مضمون هذا الحوار، وفي هذا المضمون أجد في الحقيقة منهجية خاصة.

منهجية الحوار

المنهجية تقول: التركيز في الحوار مع الناس على نقاط الإلتقاء، وليس البدء بنقاط الإفتراق، لأنه لو تأملنا في سورةالعنكبوت قوله تعالى ﴿**وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم**﴾ ، إن القرآن يعلمنا ويعطينا منطلقات للحوار مع الآخرين، وانظروا إلى هذا الأسلوب القرآني اللطيف: أيها الكتابيون نحن نؤمن بما أنزل إلينا وأنزل إليكم، نحن نعترف أن أصل دينكم هو وحي نزل من عند الله عزوجل . لأنك عندما تشعر المخاطب بجزء من الحق هو عنده ،فإنك تكون قد كسبت قلبه للشوط الآخر الذي تريد أن تخالفه فيه في قضايا تريد أن تبلغها له. ثم :
﴿**آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد**﴾ ،
إذاً القضية الأولى التي نركز عليها وهي من قضايا الإلتقاء أن مصدر دينكم وديننا هو الوحي وهي قضية مهمة. وقضية المصدر الواحد مهمة ، دينكم وديننا مصدره الوحي من عند الله عزوجل .

ثم المعبود الذي يعبد، إلهنا وإلهكم واحد أيضاً ، وهم لهم تصورات عن الإله خاطئة ولكنهم يعتقدون في جزء من إعتقادهم باعتقاد المسلمين بإله خالق مدبر حكيم أمر الناس وكلفهم وسيحاسبهم يوم القيامة ، هذا جزء من الالتقاء في العقائد . ثم بعد ذلك ﴿**ونحن له مسلمون**﴾ وهذه لفتة أخرى وقد اطلعت علي كثير من أقوال المفسرين فوجدت بعضهم يقول: ﴿**ونحن له مسلمون**﴾ هذا خطاب للمسلمين ويشمل أهل

الكتاب كذلك ، على اعتبار أننا وأنتم الأصل فينا أن نكون مسلمين لله عز وجل، نشترك في صفة الطاعة والعبودية لله عزوجل [١]. وهذا كذلك أسلوب آخر في مضمون الخطاب والحوار في التأكيد على نقاط الإلتقاء وليس على نقاط الافتراق . وهذه مسألة تدخل في فقه الدعوة، وفي كثير من الأحيان نغفل عنها في حالات من الصراع أو المبارزة مع الآخرين نتعمد دائماً التركيز على نقاط الإفتراق، فيفترق الناس من أول الطريق ولاينظرون الى النقاط التى يمكن أن تجمعهم أو أن يلتقوا عليها .

إذاً هذه القاعدة الثانية أو الأصل الثاني، هي أن الأصل في العلاقات بين الناس هو التعارف و التعايش والحوار. و لذلك ليس عبثاً أن نجد أحكاماً في الإسلام تبيح للمسلمين أن يأكلوا من طعام أهل الكتاب وأن يأكل أهل الكتاب من طعامهم. وقد كنت أتساءل أحياناً، القرآن يذكر ذلك فيقول أن المسلم يجوز له أن يأكل من طعام الكتابي، ولكن لماذا يذكر أن أهل الكتاب يمكنهم أن يأكلوا من طعام المسلم والأصل أن الخطاب هنا موجه للمسلمين بهذه الإباحة؟ لكن كأن التعبير القرآني يريد أن يقول: أنه لامانع أن تقوم العلاقات بين المسلمين وأهل الكتاب، فالمسلم يمكن أن يكون مدعواً عند كتابي يأكل من طعامه، بما في ذلك اللحم، وكذلك الكتابي يمكن أن يدعوه المسلم فيأكل من طعامه، فيما يشير إلي أن الإسلام أراد أن يحافظ على أواصر الإتصال والتعايش. وكذلك إباحة الزواج من الكتابيات .

١- ممن قال بهذا الشيخ محمد بن الطاهر عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير"

هذه الأحكام في حكمتها التشريعية إنما تريد أن تؤكد هذا المبدأ في الإتصال، لأن الناس إذا اجتمعوا على الطعام و إذا تزاوجوا ، معنى ذلك أن هناك اختلاط وارتباط واتصال وتعارف وتواصل قائم بينهم، وهذا مبدأ أساسي لأن قضية الدعوة لايمكن أن تصل إلى الناس إذا كنا نحن منعزلين منقسمين مبتعدين عن الناس لانحتك بهم ولانرتبط بهم .

القاعدة الثالثة التي ينبغي أن تحكم تعاملنا مع غيرنا (غير المسلمين)، هى أن نعتبر أن مهمتنا الأساسية مع غير المسلمين هي الدعوة إلى الله عزوجل . فقضية الدعوة قضية أساسية مبدئية والمسلم يحمل هذه الوظيفة وهذه المهمة دائماً يسبقها التعارف كما قلنا، لأن التعارف هو الذي يمد الجسور ، وهو الذي يوجد البيئة الصالحة أو الظرف المناسب الذي يمكن أن تنطلق فيه الدعوة . وأعتقد أن في دعوتنا أيها الأخوة ، ينبغي أن نركز أيضاً على بعض المفاهيم التي أجد أنها تحتاج إلى تركيز خاص في بلاد الغرب .

وكما ذكرت فيمكن أن نعرض الاسلام إنطلاقاً من زوايا مختلفة ولكن أعتقد أن تكييف الخطاب بمستوى البيئة التى نتحرك فيها أمر مهم جداً يدل على فقه في دين الله عزوجل . و هناك ثلاث قضايا تحتاج أن تأخذ حيزاً واسعاً في إبراز الدعوة وفي تبليغها للناس في هذه البلاد .

المعنى الأول : إبراز عالمية الدعوة

أعتقد أن هذا الموضوع يحتاج إلى مزيد من التوضيح والتأكيد ربطاً مع قضية الإنسانية، ﴿**قل ياأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا**﴾(١) ينبغي أن يرسخ في أذهان هذه المجتمعات أن الإسلام ما جاء ليكون ديناً لمجموعة بشرية معينة ، فالاسلام له هذه الصبغة العالمية الواسعة، وأعتقد أن الصفة العالمية في الإسلام من أهم خصائصه ومميزاته أنه دين للبشرية جمعاء ، وذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وأن رسالة الإسلام هي الرسالة الخاتمة .

المعنى الثاني : دعوتنا امتداد لدعوة الأنبياء

ينبغي أن نؤكد أن دعوتنا هي تأكيد لدعوات الأنبياء السابقين. وهذه قضية نعرفها ، لكنهاتحتاج لمزيد من الإبراز في مثل هذه البلاد . فعندما نعرض إسلامنا على أنه ليس ديناً خاصاً وإنما هو دين عبارة عن استمرارلجهود الأنبياء ودعوات المرسلين السابقين . ولنا من النصوص الكثيرة ما يؤيد هذا . يكفي أن يعلم الناس أن المسلمين مطالبون شرعاً في عقيدتهم أن يؤمنوا بكل الأنبياء والمرسلين ﴿**لانفرق بين أحد من رسله**﴾(٢)

وهذه من الأفكار القوية في الإسلام، كما أن أعداءنا يعملون على إبراز

١- الأعراف: ١٥٨

٢-البقرة : ٢٨٥

بعض القضايا التي يتهجمون بها على الإسلام ، فينبغي نحن أن نتقن نحن أيضاً فناً في الخطاب يجعلنا ننطلق من بعض القضايا القوية التى هى قريبة من مفاهيم الناس ومن قناعاتهم، فينبغي أن نطرح هذا الطرح. وقول النبي ﷺ«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وقد ترجمت لأحد الناس من غير المسلمين الحديث الشريف الذي يقول فيه النبي ﷺ « مثلي ومثل الأنبياء من قبلي -في معنى قوله ﷺ-كمثل رجل بنى بيتاً فأتمه إلا موضع لبنة، فدخل أحد الناس ينظر البيت فيعجبه فيقول ما أجمله وما أحسنه إلا موضع اللبنة، قال : فكنت أنا هذه اللبنة» كان الرسول ﷺ هو اللبنة التي اكتمل بها بناء النبوة.

فإذا بي أجد ردة فعل هذا الإنسان عجيبة كيف أن الإسلام لا ينفصل عن تراث الأنبياء وعن تاريخ النبوة السابق، وأنه عبارة عن تكميل وتتميم .
إن مثل هذه الأفكار إذا أحسنا إبرازها فإنها ستساعد لاشك في فتح قلوب الناس على الدعوة إلى الله .

المعنى الثالث : حرية الاختيار

في قضية الدعوة ، يحتاج الأمر إلى التركيز على حرية الاختيار ، وأن الإسلام يرفض مبدأ الإكراه في الدين ، وهذه مسألة مهمة وكثيراً ما ينسب للمسلمين على عكس عقيدتهم ودينهم ، أنهم قوم يريدون أن يكرهوا الناس على الإسلام . فإذا أبرزنا هذا المعنى وأنه لاإكراه في الدين وأن الإسلام أكثر من ذلك حتى في مجتمعه الإسلامي الذي تسود فيه شريعة الإسلام قَبِلَ ، ومن قديم أن يكون من أفراد مجتمعه أناس لايؤمنون بدين

الإسلام، بالدين الغالب في المجتمع ، الدين الحاكم في المجتمع وجعلهم أهل ذمة لهم حقوقهم وعليهم واجباتهم ، لكنهم يعيشون ويحترم دينهم وتحترم شعائرهم. إن إبراز هذا المعنى في الوقت الذي تشوه فيه صورة الإسلام ويوصم المسلمون بالتصلب والإكراه، نجده أمراً مهماً في طرحنا الإسلامي.

من مقتضيات نجاح الدعوة

نعرج الآن على بعض مقتضيات الدعوة أو ما يتعلق ببعض الأساليب التي نحتاج إليها في بلاد الغرب أن ننتبه إليها، وعلينا أن نأخذها بعين الاعتبار.

الأسلوب الأول الذي أعتبره مقتضىً من مقتضيات نجاح الدعوة في هذه الساحة التي نحن فيها. وأقول عندما نتحدث عن الدعوة قد تنصرف بعض الأذهان إلى أننا نريد أن نؤسلم كل الناس الموجودين في هذه البلاد.
قضية أن يسلموا أو لا يسلموا أمر ليس بأيدينا وإنما الأمر بيد الله عزوجل. ولكن أقول أن الدعوة في كل الأحوال قَبِل الناس بها أم لم يقبلوا يظل فيها الخير، لأننا إذا دعونا الى الإسلام وحتى لو لم يسلم الناس ولم يقبلوا هذه الدعوة، فإنهم سيتعرفون عليها بما يجعلهم أكثر قبولاً لوجود المسلمين في مجتمعاتهم ومراعاة لعقائدهم وشعائرهم وعاداتهم المنطلقة من دينهم. فالدعوة إلى الله فيها من المكاسب الحاصلة دائماً قَبِل الناس بها أم لم يقبلوها.

وأهم مقتضيات الدعوة التي نريد أن نركز عليها تتمثل في أربع نقاط :

النقطه الأولى : الاختلاط بالناس

أعتقد أن من أهم مقتضيات الدعوة في هذه البلاد الإختلاط بالناس و وهو ما يعبر عنه بالمصطلح الإجتماعي المستخدم في بعض البلاد الأوربية اليوم بمصطلح الإندماج.

لايمكن للمسلمين أن يؤثروا بدعوتهم في مجتمع ما إذا كانوا منفصلين عن هذا المجتمع . الاندماج اليوم الذي يطرح في كثير من البلاد الأوروبية و يُطاَلب المسلمون به ، قد يعني به بعض الغربيين اندماجاً بمعنى الذوبان وهو أن المسلم يندمج في المجتمع الغربي بمعنى أن يفقد كل خصائص دينه. ليس هذا مفهومنا للإندماج . مفهونا أن ينخرط المسلم في المجتمع الذي يعيش فيه مع الحفاظ على دينه وعقيدته، ونعتقد أنه لاشئ في الإسلام ينافي أن يندمج المسلم بهذا الشكل وبهذا الأسلوب . فهذا الإختلاط والإحتكاك بالناس مقتضىً أساسياً في قضية الدعوة في هذه البلاد، والنبي ﷺ يقول في الحديث : (*المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم*) وهذا رد في الحقيقة على بعض المسلمين الذين يستنكفون عن الإحتكاك بغير المسلمين بدعوى أننا إذا اختلطنا بهم فسوف يوقعنا الاختلاط معهم في شئ من الحرج الشرعي بناءً على ما يستحلونه من أمور ليست جائزة في ديننا .

إن الإحتكاك بالناس يوقعنا في الاذى لاشك وهذا رسول الله ﷺ ينبهنا لذلك ولكن يقول لنا مع ذلك إن هذا المؤمن الذي يخالط الناس من أجل أن يدعوهم ويصبر على أذاهم خير من ذلك الذي طلب العافية والسلامة، وجلس بعيداً عن الناس بعيداً عن الأذى فإنه لن يستطيع حتماً أن يبلغ دعوته للناس.

وفي حديث آخر يقول ﷺ في إشارة الى الجانب الإجتماعي عند المسلم، إذاً الأصل في المسلم أن يكون أنه إنساناً إجتماعياً لديه القدرة على بناء العلاقات مع الآخرين والانفتاح عليهم ، وأن يكون عنده قابلية أيضاً إذا اقترب منه الناس أن يكون على استعداد للتعامل معهم، حيث يقول ﷺ : (*المؤمن مُؤلف أَلُوف، ولا خير في من لا يألف ولا يؤلف*) . (رواه أحمد في مسنده)

فأي إنسان يكون في مجتمع ما منعزلاً عن الناس ليس عنده أي استعداد أن يلتقي معهم أو يتحاور معهم أو أن يأخذ منهم و يعطي، فهذا ليس له من طبع المسلم الداعية الذي يريد أن يكون على صلة بالناس .

النقطة الثانية : الرحمة بغير المسلمين

الداعية محتاج كقاعدة عامة في الدعوة ، وهو ما نحتاجه بشكل أكيد في هذه البلاد أن نشعر الناس بالقرب منهم والرحمة بهم والشفقة عليهم. هذا المعنى نحن مطالبون به حتى بشأن غير المسلمين ، والقرآن الكريم في سورة الممتحنة، يقول الله عزوجل :

﴿لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين﴾[1]

فالله عزوجل لم ينهنا حتى عن غير المؤمنين أن تكون علاقتنا معهم علاقة البر والإحسان والقسط والعدل في تعاملنا معهم. والطبري رحمه الله في تفسيره، ذكر أقوال المفسرين في هذه الآية حيث يقول: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بذلك "لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين " من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم، إن الله عزوجل عَمَّ بقوله: "الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم "، جميع من كانت ذلك صفته فلم يخصص به بعضاً دون بعض، ولامعنى لقول من قال: ذلك منسوخ، لأن بر المؤمن أهل الحرب مَن بينه، وبينه قرابة نسب أو ممن لاقرابة بينه وبينهم ولا نسب غير محرم ولامنهي عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له، أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح).

إذاً هذه القاعدة قاعدة البر ليست أمراً مرفوضاً تجاه غير المسلمين، ولقد تحدث القرآن عن الرسول ﷺ وصدر الخطاب في هذه الآية موجه إلى الناس جميعاً وليس إلى المؤمنين فقط: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾[2]

١- الممتحنة: ٨

٢- التوبة: ١٢٨

فلقد كان يعز على رسول الله ﷺ العنت والضنك الذي كان يعيش فيه الناس بسبب بعدهم عن دين الله . نقول أيها الأخوة نحن كدعاة ينبغي أن يَشعُر الناس منا بتلك الشفقة عليهم، وما نجده من ضيق وأسى عندما نراهم في ضلال وفي بُعد عن دين الله عزوجل.

الأسلوب الثالث: الحكمة في الخطاب

وهو اعتماد الحكمة وكل اسلوب يحقق البلاغ المبين ، وأمر الحكمة معلوم فلاحاجة أن نتوقف عنده.

الأسلوب الرابع: المخالفة المنفرة

أحببت أن أشير إلي هذه النقطة وقد تكون نقطة جزئية ولكن لها أثر في مسألة الدعوة ، وهي أنه مطلوب من المسلم- من مقتضيات نجاح دعوته في هذه البلاد- أن يبتعد عما يمكن أن أسميه: المخالفة المنفرة ، التي لم يأمر بها الشرع . فأحياناً أجد عند المسلمين تعمداً لمخالفة طبائع الناس وأعرافهم وعاداتهم بصورة منفرة، إن المخالفة التى لاتنفر لابأس بها إذا كانت في دائرة المباح. طبعاً أقول ذلك فيما لم يأمر به الشرع أما فيما أمرنا الله به عزوجل فنحن ملزمون به ، فلانقول للمرأة المسلمة دعي حجابك حتى لاتكوني منفرة للآخرين ، ولكن أقول إن بعض المسلمين قد يحرصون ويصرون على بعض المظاهر والعادات التى هي ليست من الدين وإنما هي من عاداتهم وبيئاتهم المختلفة ويصرون عليها وقد يكون بعضهم متعمداً

ذلك. وقد سمعت من البعض، وتعلمون الحوار الدائر في مسألة اللباس وأن السنة ألزمت المسلمين بلباس معين من يبرر ذلك ويقول : أننا إذا أظهرنا هذا التميز فسيكون ذلك ملفتاً لأنظار الآخرين فيتساءلوا عن الإسلام ، وإذا تساءلوا تكون فرصة لدعوتهم ، وأقول أن هذا على عكس ذلك تماماً، لأن صورة الغربيين مشوهة عن الإسلام فإذا رأوا مظهراً من مظاهر المخالفة فلن يزيدهم إلا نفوراً .

وأعتقد أن هذه القاعدة مبنية على قول رسول الله ﷺ لعلي ومعاذ عندما أرسلهما الى اليمن وقال لهما «*يسرا ولاتعسرا، وبشرا ولاتنفرا*» فالداعية محتاج إلى أن يكون منهجه منهج التبشير لا التنفير . والتنفير قد يكون بالخطاب ولكنه قد يكون بالمظهر ، وإذا كان التنفير بالمظهر فإنها القطيعة بينك وبين من تريد أن تدعوه. أحببت بعد ذكر القضايا النظرية وهذه المسائل الشرعية أن أسلط الضوء على حقيقة الأمر اليوم في أوروبا.

الواقع أننا عندما ننظر اليوم إلى المجتمعات الغربية حيث صورة الإسلام مشوهة. وهذه حقيقة ندركها جميعاً، فهم يعتقدون أن الاسلام دين همجي ،والمسلمون قوم متخلفون ، والعالم الإسلامي عالم متخلف، يعيش الفقر، ويحكم بأنظمة دكتاتورية ، والصحوة الإسلامية تمثل خطراً إرهابياً على العالم ، كل هذه القضايا تلخص صورة الإسلام في الذهنية الغربية.

وإننا في الغرب اليوم حيث الجاليات الإسلامية الموجودة ،تعاني من انعدام الإتصال والتواصل مع غيرها ينقسم المسلمون في المجتمعات الغربية إلى صنفين: إما قوم ذائبون منسلخون ، خرجوا عن دينهم والتحقوا

بالمجتمع الذي هم فيه ، وإما صنف متصل بالمجتمع ، وهذا صنف نادر وعملة نادرة .

*- فما العمل ؟!

أعتقد أن هذه وضعية ليست لصالح الإسلام ولاهي وضعية تقبل بها المجتمعات الغربية ، لافي صالحنا ولافي صالح هذه المجتمعات .
ولايمكن للمسلمين أن يقبلوا بهذا الوضع ، وحتى نغير من هذا الحال ، نحن نحتاج أن ننطلق في منهج ينبنى على أربع نقاط أذكرها باختصار شديد .

النقطةالأولى : أنه لامناص من أن نؤكد على قضية الإندماج الإيجابي في المجتمع وتفعيل المشاركة الإجتماعية للمسلمين في المجتمع وأن يستشعر المسلم أنه المسلم الذي اختار أن يقيم في هذه الارض وفي هذه البلاد وأنه مواطن في مجتمع يأخذ ويعطي ، ينفع ويفيد و يستفيد ، هذه المعادلة ينبغي أن تصحح في أذهان المسلمين .

النقطةالثانية : أسباب الجفوة من الاسلام ينبغي أن ندرسها ملياً لنعرف أسباب الجفوة من الإسلام في المجتمعات الغربية لنأخذها بعين الاعتبار في دعوتنا ولنقف أيها الأخوة على الأسباب التي تعود إلينا . وهذا موضوع حرى بالدراسة . إذا أحببنا أن ندرس هذه الصورة المشوهة عن الإسلام ، سنجد لاشك عدة أسباب ، و هذه الأسباب يمكن أن نصنفها إلى صنفين :
هناك أسباب خارجة عن نطاقنا وليست بأيدينا ، وهى من فعل المؤسسات

التى تحاول أن تشوه . ولكن هناك أسباب لها علاقة بنا ونملك تغييرها إذا بذلنا جهداً في ذلك .

عادات أم عبادات

ومن القضايا المهمة قضية واحدة للمثال فقط وليس للحصر،وهي التفريق الذي ينبغي أن نقوم به نحن الدعاة بين ماهو عادات للمسلمين لاصلة لها بالدين وبين ما هو دين وإسلام .

هذه قضية سببت خلطاً كثيراً في أذهان الغربيين ، كثيراً ما نحاسب نحن المسلمون ونحاكم في قضية المرأة إنطلاقاً من تعامل المسلمين الخاطئ تجاه المرأة ، تعامل يرفضه الإسلام نفسه . كيف يمكن أن يدرك الغربيون هذا الأمر إذا لم نقم نحن بإدانة عاداتنا وأعرافنا التى تناقض الاسلام نفسه .

هذه قضية مهمة ينبغي أن ندرس أسباب الجفوة حتي نستطيع أن نستدرك ما يتعلق بنا وما هو في امكاننا وفي قدرتنا .

النقطة الثالثة : العدل في الحكم

وأعتقد أننا نحتاج هذه الصفة و هو أن نكون عادلين في الحكم على الغرب وحضارته، وأجد أن المسلمين ينقصهم الإنصاف أحيانا عندما يعرضون الإسلام وكأنه نقيض للغرب ولحضارته. فليس هذا الطرح هو الطرح الإسلامي المعتدل . والقرآن علمنا قاعدة فقال ﴿ **ولا يجرمنكم شنئآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى** ﴾[١]

وإنني لا أجد حرجاً أن أقول للغربيين إن لكم مكاسب في حضارتكم، على المستوى العلمي المسلمون لايستنكفون عن الاستفاده منها. إن لكم تجارب على المستوى السياسى والإجتماعي وأنا ممن يعتقد أن التجارب السياسية والإجتماعية في الغرب- ولو أن منطلقاتها علمانية - إلا أنها كتجارب يمكن للمسلمين أن يستفيدوا منها .

نعم نحن منطلقاتنا مغايرة، ولكن التجربة السياسية، والتعددية السياسية، والتداول على السلطة هي قضايا في الغرب اليوم أصبح فيها مكاسب، أماالشورى كقاعدة إسلامية فلنعترف أنها غائبة في بلاد المسلمين وفي تاريخهم منذ أمد بعيد ، ولو أردنا أن نطبق الإسلام اليوم في عصرنا الحاضر، على مستوى النظام السياسي، أي نظام عملي مطبق ؟ دعنا من المبدأ الأساسي العام المتمثل في قاعدة الشورى -لكن كيف تكون هذه الشورى؟ وما هو الموقف من التعددية السياسية؟

إن تعددية الأحزاب قضية من القضايا الفكرية التى يختلف فيها الإسلاميون والمفكرون اليوم، لماذا ؟ هل هناك ما يمنع من أن يستفيد المسلمون من تجارب غيرهم ؟ ينبغي أن يكون موقفنا فيه شيء من العدل في الحكم على الغرب وحضارته.

١- المائدة: ٢

النقطة الرابعة : تلطيف الخطاب الاسلامي

وهي قضية أعتقد أنها مهمة ، و هي مطلب أساسي من المسلمين في ديار الغرب، ألا وهي تخليص الخطاب الإسلامي الدعوي من الصبغة النضالية السياسية ، و قد يكون للمسلمين في بلاد الإسلام اليوم بحكم الصراع الذي يخوضونه ولأسباب عديدة وضعية تجعلهم لايستطيعون أن يفصلوا بين الإسلام كدين و كفكرة وبين مسألة النضال السياسي تحت اللافتة الإسلامية ،و هذا له مايبرره في العالم الإسلامي ، وإن كانت هذه القضية فيما أعتقد تحتاج أيضا إلى فتح حوار بين العاملين للإسلام في أرض الإسلام لأنهم للأسف يعانون من أوضاع تحول بين الإسلام كدين و كفكرة لهداية للناس وبين الدعاة بحجة أنهم سياسيون كما هو حاصل اليوم، وفي كثير من بلاد المسلمين تعاني الدعوة التضييق بسبب الحرب على ما يسمونه الإسلام السياسي والذى من ورائه يحارب الإسلام كله .

نحن في الغرب نعتقد بأنه لامانع أن نتبنى قضايا المسلمين هنا وهناك ولكن ليكن واضحاً في طرحنا الإسلامي أننا ندعو إلى دين وإلى عقيدة ، لا نخلطها دوماً بتبنينا للقضايا السياسية مما يعزل أمر دعوتنا عن الآخرين .

قد يكون الإنسان الغربي لا تهمه قضية من قضايانا التي نعتبرها نحن أساسيه بالنسبة لنا في هذا البلد أو ذاك ، فلماذا نحرمه من دعوة الإسلام عندما نجعل الإسلام ملتصقاً دائما بقضية النضال السياسي .

أعتقد أن هذه مسألة تحتاج إلي موازنة دقيقة ينبغي أن نفكر فيها ملياً حتى نخلص الدعوة الإسلامية كفكرة و كدين هدايةً للبشرية جمعاء وأن نجعل قضية النضال السياسي من قضايا المسلمين . وأنا ممن يعتقد حتى في دفاع المسلمين عن حقوقهم في بلاد الغرب ليسوا مضطرين أن ينطلقوا من منطلق الإسلام للمطالبة بحقوقهم، بل ينبغي أن ينطلقوا من منطلق صفتهم كمواطنين في المجتمع .

وفي هذه البلاد قوانين تكفل لهم حقوقاً كما تكفل لغيرهم. فماهو الداعي أن ننطلق في الدفاع عن حقوق إجتماعية أو حقوق إقتصادية أو سياسية وأن نبررها من المنطلق الإسلامي .

إنه بإمكاننا في هذه البلاد و من خلال قوانينها وأعرافهاأن نطالب بحقوقنا وندافع عن قضايانا كمواطنين في هذا المجتمع حتى لايقحم الإسلام في قضية صراع قد تبعده عن قبول الناس له .

المبحث الثالث

مستقبل العمل الإسلامي في أوربا

الأستاذ/ أحمد الراوي

مستقبل العمل الإسلامي في أوربا

بسم الله، إن الحمدلله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلامضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، فجزاه الله عنا خير الجزاء.

كان بودى أن أتحدث بمقدمة بين يدى هذا الموضوع. لكني وجدت من خلال إستماعى للأساتذة، والإخوة المحاضرين، أن جل هذه المقدمة قد تم طرحه.

مراجعة للواقع

في الواقع كنت أراجع نفسي منذ فترة ليست بالقصيرة، خاصة بعد أن تعددت مشارب العمل الإسلامي في بلاد الغرب، وتعددت مع ذلك سبل تعاملهم مع المجتمع الذى يعيشون فيه، وبالأخص مع تغير وضع الجالية المسلمة، من جالية مهاجرة، إلى جالية مستقرة كبيرة، تعيش بين ظهراني هذا المجتمع، وقد جاءت تلك المراجعة بعد أن كثر عدد المتصدرين لتحديد علاقة المسلمين في هذا المجتمع، بالمجتمع الأوروبي، وطريقة تعاملهم.

معه، وانبرى بعضهم ليصدر الفتاوى من خلال بعض آيات يحفظها، أو أحاديث نبوية يرددها، أوآراء لبعض أهل العلم، يرجع الناس إليها، ويلزمهم بها، فيركز على ضرورة النظر إلى أبناء المجتمع كأعداء متربصين بالإسلام، فكثر الحديث عن قوله تعالى: ﴿**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم**﴾[1] وقوله ﷺ: «واضطروهم إلى أضيق الطريق» و «لا يأكل طعامك إلا مؤمن» وبناءً علي ذلك أفتى هؤلاء النفربأن لا نسالم هؤلاء الناس، ولانؤاكلهم، ونقلل من مخالطتهم، فكل ذلك خطر محظور!.

ومن الواضح الجلي أن أثر ذلك كله سيؤدي إلى أن تعيش الجالية المسلمة، بل كثير من الدعاة إلى هذا الدين، حياة من العزلة، وسيترك ذلك أثراً سلبياً في حاضرها، وفي مستقبلها، ويجعل تأثيرها في هذا المجتمع محدوداً، أو معدوماً وهذا ما نعاني منه اليوم، خاصة إذا اشتدت علينا الخطوب، ولانجد في هذه الديار معيناً إلا القليل بعدالله عزوجل.

١- البقرة: ١٢٠

دور اتحاد المنظمات الاسلامية في أوروبا

ومن نعمة الله تعالى علي إدارة اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا، أن أدركت ، خطورة الأمر، -وإ ن كان ذلك قد جاء متأخراً - فقد بادرت بالاستعانة بأهل العلم الأجلاء، و منذ خمس سنوات في توضيح كثير من الأمورمن خلال مباحثات ، ولقاءات، وندوات ،مع بعض أهل العلم وغيرهم من الدعاة العاملين على الساحة الإسلامية في أوروبا من أمثال فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، والدكتورعصام البشير، والشيخ فيصل المولوي، والدكتور أحمد جاء بالله ، والشيخ راشد الغنوشي، والدكتوركمال الهلباوي وغيرهم كثير، وقد بذل هؤلاء الأساتذة والعلماء الكرام جهداً عظيماً من أجل تغيير تلك المفاهيم، وتوضيح طرق وسبل التعامل بين المسلم، ومجتمعه الأوربي الذي نعيش فيه ، وكان هؤلاء الأفاضل نعم المعينين في توضيح هذه العلاقة، وإزالة الغبش.

ولاشك أن واحداً مثلى - قليل بضاعة في العلم - لايداني هؤلاء الأجلاء لانشغاله في عمل يطال مؤسسات كبيرة وعديدة، ومنظمات على ساحة أوروبا جميعاً، ولايتيسر له الوقوف بنفسه، على ماقرره أهل العلم في ذلك كله، لكنه يرى الحاجة الماسة لأكثر من خمسين مليون مسلم على ساحة أوروبا منهم خمسة عشر مليوناً في أوربا الغربية، وهؤلاء يحتاجون إلى فقه واقعى ليعيشوا في هذا المجتمع ، وإن كان أهل العلم والفقه تكلموا كثيراً في حقوق الذمى في المجتمع الإسلامي، غير أنهم لم يأخذوا

بالتفصيل والدراسة المتعمقة وضع المسلم والمسلمين عندما يعيشون كأقلية في مجتمع يحكمه قانون الأغلبية، خاصةً وأن ما يقارب ثلث المسلمين اليوم هم كذلك (٤٣٢ مليون من المسلمين يعيشون كأقليات) .

وقد وجدت طريقاً مختصراً لأنصاف المتعلمين من أمثالى، يعطينى صورة ملخصة لكنها حقيقية لطبيعة هذه العلاقة كما حددها هذا الدين، ربما تحتاج لأن تكمل في جوانب أخرى من خلال سؤال أهل العلم من أمثال من ذكرنا وكان ذلك الطريق المختصر، هو دراسة سيرة الرسول المصطفي ﷺ دراسة تفصيلية، وليس دراسة سيرة ابن هشام ، التى لاتتطرق إلى اليوميات التى عاشها الرسول ﷺ مع مجتمع كافر في مكة المكرمة ومع مجتمع مسلم فيه أهل كتاب في المدينة المنورة، لكنك عندما تمر على ماكتبه ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية، وما كتبه ابن القيم – رحمه الله– في (زاد المعاد) وغيره من الأقدمين ،وماكتبه عماد الدين خليل، ومحمد الغزالي ومصطفى السباعي ومحمد سعيد رمضان البوطي، وصاحب الرحيق المختوم،وآخرون، عندما تقف على هذه الدراسات لسيرة المصطفي ﷺ تستطيع أن تتعرف على طبيعة هذه العلاقة، وكان ذلك هو الطريق المختصر وهو دراسة سيرته العطرة ﷺ بمراحلهاالثلاث :

أ- مبعثه صلى الله عليه وسلم

ب- بعد البعثة في مكة (ما يقارب ١٣ عاماً)

ج- بعد البعثة في المدينة (١١ عاماً)

فهو ﷺ من أنزل عليه هذا القرآن، وحمل رسالة الإسلام، فحياته هي الترجمة الحقيقية لهذا الدين، ولايمكن أن يدعى أحد مهما بلغ من العلم أنه يفهم أكثر من رسول الله ﷺ .

التيسير علامة هذا الدين

وخرجت من هذه السياحة البسيطة بأنه ﷺ كان يميل في شؤونه كلها إلى التيسير ، وفي علاقته مع الجميع إلى الرفق واللين، لامع المؤمنين والأتباع فحسب، بل مع المشركين والأعداء وربما لا تتجاوز عدد مواقفه الشديدة عدد أصابع اليدالواحدة، ومنها موقفه مع اليهود، على ماكان منهم من غدر وخيانة، وموقفه ﷺ من سارقي إبل الصدقة، ومن بعض الأسرى الذين عفا عنهم ثم تكرر منهم العمل ضد هذا الدين وهذه الدعوة، ويمكن القول أن شدته تركزت في أهل الغدر والخيانة.

أهداف المؤسسات الإسلامية في أوزوبا

ولاشك أن المؤسسات الإسلامية على اختلاف مشاربها، وتعدد أهدافها، وتنوع وسائلها ، قامت خلال العقود الثلاثه أو الأربعة الماضية والتى رافقت وجود المسلمين واستقرارهم في هذه الديار بخدمات جليلة

للجالية المسلمة كان لها أثر كبير فيما نلحظ من انتشار للصحوة الإسلامية بينهم، والتزامهم بقيمهم الإسلامية، بل ساهمت أيضاً في انحياز عدد من غير المسلمين إلى هذا الدين العظيم .ويمكنني تلخيص الأهداف التى عملت المؤسسات على تحقيقها في تلك الحقبة في أمرين اثنين :

الأول: الحفاظ على الهوية الإسلامية للوافدين ،والحيلولة دون انحرافهم وتأثرهم بالقيم المادية للمجتمع الغربي ، وتأهيلهم للرجوع إلى بلادهم الإسلامية ، كى يكونوا أعضاء فاعلين في العمل الإسلامي وخدمة المجتمع الذي وفدوا منه بل إن هناك أعداداً كبيرة من المسلمين - والطلبة على وجه الخصوص - الذين وفدوا من المشرق الإسلامي وكانوا غير ملتزمين بالفرائض الاسلامية إلى هذه البلاد، فاحتضنتهم هذه المؤسسات ورعتهم، وكان لذلك أثر عظيم في عودتهم إلى دين الله تعالى .

الثاني: مساندة الأمة الإسلامية والعمل الإسلامي في المشرق، واستغلال الحرية المتاحة لإصدار النشرات، والبيانات والمجلات ، والقيام ببعض النشاطات مثل المظاهرات العامة وما إلى ذلك، للتعريف بقضايا المسلمين، والمسلمون يدركون ما حققته الحركة الإسلامية على يد الأخ سعيد رمضان ومجلة " المسلمون "في سويسرا خلال الستينات والسبعينيات من التبشير بالإسلام والدعوة إلى دين الله تعالى ، وكذلك دور مجلة "الغرباء" و لأكثر من ثلاثين عاماً في التعريف بقضايا المسلمين والدفاع عنها.

ولا أزعم أيها الأخوة أن كلا الهدفين المذكورين قد تم تحقيقهما على أكمل وجه بل كان هناك بعض القصور وله أسباب كثيرة سأقف على بعضها في هذه العجالة، ويمكنني القول أن المؤسسات الإسلامية قد حققت نجاحاً كبيراً لم تتوقعه دوائر القرار، لافي بلاد الغرب، ولافي بلاد المسلمين، في الشرق، ولازلت أذكر أن إبنة لرئيس وزراء من بلادنا الإسلامية جاءت إلى مانشستر في بريطانيا وكانت سافرة، ولكن بفضل الله تعالي ارتدت الحجاب الإسلامي ، ولما رجعت إلي بلادها جمعوا لها العلماء ليفتوا لها أن الحجاب ليس من الشريعة الإسلامية.

ولكن بعد أن استقرت الكثير من الجاليات الإسلامية في أوروبا، ونشأت، وترعرعت أجيال في هذه الديار، وتبلورت ثقافتها في هذه الديار، أصبح لزاماً على العاملين في الدعوة وضع الخطط والبرامج المكثفة التى تستوعب الجالية الإسلامية، حاضرها ومستقبلها ، ووضع أولويات الأهداف التى ينبغي أن تتحقق. وإذا كان ثمة أهداف جديدة، فهل وضع هذه المؤسسات الإسلامية يساهم في تحقيق تلك الأهداف الجديدة؟

وضع المؤسسات الإسلامية

ولابد قبل الحديث عن وضع المؤسسات الإسلامية ، أن نحدد أولاً أهم الأهداف التي ينبغي أن تعمل على تحقيقها تلك المؤسسات سواءًعلى المدى البعيد أو القريب، وهذه الأهداف يمكن تلخيصها في هدفين استراتيجيين:

الأول: نشر وترسيخ القيم الإسلامية والإنسانية الحضارية، في نفوس القائمين على مؤسسات العمل الإسلامي، وبين أبناء الجالية الإسلامية بمختلف مستوياتها ، والتعريف بالإسلام ، والدعوة إليه في المجتمع الأوروبي، والإسلام يضم أعلى مراتب القيم الإنسانية والحضارية ، وفي قناعتي أن العقيدة الإسلامية هى الأساس الذى تنبثق عنه مثل هذه القيم الحضارية ، فإذا أخذنا قيمة الحرية مثلاً ، فإن الإنسان لن يتحرر من عبودية أخيه الإنسان إلا إذا أخلص العبودية لله تعالى ،بل إن الانسان لن يتحرر من عبودية الأهواء والشهوات إلا إذا حقق العبودية الخالصة لله عزوجل.

فالعقيدة الإسلامية هى المصدر الأساسى الذى تنبثق عنه تصورات المسلمين ، وبالتالى تتحول مثل هذه التصورات الراقية إلى سلوك عملى حي، يسعى من خلاله المسلم إلى مرضاة ربه، وتلك هى غاية الوجود الإنسانى ، فيبدو هذا الكائن الحى من خلال تمسكه بالعقيدة الصحيحة، والسلوك السوى كأرقى ما يكون بنو البشر، اعتقاداً ، وسلوكاً و عملاً.

ولنا في التاريخ الإنساني العبر والعظات ، فالمغول الذين جاءوا إلى بلاد المسلمين غزاة مقاتلين استحلوا الدماء، وعتوا في الأرض مفسدين، ولكنهم بالرغم من ذلك تأثروا بما رأوه من سلوك المسلمين، وما لمسوه من حسن معاملتهم، ورقي قيمهم وتقدمهم في مجالات العلوم المختلفة، ولقد كان لذلك أثر كبير في دخول الكثير منهم في دين الله أفواجاً، مع أن القاعدة الطبيعية تقول أن القوى الغالب هو الذى يفرض قيمه على المغلوب ،

لكن لهذا الدين سلطان لايستطيع مقاومته صاحب الفطرة السليمة والعقل الراجح.

ولقد تأثرت بما قرأته في كتاب الدكتور (عبدالكريم زيدان) المسمى (السنن الإلهية في الأفراد والجماعات) قوله في تفسير قوله تعالى:
﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾[(١)] وما نقله عن مشاهير المفسرين من أن معنى (الظلم) هو الشرك والكفر فيكون معنى الآية (وما كان ربك ليهلك القرى "بشرك أو كفر" وأهلها مصلحون).

يعنى هذا أن سنة الله في الأمم ألا يهلكهم سبحانه وتعالى بشركهم وكفرهم بالله ماداموا قائمين على أمر الإصلاح والعدل، ولكن سنة الله في الإهلاك تكون بكثرة الفساد والظلم، وهذا المعنى أكده ابن تيمية -رحمه الله- بقوله: [إن الله ينصر الدولة العادلة، وإن كانت كافرة، ولاينصر الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة]. فقيم العدل، والحرية، والرحمة، وحب الخير والأمانة، والحفاظ على العهود، هذه هى القيم الرائعة التى أثمرتها حضارة الإسلام الخالدة.

وهذا الذي يجب أن ترسخه المؤسسات الإسلامية في نفوس المسلمين وتعرف به وتدعو إليه في المجتمع الأوروبي من خلال مخالطة واندماج مع شرائحه المختلفة، ومن خلال موازنة دقيقة بين الحفاظ على الهوية

١-هود: ١١٧

الإسلامية والمساهمة الفاعلة في الحياة العامة .

الثاني : العمل على تغيير العلاقة العدائية بين أوربا والبلاد الإسلامية بل والإسلام ككل إلى علاقة سلام تبنى على تبادل المنافع ولن يتم ذلك إلا من خلال وجود أعداد كبيرة من الكفاءات والقدرات من أبناء الجالية المسلمة تساهم في مجالات الحياة المختلفة في أوربا ومن ثم يكون لها تأثير حقيقي في المجتمع الأوروبي وعلى الأخص على صانعي القرار من قيادات اجتماعية وفكرية وإعلامية واقتصادية وسياسية .

والقول أن اليهود استطاعوا أن يكون لهم تأثير قوي في هذا المجتمع واستعمالهم لمجرد سيطرتهم على المال والإعلام وسائل خسيسة ومنحطة ، قول يفتقر إلى الدقة ، فاليهود قد يستحلون ما حرم الله في كثير من الأحيان، ولكنهم صبروا وصابروا ،وبذلوا جهداً كبيراً لقرنين من الزمن، وقدموا للمجتمع الأوروبي خدمات جليلة ، وكان منهم علماء كثر في جميع مناحى الحياة، في القانون و الكيمياء، والفيزياء، والطب والهندسة وغيرها، ومن خلال تلك الخدمات استطاعوا النفاذ إلى مواقع صنع القرار في المجتمع الأوروبي .

وضع المسلمين في أوروبا

واليوم هناك ما لا يقل عن (١٥) مليون مسلم ، الكثير منهم من أبناء الجيل الجديد ممن ولد وترعرع وتشرب ثقافة أوروبا في أوروبا الغربية، وما يقرب من (٣٥) مليون مسلم في أوروبا الشرقية ، إنها أجيال من المسلمين ، لابد أن توجه توجيهاً صحيحاً كى تثمر جهود العاملين في الحقل الإسلامي في تحويل هذا العدد الكبير إلى قوة مؤثرة في المجتمع الأوروبي .

ففي فرنسا لوحدها هناك (٤٥٠,٠٠٠) مسلم فرنسى ، إضافة إلى خمسة ملايين مسلم من أصول عربية وأفريقية ، جلهم اليوم يحملون الجنسية الفرنسية . وما اتخذته الحكومة الفرنسية ضد المسلمين في فرنسا من إجراءات مكثفة لمنع الحجاب ، باعتباره ظاهرة من مظاهر الالتزام بالاسلام ، إنما هو بسبب انتشار دعوة الله بين صفوف أبنائها ، وانحياز عدد من الفرنسيين إلى الاسلام كدين ، وشعورهم - غير المسلمين - بأن قيم الإسلام تهدد بعض قيمهم ، وهذا في غياب القدرات الحقيقية ، ومن يمثل الإسلام تمثيلاً جيداً، فما بالك لو تحولت كل الجالية المسلمة إلى قدوات للنور والخير، الطبيب في مستشفاه والمهندس في مصنعه، والتاجر في متجره، وهكذا ، فعندئذ ، فإن من لم يدخل الإسلام فسيقدره ويحترمه على أقل تقدير . وأحسب أن الأوروبيين - كبقية البشر- يتأثرون بالحسن والأسوة الحسنة .

وقد قال أحد أعضاء البرلمان البريطاني في أحد المؤتمرات في بريطانيا ما يلي: (لقد ولدنا نحقد على الإسلام ، ورضعناه من حليب أمهاتنا ، ولكن عندما خالطنا مثل هؤلاء وأشار إلى بعض قيادات العمل الإسلامي (منهم البروفيسور / خورشيد أحمد) تغيرت آراؤنا حول الإسلام كثيراً .)[وهو رئيس المؤسسة الاسلامية في ماركفيلد ووزير سابق للتخطيط في باكستان ونائب أمير الجماعة الاسلامية في باكستان]

ولاشك أن مثل هذه الأهداف ، لايتصور أن تتحقق في يوم وليلة ، بل دونها عقبات كثيرة ، لكن الهمم العالية ، والتضحيات الجسيمة ، والتخطيط السليم ، يكفل تقريب البعيد ، وتذليل الصعاب .

ولعل أحد أهداف اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا هو في ضرورة تحويل المراكز والمؤسسات الإسلامية القائمة اليوم في بلاد الغرب إلى مراكز إشعاع تتعدي دورها التقليدى في القيام بأداء الشعائر التعبدية والمناشط الاجتماعية والثقافية إلى تبصير الجالية الإسلامية بواجباتها تجاه هذا المجتمع الذى يعيشون وبالعمل على المبادىء والقيم الإسلامية لنشرالقيم الإسلامية بين أبنائه ، والمساهمة الفاعلة في جوانب الحياة المختلفة .

إن هذه الأفكار والأهداف تحتاج منا إلى نظر دقيق في وضع المؤسسات الإسلامية ، و ضرورة تطوير أوضاعها الداخلية ، وعلاقاتها العامة .

ما تحتاجه المؤسسات الاسلامية

يمكن تلخيص بعض الأمور التى نحسب أن المؤسسات الإسلامية بأمس الحاجة إليها هي كالتالي:

أولاً: أن يكون إنشاء المؤسسات إنعاكساً لحاجة حقيقية ضرورية وأساسية، لأن هناك ما لايقل عن (٧٠٠٠) مؤسسة إسلامية في أوربا من مساجد ومراكز اسلامية، ففي فرنسا لوحدها هناك أكثر من (٢٠٠٠) مؤسسة، وفي بريطانيا وحدها هناك أكثر من (١٥٠٠) مركز ومسجد ومؤسسة، ولكن هل الغاية هو إنشاء المؤسسات؟

من خلال سفرى عبر الساحة الأوربية وجدت أن هناك أموالاً طائلة، وجهوداً عظيمة تبذل على مراكز في الواقع هى متاحف جميلة أو أطلال، ليس لها دور، واليوم هي تعانى من مصائب كثيرة، وتعانى من الإفلاس وربما الإقفال، هناك عشرات المساجد والمراكز الكبرى في بلدان أوروبية عديدة لا يؤمها إلا نفر قليل من المسلمين وتحتاج إلى أموال طائلة لصيانتها والصرف عليها، فإذاً لم تكن هناك حاجة حقيقية في الواقع لبناء تلك المباني الضخمة فالأنسب إنفاق هذه الأموال في مؤسسات اجتماعية وتعليمية ووقفية، يكون لها أثر كبير في تحقيق الأهداف التى كنا نتكلم عنها.

وأنا أقترح أن المؤسسات التى تفشل في تحقيق عملها، أو التى ليست لنابها حاجة ولاتقوم بدور إيجابي، فإن مثل هذه المؤسسات الأَوْلَى أن

تتحول إلى مؤسسات أخرى نافعة أو حتى تباع ليستفاد من ثمنها فيما هو أنفع .

ثانياً: إعادة النظر في الوضع الإدارى للمؤسسات الإسلامية ، لإن المؤسسات الإسلامية اليوم هى أبعد ما تكون عن العمل المؤسسى الحقيقي ، وهى انعكاس لطبيعة التربية التي عشناها في الشرق الإسلامي ، وهي تحتاج في نظرى إلى أربعة أمور :

أ- وجود هيكل إدارى واضح يعتمد مبدأ العمل الجماعي المستند إلى الشورى حيث يتم تدارس الخطط والبرامج ثم التنفيذ بناءً على ما تقرره الشورى ، ولكن كم هي المراكز الإسلامية التى تدار بهذا الأسلوب؟! أحسبها قليلة ، إذ جلها تدار من إخوة فضلاء ، نعم ، لكنهم يتصرفون بشكل فردي ، وكم من بلاء حل بإدارة هؤلاء الأشخاص ذوي الطبيعة الفردية .

ولقد مررت بالكثير من المؤسسات الإسلامية في دول أوربية عديدة ، ويدهش المرء وهو يلاحظ كيف تدار تلك المؤسسات ، والمشاكل الكثيرة التي تكتنفها . فمن أجل أن يكون العمل المؤسسى مثمراً وجاداً، فلابد أن يكون هناك مجلس إدارة ،وعمل جماعي يستند إلى الشورى ، وهيئة عمومية تحاسب وتوجه ، معروفة الصلاحيات، أما المؤسسة القائمة على الآراء والاجتهادات الفردية، فهذه عرضة لأن يحولها الاستبداد من مؤسسة عاملة لخدمة الإسلام ، إلى مؤسسة عاطلة عن

تقديم المساعدة حتى لنفسها، ولا يمكن للفردية أن تبدع وتستمر، بل لابد من الجهد الجماعي المنظم.

ب- أن يكون تداول العمل المؤسسي لفترة محدودة، بحيث تعطى فرصة أكبر لكل من له كفاءة أن يطور هذا العمل ويبدع لأن كل مؤسسة من المؤسسات على المدى البعيد تنطبع بزلات رئيسها ومسؤلها، وتنكشف عوراته وأخطاءوه بعد حين، فالأجدى أن نستفيد مما حققته العلوم الحديثة في هذا المجال لإن الإدارة أصبحت علماً يدرس، وبعض الدول الأوربية عندما تحدد دورة رئاسة الجمهورية بدورتين فهذا ليس عملاً عشوائياً، وإنما هو نتيجة تجارب حقيقيه لها ايجابيتها الواضحة والبينة.

ج- اكتشاف الطاقات والمواهب، والقدرة على توظيفها في المكان المناسب وليست هناك غضاضة في نقد أنفسنا، لأن هناك الكثير من الطاقات المعطلة والغير مستفاد منها، وقديماً قال الفاروق رضى الله عنه: «اللهم إنى أعوذ بك من جلد الفاجر، وعجز الثقة» فليس كل ثقة يستطيع أن يؤدى شيئاً.

د- التقويم العملي لكل الأعمال الإدارية، سنة بعد سنة، لتلافي الأخطاء وعدم تكرارها، وأيضاً لتراكم التجربة وانتقالها من إدارة إلى الإدارة التي تليها.

هـ - وجود خطط علمية لهذه المؤسسات ، محددة الأهداف، مع تحديد الأهداف المرحلية ، والسياسات التى تتخذ لذلك .

و - استقرار الوضع المالي لهذه المؤسسات، وهذا أمر بالغ الأهمية، فاعتماد المؤسسات الإسلامية على التبرعات الخارجية عمل غير صحيح، وإن أي انحسار في هذه التبرعات سيساهم في إرباك عمل المؤسسات وسيعرقل إنجازها لمشاريعها ، وأحسب أن إنشاء الأوقاف الإسلامية واحدة من المشاريع الهامة التي يجب العناية بها لاستقرار الوضع المالي للمؤسسات.

ثالثاً: تطوير الوضع الجمالي والحضاري للمؤسسات الإسلامية، فمؤسساتنا يجب أن تكون مرتبة منظمة جميلة، وأزعم أن الوضع الجمالي لأي مؤسسة له أثر كبير في انحياز الناس إليها ، مسلمين وغير مسلمين.

ومن تلك المؤسسات الجميلة التى يمكن أن يكون لها وجه حضاري هى المؤسسة الإسلامية في ماركفيلد في بريطانيا حيث تقام الدورات الكثيرةلعدد غير قليل من المؤسسات الخدمية والاجتماعية البريطانية، كالمدرسين ورجال الشرطة والموجهين الاجتماعيين والممرضات وغيرهم ، والتي تساهم في التعريف بالإسلام وفهم مبادئه ، فتلك المؤسسة مثال للمكان النظيف والمرتب والجميل.

رابعاً: إقامة علاقات واسعة بين المؤسسات الإسلامية القائمة بعضها مع بعض، بالتعاون والتنسيق والتكامل بين المؤسسات الكثيرة، مع وضع

وتحديد أوجه الاتفاق والتقارب ، وأحسب أن القواسم المشتركة كثيرة وتحرير أوجه الاختلاف ، ومحاولة حل المشاكل بالحوار الهادىء والجاد و بالطرق والوسائل المناسبة ، وتحرير المؤسسات الإسلامية من انعكاسات خلافات المؤسسات الإسلامية في المشرق الإسلامي، و الخلافات الحركية، والمشاكل المذهبية والعرقية ، قدر الإمكان، والتركيز على مبادئ الإسلام وفضله وقيمه العظيمة .

وهذا - لا شك - سيساهم في ترسيخ عرى الأخوة بين العاملين في الحقل الإسلامي ومن ثم في الدعوة إلى هذا الدين بين الناس . وإن ما حدث بعد حرب الخليج الثانية شكل مؤشر إنذار لجل المؤسسات الإسلامية في أوروبا والغرب عموماً .

خامساً: الانفتاح الحقيقي على المؤسسات الأوروبية المماثلة ، وتحويل مؤسساتنا إلى مراكز إشعاع للتعريف بالاسلام وقيمه ، من خلال الندوات، والمؤسسات ، والمناشط المختلفة.

ففي المؤتمر الاسلامي السنوي السابق لاتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا ، حضر ممثلون عن مؤسسات فرنسية منها ممثل عن الكنيسة البروتسانية ، ودافع عن الإسلام ، ودوره في فرنسا ، أكثر مما يدافع بعض المسلمين ، كما وحضره عدد من الشخصيات البارزة التى كان لها حديث طيب عن الإسلام .

وكان من النافع حقاً حضور أمثال هؤلاء الناس لمؤتمرنا هذافي بريطانيا، ولقد أعجب الجميع برئيس المؤسسة الشبابية في فرنسا (وهو يمثل أكثر من عشرة الآف شاب وشابة على ساحة فرنسا) كيف كان يحاور هؤلاء الناس، بموضوعية وانفتاح كامل ، وكيف كان يتكلم عن الإسلام، ومستقبله ودوره في فرنسا، وكيف يمكن للجميع أن يساهموا في إرساء قواعد مجتمع فرنسي متعدد الأعراق والثقافات ، وتحدث عن مشاكل الجالية المسلمة، والشباب المسلم في مختلف مدن فرنسا .

وقد عقد إخواننا في فرنسا - قبل سنة تقريباً - ندوةً فكرية حضرها عدد من الشخصيات الإسلامية الواعية من أمثال الشيخ يوسف القرضاوي ، وكان قد حضر الندوة عدد من المفكرين ، الفرنسيين والأوربيين وحتى من أمريكا ، وكان لها أثر كبير في التعريف بالإسلام ، وأثره الإيجابي على المجتمعات الأوروبية ، بل والبشرية جمعاء. إننا بحاجة إلى انفتاح عليا للمؤسسات الأوروبية من خلال المؤسسات الإسلامية مثل :
[جمعية الطلبة المسلمين في المملكة المتحدة وآيرلندة M.S.S]
و[اتحاد الجمعيات الطلابية في الجامعات البريطانية FOSIS]
وكذلك [دار الرعاية الإسلامية] والمراكز والجمعيات والمساجد على الساحة البريطانية.

سادساً: و أخيراً أحب أن أوكد أن ذلك كله لايأتى بالفائدة المرجوة - وبعد توفيق الله - إلا بالعمل الجاد الدؤوب ، والتفاني والنصيحة والبذل

والصبر على كثير من المشاكل التى تعترض طريق هذه الخطوات، إضافةً إلى عناية خاصة بالأجيال الجديدة من أبناء الجالية وترسيخ فهم معتدل للإسلام وربطه بواقع الحياة الأوروبية ، وذلك يحتاج منا إلى تركيز أكبر، لإنهم الأقدر على مواكبة التطور الحضاري والأخذ بالأسباب التى تلائم طبيعة المجتمع الذى يعيشون فيه .

*** *** ***

جزاكم الله خيراً وسدد خطاكم

وكلل مؤتمركم هذا بالنجاح والتوفيق

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المبحث الرابع

الإسلام في الغرب
وعلاقته
بالأنظمة الغربية

فضيلة الشيخ/ راشد الغنوشي

الإسلام في الغرب
وعلاقته بالأنظمة الغربية

إن الحمد الله ، نحمده، ونستعينه ، ونستغفره ،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلي وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين. ﴿**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلاً**﴾(١)

أجدني في افتتاح هذا اللقاء مدعوا إلى أن أحيى باسمكم جملة من رجالات الإسلام ، جملة من الرموز الإسلامية الصامدين في مواقع مختلفة ، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر ، ومابدلوا تبديلاً. عدد من الإخوة الكرام كان يمكن اليوم أن يكونوا بيننا، وقد تعودتم أن تستمعوا إلى تأملاتهم، هم اليوم حيل بينهم وبين مايشتهون من لقائكم فلا أقل من أن نتذكرهم، وندعوا الله تعالى أن يفرج كرباتهم ، وأن يجمعنا وإياهم في يوم نصر قريب، لاهنا في هذه البلاد كمهاجرين لاجئين، وإنما في بلاد الإسلام قادة وهداة، وفي بلاد الغرب والعالم دعاة وهداة إلى الله تعالى.

١- الأحزاب : ٢٣

وهم شاهدون على أن عالمنا هذا رغم كثرة الحديث فيه عن الديمقراطية، والحريات العامة، هذا العالم لايزال قائماً على الظلم رغم تطلعات البشرية وتضحياتها الكبيرة من أجل الحرية والعدالة، والأخوة الإنسانية لايزال الظلم موجوداً ، ولاتزال قوانين الظلم هى التي تحكم عالمنا اليوم ، وإلا فهولاء لايستحقون أن يسجنوا يوماً ، فهم أهل لأن يقودوا العالم بأسره، بدل أن يساموا الهوان .

وأعجب ما في الأمر أن هذا القمع الذى يمارس على دعاة الإسلام اليوم ومنهم القعيد مثل الشيخ أحمد ياسين ، ومنهم الضرير مثل الشيخ عمر عبدالرحمن ،ومنهم من انتخبه شعبه للقيادة فسطا عليه الظلمة، ونبذوه في ظلمات السجن مثل شيوخ الحركة الإسلامية في الجزائر وعلى رأسهم الشيخ عباسي مدني والشيخ علي بالحاج ، وشيوخ الحركة الإسلامية في تونس مثل : الشيخ الحبيب اللوز والشيخ علي العريض والدكتور الصادق شورو والمهندس حمادي الجبالي، ومن الغريب أن قمع الأبرار يجد دعماً من الدول الديمقراطية الكبرى في الغرب .

الإسلام وقيم الحرية

وقد لا يكون هذا التقديم مناسباً للحديث الذى سأتناوله معكم، وهو علاقة الإسلام بالغرب، ومستقبل الوجود الإسلامي في الغرب. ولكنني أريد بهذا التقديم أن أؤكد أن قيم الحرية، وقيم تكريم الإنسان باعتباره إنساناً، هذه القيم لا تعرف لها مكاناً مقدساً أفضل من ديانة الإسلام التي

لم يميز شعباً عن شعب، لإن الناس كلهم مخلوقات لله تعالي. ولكن مما لا ينبغي غمطه ما حصل في الغرب من ثورات فكرية وسياسية حررته من ظلمات الكنائس والإقطاع ووفرت مسافة من التسامح أتاحتلأول مرج في التاريخ الفرصة أمام وجود ملايين من المسلمين يعيشون في نوع من السلام النسبي ، ويقيمون مؤسساتهم الدينية ويعقدون مثل هذا اللقاء، ويتمتعون بقدر من التسامح، وهذه ظاهرة حديثة جداً لايعد عمرها بالقرون، ولكن بالسنين.

تسامح أم عدالة؟ :

وهناك فرق بين التسامح والعدالة، فرق بين أن تعطيني حقى باعتباره حقاً لي وبين أن تتسامح معي . أن تتسامح معي فذلك يعني أنك يمكن أن تسحب هذه المنَّة، بينما الإسلام لم يتسامح مع الناس ، إنما أعطاهم حقوقاً، فهذا هو العدل، وأعلى منه مستوى الإحسان ،أي إعطاء الحق وزيادة ، لقد ارتقى الإسلام بالبشرية من مستوى العدل إلى مستوى الإحسان ، بينما لم يتجاوز الغرب في تعامله مع الإسلام مستوى التسامح والتسامح ، أي دون الحق الثابت وذلك أن بلاداً غربية قليلة مثل بلجيكا والنمسا واسبانيا هي التي اعترفت بالإسلام.

ما أريد قوله هو أن الوجود الإسلامي في بلاد الغرب هو حقيقة تعبر عن نفسها من خلال عشرات الملايين من البشر ، وهى ظاهرة كما ذكرت حديثة جداً، وطوال القرون التى تسمى القرون الوسطي في مصطلح الغرب ،

وحتى إلى بداية هذا القرن، لم تشهد البلدان الأوربية، شمال ووسط وغرب أوربا، لم تشهد الإسلام ولم تعرفه إلاعلى جبهات المواجهة والقتال فأن يوجد في مالايزيد عن قرن ، عشرات الملايين من المسلمين ، فهو من أعظم انجازات الإسلام وكراماته في هذا القرن الذي يحتقر الدين ، وهو لا يمثل كسباً لأمة الإسلام فحسب بل أيضاً رصيد للغرب مهم جداً ، لأنه لأول مرة تتاح للغرب فرصة التعايش السلمي مع الإسلام و المسلمين على أرض الغرب نفسه ، مع إن الأرض كلها في تصور الإسلام لله، ووضعت للأنام أي كل الناس.

لقد كنا - منذ ظهر الإسلام - نلتقي مع الغرب كمسلمين على الحدود مقاتلين، وكنا لانعرفه إلا غازياً ، واليوم ملايين من المسلمين يعيشون في بلاد الغربفي أمن نسبي وتسامح نسبي، وهذا لعمري تطور مهم جداً، وهو ليس بحال ثمرة تسامح مسيحي لم يكن موجوداً وتشهد على انعدامه حروب الإبادة ضد الإسلام في الأندلس وفلسطين والبوسنة وكوسوفا بمباركة من الكنائس بقدر ما هو ثمرة من ثمار الثورة العلمانية في الغرب. فمن باب ما أنجزته من تحرير للعقول من التعصب وما أرسته من مذهب إنساني يؤسس لوحة الإنسانية وحقوق الإنسان دخل الإسلام ديار الغرب بعد أن أجلاه منها التعصب الديني بالحديد والنار .... بينما تمتعت المسيحية دائماً بالإعتراف والإحترام ، حقاً أصيلاً وليس من قبيل التسامح. فما أنجزته العلمانية في الغرب جزئياً من تحرير و تسامح وتعددية ، أنجزه الإسلام على أكمل وجه دفعة واحدة.

فوائد العلمانية الغربية

بينما العلمانية في العالم الإسلامي قد جاءت على ظهر دبابة حاملة إليه الشرور ، ارتبطت في العالم بالأنظمة الدكتاتورية ، وبالفساد، على حين أنجزت العلمانية في بلاد الغرب بداية النهضة والتحرر العقلي والسياسي من أسر الطغاة، والإقطاع ، والجهالات والخرافات ،وهذا أمر عجب، فالظاهرة الواحدة قد تقوم بأدوار مختلفة بحسب المكان والزمان .

قلت إن الوجود الإسلامي رصيد للغرب، لإنه لأول مرة تتاح للغرب الفرصة أن يري الإسلام عن قرب، وهو رصيد للإسلام أيضاً، بوجود هذه الملايين ، لإن معناه أن ما عجز المسلمون عن أدائه طوال القرون الطويلة من ايصال أقباس من نور الإسلام إلى الغرب باعتبارهم مكلفين بحمل هذه الرسالة ما عجزوا عن انجازه وحلموا به في عصر قوتهم ونهضتهم، قد مكنهم المولي سبحانه وتعالي منه في عصر ضعفهم ،إذ انتشر الرسلام في أرجاء المعمورة واخترقت أنواره القلاع الغربية التي أوصدت في وجهه بسبب الجهالة والإقطاع ، و سيطرة الكنائس خلال العصور الطويلة على هذه الشعوب .

التوازن المفقود

إن وجود الإسلام في الغرب يمثل إعادة التوازن المفقود، في العالم الإسلامي حيث نشأ وقتئذ المجتمع الأول بقيادة النبي ﷺ ونشأت التعددية

الحضارية و التعددية الدينية و نظمت الوثيقة أو الصحيفة - وهى أول دستور تعددى في التاريخ - نظمت مجتمعاً تعددياً، فالغرب لم يعرف هذا التعدد، بينما في الرسلام وتاريخه ومجتمعاته قد ترسخت فيها التعددية الثقافية والدينية بما يتجاو ز مستوى التسامح القائم في الغرب بعد كل ثوراته، وقصة تاريخ اليهود في الغرب معروفة ، وهي تختلف تماماً عن تاريخهم في ظل الإسلام حيث نعموا بما يتجاوز العمل إلى الإحسان، والأمر ذاته مع النصارى ، ومع كل أرباب الملل تأسيساً على مبدأ الإسلام في استخلاف الإنسان ، كل إنسان ،وتكريمه من قبل الله رب العالمين .

هذه الظاهـــرة ظلت معدومة في الغرب، فمقابل وجود مسيحين وجاليات مسيحـــية، بل مواطنون مسيحـــيون في البلاد الإسلامية . وفي عصرنا وجدت في بلاد الإسلام طوائف جديدة، و فئات علمانية انسلخت من الأمة الإسلامية، وأصحبت تمثل الغـــرب في الأمـــة الإسلامية أكثر مما تمثل الأمة الإسلامية نفسها، ومع ذلك فالدعاة المسلمون المعاصرون دعوا إلى التعايش مع هذه الفئات العلمانية ، بينما الفئات العلمانية التي تمثل الغرب لاتزال تضطهد المسلمين ، وتماري في قبول التعددية، وتمارس أبشع صور القمع والإقصاء بما يعتبر شذوذاً اليوم في الغرب ، وبما يذكر بالماضي الغربي بالكنيسة والإقطاع ، ولا علاقة له بحاضر الغرب .

لذلك فإن وجود الإسلام في الغرب هو نوع من استعادة هذا التوازن المفقود بين الإسلام وبين الغرب ، فكما نحن موجودون اليوم في ديارهم ، كما هم موجودون في ديارنا منذ زمن بعيد ، وهذا لصالح البشرية ، لأنه عندما تتمايز الصفوف فذلك يعني بداية الحرب، ولإننا نحن -المسلمين- دعاة سلم ودعاة خير، ودعاة حق، فنحن أكثر الناس سعادة بسيادة مناخات الحرية، ومناخات السلم ، ونحسب أن وجود عشرات الملايين من المسلمين في الغرب هو جسر تواصل في الإتجاهين بين العالم الإسلامي والغرب .

وهذا طرح يختلف عن الطرح المقابل ، الذي يتحدث عن الخطر الإسلامي ويتحدث عن الغزو الإسلامي ، والفتح الإسلامي، إنه حقاً فتح سلمي سلس مكن علشرات الملايين من المسلمين من التعايش في هذه البلاد ، من التعايش سواءً كانوا مواطنين من أصل الميلاد أم اكتسبوا حق المواطنة، وهذا هو الذى يريده الإسلام .

الغرب بلاد مفتوحة في حكم الشريعة : على اعتبار أن غاية الفتح العسكري (الجهاد) لم تكن فرضاً لدين على من يرفضه ، فذلك أمر قطعه الإسلام جملة بنهيه تحريماً مطلقاً عن الركراه ، وإنما كان قصده الأسلسي فتح المجال أمام حرية الدعوة لعرض الإسلام على الشعوب لتقبله عن بينة أو ترفضه .

وهذه المهمة : توفير الحرية الدعوة قد أنجزتها الثورات العلمانية الغربية .

فما بقي من حديث عن جهادٍ مشروع في ديار الغرب لغير جهاد الدعوة

والكلمة والأسوة الحسنة.

وحتى الفتح العسكرى في التاريخ الإسلامي، لم يكن إلا مقدمة للتعايش السلمي بين المسلمين وبين غيرهم ، بعد إزاحة الطغاة جانباً، لإتاحة الفرصة أمام الدعاة، وأمام أهل البلد الأصليين أن يتعرفوا عن الإسلام عن قرب، بعيداً عن مناخات الثأر، والدم، والقتل. فأن يتحقق هذا بدون حروب في عصرنا هذا، فإن ذلك كسب للجانبين معاً، غير هذا الكسب، وهو أن تتاح فرصة للغربيين أن يتعرفوا على الإسلام عن قرب، هذا الكسب ليس كافياً، فلا يزال المسلمون يعيشون في الغرب لا على أساس الحق، وإنما على أساس التسامح.

تسامح تجاه الإسلام في الغرب

وحتى الآن فإن الإسلام ليس معترفاً به بصورة رسمية في البلدان الغربية الكبرى، مثل فرنسا وألمانيا وانجلترا ، ومعظم البلدان الصغرى ، لم يعترف فيها بعد بالإسلام كدين رسمي ، وإنما لايزال الإسلام يعيش في حالة تسامح، وبالتالى يمكن-وهوا حتمال كبير- أن يسحب هذا العطاء وأن يسحب هذا التخويل.

إن هذا التسامح مع المسلمين يمكن أن يسحب، كما سحب في البوسنة، وسحب في مناطق أخرى ، وتعرض كثير من المسلمين لحرب إبادة ، ذكرت المسلمين بمحاكم التفتيش وبما حصل لأر بعين مليونا من المسلمين في الأندلس ، حيث وقعت إباد تهم بالجملة. فلا تتصوروا أن الغرب الحديث

رغم ما أنجزت العلمانية فيه من تطورات مهمة جداً ، لا تتصوروا بأن إمكانية أن تتجدد حملات الإبادة ضد المسلمين في البلاد الغربية هذا إحتمال قد انتفى ، فهذا كلام غير صحيح بل لايزال هذا الاحتمال قائماً، ولابد أن يضع المخططون الإسلاميون هذا الاحتمال نصب أعينهم، فيبذلوا أقصى الوسع لاسبعاده والتوقي منه بالعمل الجاد على التخفيف من أسباب التوتر مع مجتمعاتهم وبذل أقصى الجهد لتحسين صورة الإسلام ، وربط الوشائج مع القوى الفاعلة في هذه المجتمعات ، ذلك أن عدم الاعتراف بالإسلام كدين ، وكمكون من مكونات الغرب يبقى احتمال التراجع عن هذا التسامح وارداً ، وتبقى المسؤلية العظمى علي الدعاة من جهة، وعقلاء الغرب من جهة أخرى أن يحفظوا ما تحقق من مكاسب للغرب من كسب بوجود إسلام ومسلمين على أرضه في حالة سلام لأول مرة في التاريخ .

أخطار متربصة

هناك أخطار كبيرة تتربص بهذا الوجود الإسلامي، ويمكن تقسيمها إلى قسمين :

أولاً: التحديات الخارجية

ويمكن تلخيصها في :

التحدي الأول :

تصاعد مستويات العداء للإسلام، وتصاعد مستوى تشويه صورة

الإسلام في الغرب، يوماً بعد يوم، هنالك تركيز إعلامي، رهيب لتشويه الإسلام، لتحويله قريناً لكل ما تبغضه النفوس ، وخطراً على كل ما أنجزته الحضارة: خطراً على حرية المرأة ، خطراً على حرية الفكر والتعبير، خطراً على السلام العالمي، وخطراً على التعايش بين الطوائف وخطراً على الديمقراطية ، وخطراً على الفنون والآداب .

ولاتتصوروا أن حادثة (سلمان رشدي) هذه كانت سهلة ، بل كان ضررها فادحاً وكانت كارثة على المسلمين في بلاد الغرب . سلمان رشدى كان كاتباً تافهاً لايأبه له أحد، واستهدافنا له نحن المسلمين جعل منه رمزاً من رموز الفكر ، وضحية من ضحايا الإسلام والتعصب الإسلامي . وكاتبة أخرى بنغالية اسمها (تسليمة نسرين) جعلوا منها رمزاً.

فنحن كثيراً ما نستدرج (بضم النون) إلى خوض معارك خاسرة، وما أبرع المسلمين في هذا الوقت في خوض المعارك الخاسرة، معركة مع سلمان رشدي، مع تسلمية ، مع الديمقراطية ، مع الفن والأدب، وكل ذلك يصب في بوتقة واحدة هى تغذية صورة الإسلام :الخطر الإسلامي، والتشويه المتواصل لصورته ، وبحبل من المسلمين ومن غير المسلمين تشوه صورة الإسلام يوماً بعد يوم .

والذى أرجوه من إخواني الدعاة في هذه البلاد هو أنه إذا لم يحسنوا إلى الإسلام فعلى الأقل ألا يسيئوا إليه ، إذا لم يقربوا غربياً للإسلام ، فعلى الأقل لايساهموا في إبعاد غربي عنه .

وأذكر كلمة لشيخنا مالك بن نبى -رحمه الله - وكان كعادة أهل المغرب يعبرون بعنف عن أفكارهم وهو يستعرض حالة الأمة الإسلامية ، وما يقود إليه السلوك الإسلامي من أضرار على صورة الإسلام قال :

أتمنى لو أن هذا المليار من المسلمين غير موجودين بمن فيهم أنا نفسي . قلت : لماذا؟ قال : حتى إذا أراد أحد أن يعلم شيئاً عن الإسلام ، ذهب إلى الكتاب والسنة وتاريخ هذه الأمة المضيئ ، سيجد صورة الإسلام مشرقة ، نحن العقبة الأن أمام أسلمة العالم ، نحن بما نملك من التخلف نمثل عقبة أمام التعرف على صورة الإسلام الحقيقية ، عقبة أمام التعرف على القرآن .

إنها عقدة بعض المسلمين الطائشين الذين يخيل إليهم أنه من البطولة أن يهجموا على ثقافات الشعوب الغربية حتى تلك التي تؤيهم وتحميهم من بطش بلادهم ، فيكدون أذهانهم لتقديم الإسلام أنه النقيض من كل وجه لكل ما يحبه الغرب. نعم في الغرب مصائب كثيرة تستحق أن تعالج ، ولكن للأسف نوجه سهامنا إلى مبرر وجودنا ، شأن من يقف على غصن شجرة ، ويأخذ في قص ذلك الغصن الذى هو واقف عليه .

المسلمون هنا موجودون بأى مبرر؟! هم لم يعترف بهم إلى الآن ، وإنما يعيشون هنا في إطار حقوق الإنسان ، والتعددية ، والديمقراطية ، هذا هو الإطار الذى سمح بوجودنا هنا ، فيأتي دعاة طائشون ، ويجعلون رسالتهم التى يعلنون عنها في الشوارع (القضاء على الحرية والديمقراطية في هذا البلد)

﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾[1]

كيف نستفيد من التسامح في الغرب؟

إن الأحمق يفعل بنفسه مالا يفعله العدو بعدوه، فلم يُعترَف بك أيها المسلم ومبرر وجودك هنا هو جملة هذه القيم، كالحرية والعلمانية والتعددية ، . . . الخ وليس أحد مستفيداً من هذه القيم ، كالحرية والعلمانية والتعددية، وليس أحد مستفيد من هذه القيم أكثر من الإسلام في هذا العصر.

التحدي الثاني

للوجود الإسلامي الضعيف والطري في الغرب تحدٍ قوي هو نفوذ الجماعات الصهيونية، ذلك أنه لا توجد في عالمنا اليوم عقلية تفكر في المستوى الاستراتيجي العالمي مثل الصهاينة ودويلتهم الصغيرة بما لها من طموحات بلاحدود للسيطرة على العالم ،وهم اليوم بعد أن اخترقوا الغرب في العمق على كل المستويات ، فتحول من لعن اليهود في الصباح وفي المساء إلى الخضوع الكامل لابتزازهم، ويعتبرون أن الإسلام وأهله السد هو المنيع في وجه أطماعهم الخبيثة المغرورة ، ولذلك استداروا إليه وطفقوا يرمونه على قوس واحدة.

فكيف وقعت هذه النقلة الغريبة البعيدة في العلاقة مع اليهود حتى أصبح

1-الكهف: ١٠٣-١٠٤

الضمير الغربي ضميراً ضعيفاً جداً أمام كل مايمس اليهود، معذباً بعقدة الذنب تجاههم خاضعاً لابتزازهم ، مرتعباً من شرهم.

إن هذه نقلة بعيدة ، حرى بكم أيها الدعاة أن تدرسوها، حتى لاتيأسوا إذا رأيتم الغربيين أو قسماً منهم معادين لكم، فلكم في اليهود تجربة ودرساً، كيف إستطاعوا نقل الضمير الغربي من حالة العداء، إلى حالة الوفاق والتحالف.
يعتبر اليهود أ-وقد تغلغلوا في البنية الغربية طولاً وعرضاً،أنهم قد أنجزوا مرحلة مهمة من مخططهم للسيطرة - ولم يبق أمامهم من عثرة غير الإسلام، ولا تكادون تسمعون عن الإعلام اليهودي أو اليهود - وهو معظم الإعلام في العالم- غير معزوفة واحدة تردد بصيغ مختلفة على أسماع الناس وأبصارهم : الخطر الإسلامي
ولذلك تسمعون صوتاً واحداً يصدر من العقل الإسرائيلي هو :
واجهوا هذا الخطر ، لاتفرقوا بين مسلم متطرف ومسلم معتدل ، فكلهم ينبعون من معين واحد.

إنه ليس أقل من نسبة ٥٠٪ إلى ٨٠٪ من عمليات التشويه للإسلام في العالم، مسؤول عنها اللوبي الصهيوني في العالم ،معزوفة مريبة تحريضية منكرة تربط الإسلام بكل ماهو بشع وخطر على تقدم البشرية، خطر على الحرية والديموقراطية ، خطر على السلم ، خطر على حرية المرأة، خطر على حرية الفكر والاعتقاد والتعاون بين الحضارات، الأمر الذي يضيف عقبة أخرى في طريق علاقة الإسلام بالغرب ، وخلاصتها : كيف يمكن أن

تحرر علاقتنا بالغرب من ثقل علاقة هذا الأخير بالكيان الصهيوني، كيف يمكن أن نقنع الغرب بفصل ملف علاقتنا به عن الملف الإسرائيلي؟

ولقد كاد أن يوشك اليوم أن يعدو من المسلمات أنك إذا لم توافق على صفقة السلم المعروضة على الغرب - مهما كانت سيئاتها- فلا عرضٌ لك يصان، ولاحصانة ولاكرامة ، ولامشاركة لك في حقوق الإنسان!

إقناع الغرب بالإسلام

فكيف نستطيع أن نقنع الغرب بأن ملف علاقتنا به ملف مستقل ، ينبغي فصله بالكامل عن العلاقة بإسرائيل. أنا أتصور بأن ذلك صعباً ولكنه يبقى ممكناً، ولاتتصوروا بأن هذه الشعوب العريقة في نزعات الهيمنة، والعريقة في مصالحها في العالم الإسلامي ، لاتتصوروا أنها ستستسلم بسهولة للهيمنة الإسرائيلية، رغم أنها واقعة - على نحو أو آخر تحت وطأة الإرهاب الإعلامي الصهيوني المتحالف مع صوت النمر الأمريكي.

إن إسرائيل ليست إلا مؤامرة غربية على العالم الإسلامي، خنجر غرسه الغرب في العالم الإسلامي، لمنع نهوضه وتوحده ولخدمة المصلحة الغربية، ولكن إسرائيل يوماً بعد يوم تطور سياساتها المستقلة عن الغرب لتعمل لحسابها الخاص، وقد تزاحمه بل وتستولي على مصالحه في العالم الإسلامي .

وهناك عدد من الغربيين بدأ وا يقتنعون بأن اسرائيل لاتعمل إلا لمصلحتها الخاصة، وهى مشروع إمبريالى إمبراطورى إستغل علاقته بالغرب لفترة ولكنه يتجه إلى مزاحمته والحلول محله.
فليس هناك من سبيل للتعايش مع الغرب بما يحقق مصلحة مشتركة دون العمل على فك التحالف الإستراتيجي بين الغرب واسرائيل ؟

إن استمرار الوجود الإسلامي في الغرب ، متوقف على قضايا كثيرة منها هذه القضية، إنه لابد من كفاح عظيم كي لا نقر بهذا الوضع. ولايصبح الاستسلام للاغتصاب الصهيوني لفلسطين تأشيرة التحضر، والانتماء لقيم حقوق الإنسان ، وحتى الانتماء إلى الإنسانية ذاتها. وهذا من أكبر التحديات التى تواجه العقل المسلم المعاصر، وتواجه مفكرى الإسلام في الغرب ، إنه حقاً مطلب غير عسير، ولكن ألم ينجز اليهود نقلة مما ثلة في علاقتهم مع الغرب، ألا يمكن أن ينجز المسلمون مثله؟ ليس هناك شئ مستحيل ، بل هو أمر ممكن مع العزم والتوكل.

التحدى الثالث

غياب النموذج الإسلامي المجسد لقيم الإسلام ، فكلما تحدثنا عن الإسلام ، سألونا : أين هذا النموذج؟ لإن العقل الغربي عقل عملي ،أين هذا النموذج الذي تبشرون به ؟ وعندئذ نجد أنفسنا في حالة حرج،أن لاتجد واقعة محددة نشير إليها ونقول: هذا هو الإسلام، كما كان الدعاة في العصر الأول يشيرون إلى النموذج المدني الحى.

الإسلام استهوى الشعوب ولم يخضعها بالسيف ، وإنما أخضعها بنموذج العدالة ، والحقوق التى أعطاها للإنسانية، وكانت الشعوب والجيوش عندما ترى النموذج الإسلامي سرعان ما تستسلم ولا تقاوم، لإن نماذج الظلم لايمكن أن تقاوم طويلاً نماذج العدل، ولذلك لما كان ذلك البدوي ربعي بن عامر يحاورقائد جيش الإمبراطورية الفارسية (رستم) أجاب عن سؤاله: مالذى بعثكم؟قال: ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا و الاخرة .

ومشكلتنا نحن الآن أنه ليس عندنا هذا النموذج للعدل الذى نبشر به، بل الأدهى من ذلك أن النماذج القائمة في العالم الإسلامي هي عقبة بذاتها للدعوة إلى الإسلام من جهتين : فمن جهة أن كل من يرى هذه النماذج في العالم الإسلامي يشك في أن هذا الدين هو على الأقل دين عملي .
وثانياً أن عدداً من حكوماتنا اليوم، وخاصة الحكومات التى تسمى بدول الحل الأمنى، بعد أن كانت هذه الأنظمة ولعصور طويلة تستمد مشروعيتها من الإسلام ، اليوم تستمد مشروعيتها من التصدى للإسلام، وتتلقى مقابل ذلك الهبات الغربية السخية، حتى أن مسؤولاً في وزارة الخارجية الألمانية ذكر في لقائه بعدد من السفراء الأفارقة أنه بات واضحاً للحكومات الغربية أن قمع الحركات الأصولية في أي دولة مجلبة للقروض والهبات الغربية .

محاربة الأصولية

إن (محاربة الأصولية) ورقة رابحة في أيدى هذه الحكومات ، ولذلك فهي تتنافس على تقديم نفسها في أنها تحمل تجارب ناجحة في مكافحة الأصولية واجتثاثها .

المؤتمرات التى تنعقد الآن في برشلونة ، وفي سائر المؤتمرات الأخرى التى تجمع سائر حكام المسلمين مع الغربيين ، أهم بند فيها و مطلوب بإلحاح من الجميع ولا سيما من طرف عدد من الحكومات الإسلامية هو التنسيق الأمنى ضد الإسلام والإسلاميين في العالم الإسلامي وفي الغرب . يقولون لهم إنكم لاتعلمون الخطر الذى يتربص بكم، إن الخطر لايتربص بنا نحن وحدنا ، ولكن أنتم أيضاً معرضون لهذا الخطر من خلال الجاليات الإسلامية التي تتمتع بحمايتكم وتسمحون لها بالنشاط .

إنها دورة كاملة قد أنجزتها على الأقل بعض الدول الإسلامية من طور استمداد مشروعيتها من الإسلام إلى طور ابتغاء الشرعية من مطاردته ، هذا أمر خطير ولكنه إذن بنهاية هذه الأنظمة ، فما علاقة هذه الدول بهؤلاء الذين تصفهم هذه الآية الكريمة :

﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴾[١]

١- الحج : ٤١

الحكم الاسلامي الشوري الديموقراطي

كيف يمكن أن تتحقق عملية الإنتقال من هذه الأنظمة الجبرية الدكتاتورية، إلى الحكم الإسلامي الشورى الديمقراطى؟ ما هو جدير بالملاحظة هنا أن الحركة الإسلامية حيثما وجدت سبيلاً لتحقيق هذا التحول عبر المؤسسات القانونية، وصناديق الاقتراع إلاوولجته، واهتبلت الفرصة، لكن الحكام في الدول الإسلامية غالباً لايعطون الحركة الإسلامية هذه الفرصة، على أنه قد غدا واضحاً أنه كلما بدت مؤشرات على تصاعد شعبية الحركة الرسلامية ، كلما اشتدت طبول الحرب ضدها، وأُعطي الإذن للدبابات بسحق صناديق الاقتراع ومعاقبة الفائزين .

وقد قال أحد الرؤساء العرب مرة للشاذلي بن جديد رئيس الجزائر :
(أنا نصحته أن لايسمح للجبهة الإسلامية بدخول الإنتخابات ،ولكنه لم ينتصح ، فها أنتم ترون ما حل بالجزائر)
﴿ **أتواصوا به بل هم قوم طاغون** ﴾ وهم يتواصون .
﴿ **وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه** ﴾ ومعظم حكام العالم الإسلامي اليوم قد هموا أو يهمون بالدعاة إلى الله تعالى ليأخذوهم أخذ عزيز مقتدر .
﴿ **وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق** ﴾ولكن هذا العالم ليس هملاً . ﴿ **فأخذتهم فكيف كان عقاب** ﴾[١]

١- غافر : ٥

إن الدعاة إلى الله عندما أوصدت في وجوههم أبواب التحول السلمى، قد التجأت فصائل قليلة منهم إلى الدفاع عن أنفسهم في مواجهة عنف الأنظمة بإعلان الجهاد.

والحركة الإسلامية في إطارها العريض لم تستخدم هذا الحق، واعتصمت بالصبر الجميل خشية الفتنة أي الحرب الأهلية التي يكون معظم ضحاياها عادة من الأبرياء كما تتيح فرصاً زخرى للتسلط الدولي على أمتنا وابتزاز حكامها.

والملاحظ هنا أنه كلما استلت الحركة الإسلامية سيف الجهاد، لتدافع عن انفسها، إلا وكانت فرصة أخرى لتشويه الإسلام أيضاً، بما ينسب لأولئك المجاهدين من أعمال، وكثير منها لايعرف فاعله، ولكن بعضها على الأقل صادر ولا شك عن غلو وتكفير أو يأس وثأر، بما يجعل حملة السلاح باسم الإسلام ليسوا مبرئين من كل ما ينسب إليهم، فبعض ما ينسب إليهم على الأقل هو صحيح، ومقتل بعض الشيوخ في الجزائر مثل (أبو سليماني، ومحمد السعيد)، رحمهم الله، كوارث حقيقة تدل على أن مشروع تشويه الإسلام لايقوم به أعداء الإسلام وحدهم، وإنما يقوم بها بعض الدعاة الجاهلين، هذا أمر لابد من استنكاره.

إذاً كيف ننجز التحول إلى الإسلام والديموقراطية، ومواجهة الدكتاتورية في العالم الإسلامي بدون أن تنعكس من ذلك شرور على الوجود الإسلامى في الغرب؟ ذلك تحد آخر.

مساهمة الإسلاميين في تشويه صورة الإسلام

إن الجهاد في الإسلامي في أفغانستان - مثلا- بقدر ما مثل ملحمة من أعظم ملاحم الجهاد الإسلامي المعاصر في مواجهة أعتى امبراطورية للإلحاد بقدر ما ساهم - من خلال الممارسة السياسية المتخلفة للمجاهدين- في تشويه صورة الإسلام، ومحاولات التغيير في مصر، وفي الجزائر وفي بلاد كثيرة ساهمت هي الأخرى ، ولا تزال تساهم في تشويه صورة الإسلام.

والسؤال هو : كيف ننجز هذا التحول بدون هذا التشويه؟!

التحدى الرابع

وتتمثل في السيطرة المطلقه للفلسفة المادية وما أثمرته من قيم فردية وتفسخ خلقى وتفكيك للأسرة ولكل الروابط الإجتماعية وإساعة الجريمة والأمراض النفسية والجنسية ، والمخدرات.

هذا الغرب الذى نعيش فيه ، وإن كان في إطار فيه أنه إلى جوار ما نتمتع به في الغرب من حريلت وفضائيات مفتوحة في ظل سلطة القانون، ما ينبغي أن يصرفنا ذلك عن حقيقة بالغة الخطورة ، وهي هذه الفلسفة المادية التي تؤخر جملة الحياة والتي لا تعترف بالأصل الإلهى للإنسان، ولاتعترف بالنفحة الإلهية التى أودعها الله في هذا الإنسان ، وإنما تعامل هذا الإنسان باعتباره تجمعاً لذرات قد تطورت بشكل عشوائي بما يجعل الإنسان ليس سوى جملة غرائز واستجابات، إنه هو حيوان في شكل متطور.

فكيف يمكن للوجود الإسلامي في إطار هذه الفلسفة أن يعيش بروحانية إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، إذ رمى به في النار فلم يحترق وإنما خرج منها أشد نورانية ولمعاناً .

إن الإسلام هنا هو إبراهيم الخليل الذى يعيش في النيران، لكن مطلوب منه ألا يحترق. وكثير ما يكون الاضطهاد المادى المباشر أيسر من مقاومة حالة الإنفتاح اللامحدود.

مساهمة المسلمين في التطوير

إن هذا تحد يستلزم من المسلمين الذين يعيشون في هذا البلد أن يساهموا في تطوير ثقافة إسلامية غربية ، على غرار الثقافة الإسلامية العربية والثقافة الإسلامية التركية ، والثقافة الإسلامية الهندية، وما تولد عن كل منهما من أنماط حياة .

فلماذا لا نتصور وجود نمط اسلامي غربي ؟ إنه ليس مطلوباً تعريب الغرب، وإنما أسلمته من خلال تفاعل خلاق بين الإسلام وبين الحضارة الغربية، ذلك أن الدين قادر على أن يتفاعل مع كل الثقافات أخذاً وعطاءً، فالذين يتصورون أن الدعوة إلى الإسلام في الغرب معناها طى صفحة الحضارة الغربية جملة ، وكتابة حضارة جديدة اسمها الحضارة الإسلامية العربية والهندية، هم واهمون، فالحضـــارات لا تتناسخ ولكن تتلاقح بالأخذ والعطاء ، شأن نبتة أجنبية تغرسها هنا، إنها لايمكن أن تثبت وتؤتي أكلها إلا إذا تفاعلت مع التربة والماء والهواء وربطت لها علاقات .

إذاً الإسلام هنا مالم يربط علاقة خاصة مع البريطانيين وحضارتهم ومع مشكلاتهم وآدابهم والتحديات التي تواجههم ، وكذلك مع الفرنسيين والألمان والأمريكان، وما لم يساهم الإسلام في إثراء هذه الثقافات ، كما أن اليهود أنشأوا ثقافة لهم يهودية غربية، فننشئ لنا ثقافة إسلامية غربية تأخذ في التفاعل مع هذه الحضارة، ومن دون ذلك سيظل الإسلام نبتة غريبة معزولة لا تزال بها البيئة تحاصرها حتى تفنيها، وليس ذلك ولا شك من طبيعة الإسلام العالمية الإنسانية الدعوية المنظمة ، التي نهضت على عقيدة الايمان بالله رب العالمين بوصفهم الإنساني .

}ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا {

القسم الثاني : التحديات الداخلية

غير أن التحديات ليست كلها خارجية، فهناك تحديات كبرى من داخل الصف الإسلامي ، يمكن أن نلخصها في كلمة واحدة هى: (استيراد التخلف) فالدعوة الإسلامية في الغرب لاتستورد الإسلام فقط ، وإنما تستورد معه التخلف.

ما المقصود بكلمة التخلف؟

التخلف : هو العجز عن فهم الواقع ، والتفاعل الرشيد مع هذا الواقع.

إن الوجود الإسلامي في الغرب هو أقرب إلى حياة المعسكرات والمخيمات: مخيم باكستاني و مخيم بنغالي ، ونحن هنا مخيم عربي، و المخيمات استوردت ثقافاتها وعاشت فيما يشبه العزلة عن محيطها الثقافي، هم موجودون بأجسامهم هنا ، بمثابة وجود الإنسان في محطة قطار، ينتظر قطار العودة، وهو قد يمر بعد سنة أو بعد عشرين سنة ولكنهم دائماً في انتظار هذا القطار، فلا يؤسسون لأنفسهم وجوداً مستقراً. ومطلوب منا أن نتجاوز هذا الوجود العابر، هذا الوجود الطارئ، فاليهود عاشوا طويلاً في شئ اسمه جيتو، معزولين هنا، ولكنهم بعد ذلك انفتحوا على هذه البلدان محافظين على شخصيتهم ، ساهموا في تطوير وضع يسمح لهم بالانتعاش.

نحن هنا نستورد كثيراً من التخلف، ولذلك عندما نرى الجماعات المسلمة وكيف تتعامل مع بعضها ، ونقارنها بالأحزاب الغربية هنا كيف تتعامل، وكيف تحل مشكلاتها، ندرك بأن هناك كافراً متحضراً، ومسلماً متخلفاً.

إن سيد قطب -رحمه الله - لم يقبل هذا المفهوم ، فقال إن الإسلام هو الحضارة ، والكفر هو التخلف، بمعنى من المعانى هذا الكلام صحيح، ولكن الحضارة هى تفاعل بين الفكرة والتراب ، وفي صورة الحال بين الإسلام وبين واقع معين ، فإذا كان هذا التفاعل رسيداً ، أنتج الحضارة، وإلا أنتج التخلف كما هو حالنا اليوم . . . مسلمون متخلفون.

ولذلك قال علماؤنا قديماً (إن الله لينصر الدولة العادلة وإن كانت

كافرة، ولاينصر الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة)
هل يمكن أن يكون المسلم ظالماً ، والكافر عادلاً أم لا؟

إن الذين رفضوا هذا هم الخوارج، فهم قالوا إن الإسلام مفهوم طاهر، لاينبغي أن ينسب إليه إلا كل ما هو طاهر، ولذلك كفروا الناس بالذنب ، لإنه لايصح عندهم القول أن مسلم سارق أو مسلم زان . في هذا العصر قال سيد قطب رحمه الله إن المسلم لايكون متخلفاً ، ولأنه متخلف حقيقة ، إذن هو ليس بمسلم، بل هو جاهلي ، وهذا غلو.

نحن اليوم شعوب متخلفة ، ونحن مسلمون، والغرب متحضر على كفره، نحن اليوم نستورد جانباً كبيراً من تخلفنا ، لقد أصبح جلياً عندي أنه إذا ركبت سيارة (تاكسي) فألفيتها وسخة نتنة أيقنت أن سائقها ينتسب لبلد من بلاد المسلمين، وقل الشأن نفسه في الحديقة غير المشذبة والبيت غير المرتب، والذي تتصاعد منه الضوضاء، وعن المواعيد غير الدقيقة والأعمال غير المتقنة، والسلعة المغشوشة. لماذا نحن هكذا؟! . . .
بينما أتوقع من التاكسي النظيف أن يكون صاحبها كافراً ، وقس على ذلك الحديقة المشذبة ، والموعد الدقيق ، والعمل النتقن. أنظروا كيف يحلون مشكلاتهم بالحوار وبالاقتراع ، بينما يسود بيننا الخصام والقطيعة، وحتى العنف.

ذات مرة لام أحد أخواننا الدعاة المجاهدين في أفغانستان على تقاتلهم مع

المجاهدون ، فقلت له : إحمد الله على أنك ليس لديك سلاح مثلهم ، لأننا لو ترجمنا خطابك إلى عمل لاحترق الأخضر واليابس .

وأنا مشفق على الإسلام من هذا النموذج المتخلف الذى يبشر به جانب من المسلمين على أنه المشروع الإسلامي ، فلو نكبت أرضٌ بهذا المشروع ، سيسارع أحرارها ويطلبون اللجوء السياسي في المجتمعات الكافرة . فكوننا مسلمين ، لايعني ذلك أننا متحضرون ، لإن الحضارة فضاء للحرية مفتوح ، وذوق ونظام وعقلانية ، وحل للمشكلات عن طريق الحوار ، وهى إحترام للإنسان وحقوقه ، وليست مجرد إعلان شعارات .

إذاً كيف نستوعب الحكمة الغربية أو الحضارة الغربية دون أن نتلوث بسوءاتها ، ودون أن نحترق بجحيمها؟
كيف يمكن أن تكون هناك طليعة إسلامية ؟
كيف يمكن أن نطور ثقافة غربية إسلامية؟
ذلك هو أعظم التحديات في طريق توطين الإسلام في ديار الغرب .

الفكر المتصحر :

إن الخطر الأكبر المتربص بالاسلام في الغرب ، إلى جانب الإنعكاسات السلبية للحداثة وما بعدها من تفكك وضياع للمعنى والهدف وتصاعد لوتيرة العنصرية والإسلاموفوبيا بما يشكل مطحنة للأجيال المسلمة الجديدة تهدا بالذوبان والتلاشي رماداً في الجسم الغربي .

حقيقة هناك زحف من الفكر المتصحر، من الفكر المتشدد، يريد أن يزحف على بلاد الحضارة، ويريد أن يفرض نمطه المتخلف على بلاد متحضرة، في صور شتى، تتلخص في فتاوى ترفض كل مكاسب هذه الحضارة في الحرية والديموقراطية والفن ومشاركة المرأة .

هو نمو بعض اتجاهات الغلو والتشدد والتكفير وسط بعض الشباب المسلم كرد فعل على الضغوط القاسية الإطار الإجتماعي الغربي الذي يطوقهم بالعنصرية و البطالة ، ويهيئهم لاستقبال رياح السموم الوافدة من صحاري التخلف .

ذكر لي بعض الإخوة أنهم عثروا في أحد المساجد على كيس من البضائع ،تبينوا أنه قد استباحها من الأسواق القريبة بعض المنتسبين إلى الدعوة الإسلامية أتوا بها ليخفوها في المسجد وهم مطمئنون لشرعية هذا الصنيع ، على اعتبار أنه غنيمة حرب فهم في حالة حرب وجهاد في عرفهم ! فقلت هؤلاء عليكم أن تأخذوا على أيديهم فتنصحوهم برد المسروق إلى أصحابه وعدم العود ، فإن لم يرعووا ، عليكم أن تبلغوا عنهم الشرطة، هؤلاء مفسدون في الأرض، مجرمون .

ودعك من الأمثلة الأخرى أمثال الذين يعيشون في الغرب عيشة المتبطلين ، وهم يعاملون مؤسسة الضمان الاجتماعي هنا على أنها خزينة بيت مال المسلمين فهو لايحتاج إلى عمل، وإذا توفرت لأحدهم مهنة فهو يتهرب من دفع الضريبة ، ويقول هذه بلاد كافرة فكيف أدفع الضريبة للبلاد

الكافرة ، يستفيد هو ، وينتفع ، ولكنه يرفض أن يساهم في استمرار مؤسسة النفع هذه .

﴿الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾[1]

دعك من الذين يفجرون القنابل في البلاد الغربية بحجة الضغط على أنظمتهم ، ودعك من الذين يعيشون هنا وهم يخططون للجهاد في بلدانهم ويعتبرون بلاد الغرب قاعدة لانطلاق الجهاد . ودعك من الذين يقولون أننا يمكن أن ننطلق لاستعادة الخلافة الإسلامية من بلاد الغرب .

ودعك من الذين يعلنون أن مهمتهم محاربة الديمقراطية والحرية .

إن كل ذلك إجرام في حكم الإسلام ، وجناية على هذه النبتة الطرية في بلاد الغرب ، يستوجب على القائمين على أمر الدعوة توعية المسلمين بخطره على وجودهم والحزم في وضع حد له . إن نبتة غريبة كالإسلام ، لايمكن أن تضرب عروقها ، ومالم تتفاعل مع بيئتها ، ومالم تقم علاقات مشاركة وتواصل مع عناصر هذه البيئة .

إن استمرار هذه المخيمات ، هذه المعتَزَلات في الغرب ، هو مساهمة في تشويه صورة الإسلام في الغرب . إن الغرب فيه سيئات كثيرة ، ولكن كون مثل هذه المؤتمرات الحاشدة تنعقد على أرضه ، ولاتنعقد في معظم العواصم الإسلامية معنى ذلك أن ههنا حضارة ، كما كانت للمسلمين حضارة في بغداد وفي قرطبة ، وفي اشبيلية ، وفي شيراز ، حيث كان أهل

١- المطففين : ٢-٣

المذاهب كلهم يتناقشون بكل حرية إن سنن الحضارة واحدة وإن اختلفت المنطلقات والغايات ، إنها فضاء مفتوح للحوارات والتعايش والتلاقح بين مختلف أصحاب المذاهب والديانات ، وتبادل الأفكار والسلع والسير في الأرض بحرية ، وعلو سلطة القانون.

فالغرب إلى جانب فلسفتة المادية واستعماره وكيده المتواصل للمسلمين ،وسياساته الوحشية تجاه الطبيعة والضعفاء وأهل الثقافات والحضارات الأخرى، يتوفر على أقدار من سنن الحضارة مثل الحرية والتسامح النسبيين، ومن سيادة سلطة القانون. والغرب ليس شيئاً واحداً: ففي الحربين العالميتين تقاتل الغربيون بوحشية تفوق كل تصور فسقط منهم مالايقل عن خمسين مليوناً ، وقتلوا من بعضهم البعض أكثر مما قتلوا منا، وكان بعض المسلمين (تركيا) حليفاً لشق منهم (المحور)، وبعض المسلمين حليفاً لشق آخر (الحلفاء) ، وكذا حصل في حرب الخليج، وفي التاريخ أمثلة كثيرة . على أن الحرب لم تكن جبهتين: مسلمين مقابل غربيين أو نصارى. فالصورة أعقد من ذلك بما يجعل الغربيين ليسوا حقيقة بسيطة ، وكذلك المسلمون، وإنما ظواهر مركبة معقدة، يختلط فيها الخير بالشر والحق بالباطل والإيجابي بالسلبي، فلابد من فرز وتدقيق أنصار الحرية والعدالة والخير والسماحة من الخصوم في كلا المعسكرين.

سنة التدافع

وفي العالم الإسلامي، تقاتل المسلمون عبر التاريخ الإسلامي قتالاً مريراً ، ولا تظنوا أنه الآن فقط وجدت جيوش إسلامية موضوعة على الحدود، بل كان هناك تقاتل عبر السنين الطويلة بين المسلمين ، إذاً فما ينبغي أن نبسط الأمور ونعتقد أن الغربيين شيئ واحد ، بل هم أشتات ولاتظنوا بأن الغرب قد توحد ، سنة الله في التدافع تأبى أن يتوحد علينا الأعداء. إنها سنة التدافع :

﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات،ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ﴾ (١)

الانتخابات الأخيرة في روسيا بينت أن سنة التدافع لاتزال قائمة، وللإسلام حلفاء كثر في الغرب، ومن جملة حلفاء الإسلام في الغرب، الحركات العلمانية، التى تدعو للتعدد والحوار ، فهى حليفة رغم أنها تقاتلنا في العالم الإسلامي ، ولكنها ها هنا حليفة، والإسلام كما هو معلوم لم يدخل الغرب من باب النصرانية - وهي الأقرب إليه- وإنما من باب العلمانية التي رفعت وصاية الكنائس وإرهابها عن الناس وفتحت مجال الحرية والاختيار.

الأقلية اليهودية في الغرب يمكن أن تتعاون معنا، لانهم هم أيضاً مهددون بتصاعد هجمة الفاشية ،و تصاعد اليمين يهدد كل الأقليات .

١-الحج : ٤٠

رصيد المسلمين في الغرب

إن جمعيات حقوق الإنسان ، والمنظمات الخضراء ، هذه تمثل رصيداً من أرصدة التحالف مع المسلمين . إن هناك مؤشرات تدل على أن هناك صحواً إسلامياً في الغرب، إن هناك مؤشرات على أن قدراً من الفهم للإسلام يتزايد في هذه البلاد، فقد ألقى ولى العهد في هذه البلاد الأمير تشارلزخطبة عظيمةفي جامعة اكسفورد، تحدث فيها عن عظمة الإسلام وروعته ، وأن الإسلام يمكن أن يقدم لحضارة الغرب، بعداً نفتقده، هو البعد الشمولي، أى النظرة الروحية والخلقية للعمل الاقتصادي، والسياسي وغيره ، ولكل نشاط إنساني ، هذا أمر حديث، وعدد كبير من الأساتذة والشخصيات البارزة في الولايات المتحدة ، وفي سائر الجامعات الغربية يؤمنون بهذا المفهوم ، إن أعداد المتفهمين للإسلام تزداد يوماً بعد يوم . فاصبروا والتزموا الحكمة في عملكم وارتقبوا الفجر فهو قريب :

﴿ **إن موعدهم الصبح ، أليس الصبح بقريب** ﴾

وعد الله ، لا يخلف الله وعده

نحن مبشرون بأنه لن يأتى يوم القيامة إلا وهذا الدين قد انتشر في مشرق الأرض ومغربها، وهذا وعد قاطع في الكتاب والسنة، ومؤشرات هذا الوعد متنامية إن شاء الله ، وعدد الذين يسلمون في الغرب ليسوا بالقليل، والذين يسلمون أكثرهم ليسوا من عامة الناس، وإنما هم من النخبة

وحتى من فطاحل المفكرين الغربيين والنابغين ، وإذا كانت الكنيسة في العالم الإسلامي تتصيد الضعفاء ، فالإسلام يستقطب من كل الفئات الخيرة ففيها نخبة معتبرة.

المطلوب أن ننطلق من أن الحضارات تتقاسم مقادير معينة من القيم ، وأن مقولة (أن ليس عند الغرب ما نحتاجه) هي مقولة فاسدة، وكذلك مقولة (لو كان عند الغرب شيء صالح، لكان في الإسلام فلماذا ندرسه نحن) .

هذا تبسيط لما هو معقد، الإسلام فيه أصول الخير، كل ما هو خير فهو موجود في الإسلام ، وذلك يشبه حقيقة أن الأرض تكتنز أو تحتوى على كل المعادن ولكنك يمكن أن تموت عطشاً وجوعاً مع أن الأرض التى تحت قدمك فيها ينابيع من الماء والبترول والذهب، فكذلك الإسلام فيه الخيرات هذا صحيح، ولكن هذا وذاك يحتاج إلى إستخراج ، إلى جهد واجتهاد ، و يحتاج إلى عقول.

والإسلام قد جمع كل سنن الخير، ولقد أكد علماء الإسلام ، أن كل ما أقر العقل أنه حق فهو حق، و كل ما أثبتت التجربة أنه صالح فهو شرعى. الكنيسة كانت تقول إن الإنجيل قد حوى كل الحقائق، أما الإسلام فيقول كل جهد راق يقوم به البشر لاكتشاف الحقيقة، وكل جهد بشرى يقوم به البشر وينبني عن اكتشاف حقيقة فهو متفق لامحالة مع ما أقره الشرع.

إقرؤا الابن رشد رسالة عظيمة اسمها(فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال) وإذا لم يعجبكم ابن رشد فاقرؤا لابن تيمية (موافقة

صحيح المنقول لصريح المعقول) هذا مبدأ إسلامي عظيم ، أن التناقض بين ما أقره العقل وماجاء به الوحى تناقض منتف لامحالة .

ولذلك إذا أثبتت التجربة أن هناك تطبيقاً للشورى أى جعل القرار جماعياً وليس فردياً، استطاع العقل البشرى أن يهتدي إليها فهل ممنوع علينا أن نتخدها ؟

ألم يستعر عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- النظام الإداري من الحضارة الفارسية ، ومايعرف بالديوان، هى كلمة فارسية وتعرف (الديفان) ، و لم يكن عند العرب نظام إداري ولم يكن عندهم نظام صناعي فلاتقل إن الاسلام والمسلمين كان عندهم نظام إداري محدد، أو نظام صناعى، أو نظام لمرور السيارات .

فإذا أخذنا نظام الطرقات من الغرب، فهل نكون قد خالفنا الإسلام؟!

الإسلام فيه أصول الخير لكن استخراج هذه الأصول ، هو كا ستخراج المعادن يحتاج إلى عقول ، ويقول ابن رشد : (أهل الحكمة من كل ملة يستحقون منا العرفان والشكران، لإنهم استخرجوا معادن هى موجودة في أرضنا) .

النظام الديموقراطي

هل النظام الديمقراطي حرام كما قالوا، لماذا؟ قالوا : لإن الديمقراطية هى حكم الشعب والإسلام هو حكم الله ، فما أقبح هذا الذوق ، أن تصور حكم الله نقيضاً لحكم الشعب بما يوحي أن هذا النظام الإسلامي هو نظام دكتاتوري، بينما طريق الإسلام للتطبيق يمر عبرالدعوة، عبر الشورى الشعبية ، فلا يكفي أن تنشئ حزباً إسلامياً هنا في بريطانيا حتى يكون مشروعاً لك أن تطبق الشريعة الإسلامية على البريطانيين.

إن تطبيق الشريعة الإسلامية يمر حتما بموافقة البريطانيين ، كتطبيق الشريعة في مصر يمر حتماً بأغلبية الناس. وأغلبية المسلمين موافق على ذلك، والطواغيت في الغالب هم الذين يتصدون لذلك.

نصيحة

ونصيحتي هي : حددوا موقفكم .

فبأي اعتبار أنتم هنا؟

هل أنتم هنا مخيم كباقي المخيمات في محطة قطار تنتظرون العودة؟

إذاً كنتم هكذا ، فجل خطبكم كيف تحافظون على وجودكم إلى أن يمر قطار العودة .

أما الأوفق لكم فهو أن تفعلوا ما فعلته الأجيال المهاجرة عبر تاريخ الإسلام إلى بلاد لم تكن إسلامية ثم أصبحت بعد ذلك إسلامية ، بما جعل البلاد الإسلامية التي فتحتها الهجرة أوسع أرضاً وسكاناً من البلاد التي فتحتها الجيوش (معظم بلاد آسيا وافريقيا)

إن المسلم حيثما حل يعتبر أن ذلك وطنه ، لان الأرض كلها لله تعالى، ولذلك هو يعمل بالحكمة القائلة (إعملوا لمهجركم وكأنكم ستموتون فيه ، واعملوا لبلادكم كأنكم عائدون إليها غداً) .

ولذلك المطلوب ألاتؤخروا شيئاً ، المهاجرون من شمال أفريقيا ، ملايين في فرنسا عاشوا أكثر من نصف قرن وإلى الأن وهم في محطة قطار ، يعيشون في أحياء حقيرة جداً ، وأموالهم يرسلونها لبناء فلل ضخمة جداً في قراهم ، ويظنون بأنهم سيعودون إليها يوماً (الفلل)، لكن أولادهم

تربوا هنا وعاشوا هنا ، وإذا أحيل أولئك على المعاش ، فإن أبنائهم يأبون عليهم العودة ويقيمون في هذه البلاد، فلاهم تمتعوا بأموالهم ولاهم سكنوا تلك الديار.

وتظل الفئران تسرح فيها وتمرح، وهم هنا يعيشون في جحور فئران أيضاً. فالمطلوب هو أن نوطن أنفسنا على أن نعيش هنا، وأن نرتب أمرنا هنا، فنبني المساجد والمدارس والمتاجر ونمتلك البيوت ولو بالبيع المؤجل، وإذا كتب الله لنا عودة غداً فلن نندم بل نكون قد تركنا وراءنا خيراً كثيراً .

﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾

﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين ، وما أرسلناك إلارحمةً للعالمين ﴾

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

*** **** ***

المبحث الخامس

رسالة المسلم

في

بلاد الغرب

فضيلة الشيخ/عبدالله الجديع

رسالة المسلم في بلاد الغرب

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﷺ وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً باقيا أبداً إلى يوم الدين .

أتحدث إليكم اليوم في قضية أظن أنه بعد فهمها وإدراكها فإنها - في نظرى - أساس لمقومات العمل الإسلامي في بلاد الغرب التى نعيش فيها، وتلك هى : رسالة المسلم في بلاد الغرب .

ولقد وفر على هذا العنوان تقرير (ماهية وظيفة المسلم في هذه البلاد) وأنها فوق الرهبنة ، واتخاذ الزوايا، والتكايا، والانقطاع عن الخلق، وفوق تزكية النفس والاستعلاء بها على الناس ، وفوق الشكر لله عزوجل على نعمة الإسلام، كمن يحسب دين الله له وحده، لايشاركه فيه أحد من الناس، ومن ثم فالجنة له وحده ، وكل الخلق لايدخلها إلا هو ومن كان على شاكلته .

لقد خرج إخواننا بهذه العنونة عن المعاني الكثيرة الفاسدة التى نخرت في جسد هذه الأمة كثيراً ولم تزل، هذه المعاني التى خرجت بالأمة عن شمولية دعوتها ، إلى مساواة حال القاعدين الذين وجدوا ضالتهم في بعض النصوص الشرعية ، فحَمّلوها فوق احتمالها، وحرّفوا معانيها ودلالتها

لتناسب مداركهم، فجاءت هذه العنونة متعدية الحديث عن هذا الخلل، ومرتفعة عليه ، لتساهم في رسم منهجية الحركة الإسلامية، فرسالة المسلم ليست ذاته، إنما هي أمانته التي يحملها تكليفاً، والتي من أهم لوازمها أن يكون دائماً حاملاً أمينا، يؤدي الرسالة باسمها ورسمها إلى من بعده حتى تبلغ الآخرين بإذن الله، وأمانة الحمل لابد من توافر شروط العدالة فيها ، فلا يكون أميناً من ليس بعدل، فيخرج الفاسق بكفرٍ أو بدعةٍ أو هوىً أو معصيةٍ، وتبقي العدالة ثابتةً للآمرين بالقسط، والحافظين لحدود الله وشرائعه، الصادقين المخلصين، الآمرين بالمعروف ، والناهين عن المنكر، المحافظين على الاقتداء بمن جعله الله رحمة للعالمين - ﷺ.

لكن وجدتني بعد ذلك أقول، هل تختلف رسالة المسلم باختلاف المكان، ليكون الحديث بالنص :

(رسالة المسلم في بلاد الغرب ؟)

الجواب : ذلك باعتبار شعار هذا المؤتمر.

دعني أقف معك قليلاً عند المقصود برسالة المسلم، فما هي رسالة المسلم ؟

رسالة المسلم في الغرب

يقول الله تعالي : ﴿ **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون** ﴾.[1] وهذا الإظهار على أشهر أقوال المفسرين لم يقع بعد ، وسيكون إن شاء الله ولابد ، وهذا جاء به الخبر صريحاً صحيحاً عن رسول الله ﷺ ، حيث روى مسلم في صحيحه عن ثوبان مولي رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لى الأرض (زوى: يعنى جمع بعضها إلى بعض، وضم أركانها إلى بعض) فرأيت مشارقها ، ومغاربها، وإن أمتى سيبلغ ملكها مازوى لى منها».

وروى الإمام أحمد في مسنده وغيره بإسناد صحيح، عن تميم الداري- رضي الله عنه -عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لَيْبلغنّ هذا الأمر مابلغ الليل والنهار، ولايترك الله بيت حضر (كناية عن الحضارة والمدن) ، ولاوبر (كناية عن البوادى ، وما الأرض إلا حاضرة أو بادية)، إلا أدخله الله هذا الدين ، بِعز عزيز، أو بِذل ذليل، عِزاً يُعز الله به الإسلام، وذلاً يُذل الله به الكفر».

كما عبر الحديث الصحيح الآخر ، الذى يرويه حذيفة بن اليمان ، قال: قال رسول الله ﷺ : « ستكون النبوة فيكم ماشاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ماشاء الله

١- سورة: الصف : ٩

أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ، ثم تكون مُلكاً عَضُوضاً، فيكون ماشاء الله أن يكون ، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً جبْراً (أو جبريةً)، فتكون ماشاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أنْ يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة . » ثم سكت ﷺ .

وهذا وعد حق ، ولابد أنه كائن كما وعدالله عزوجل ، وقد جرت سنته في الأمم قبلنا سبحانه وتعالى ، أن النبي إذا هلك خلفه نبي ، ونبينا ﷺ لانبي بعده ، وكان أخر ما وصى به في خطبته التي عرفت بخطبة الوداع أن قال : « ليلبغ الشاهد منكم الغائب »وهذا أمر لم يكن لأولئك الذين سمعوا خطبته فحسب ، بل هو أمر لكل أمته من بعده ﷺ ، والله عزوجل يقول : ﴿**وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ**﴾[1] وقد بلغنا القرآن والسنة ، وبلغتنا الرسالة ، ونحن اليوم مسؤلون عنها، لنقوم بتسليمها لمن بعدنا، حتى يتحقق وعدالله بظهور دينه على كل دين. إذاً رسالتنا هي هذا الدين وهى رسالتنا حيثما كنا ، في الغرب أو في الشرق ، فلابد أن يبلغ هذا الدين المشارق والمغارب ، فالحديث عن رسالة المسلم في الغرب ليس اختصاصاً بالغرب، لكن الدعوة إلى هذا الدين ، وأسلوب تبليغ الرسالة، هو أمر يختلف من مكان إلى مكان أخر، أو من زمن إلى زمن ، وليس هذا أمراً من ماهية الرسالة ، ذلك أن منهاج التبليغ مستفاد من قول الله عزوجل : ﴿**أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة،وجادلهم بالتى هى أحسن. إن ربك هو أعلم بمن ضل**

١-سورة الأنعام : ١٩

عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾.[١] والحكمة منحة ربانية من الله عزوجل، وتوفيق، فإن الله -عزوجل- يقول: ﴿**يؤتى الحكمة من يشآء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً**﴾.[٢]

وهذه هي الأسباب التى ينبغى للداعية أن يأخذ بها ويقوم بها، وأعظمها العلم، والذى بفقدانه أو فقدان بعضه يعظم الخطب والخوض والضلال، والحكمة تقتضى مراعاة الزمان والمكان في التبليغ، ولهذا يصح أن نقول، لابد من وضوح منهجية الحركة الإسلامية في بلاد الغرب، بما يتناسب مع واقع هذه البلادوهذا بعينه هو المقصود بعنوان هذه المحاضرة .

إن رسالة الإسلام، شرائع تُبلغ كما وردت، لاتقبل الاستدراك ولا التبديل أو التطويع، إن مايتعارض مع تلك الشرائع هو الذى يجب أن يُبَدّل، وإن الواقع المتمتل هو الذى يجب أن يطوّع لشرائع الإسلام .

ولكن كيف تبلغ هذه الرسالة لتصل إلى كل يد؟

تبليغ الرسالة

نحن نعيش هنا في أوربا، في بلاد غير إسلامية، ونحن مؤمنون أن جيمع الناس محتاجون الى هذا الدين، فكلهم ينشد السعادة ويرجوها ويبكى لأجلها، لانهم يجدون لذاتهم منقطعة، والمسلمون الصادقون وجدوا لذتهم في انتمائهم لهذا الدين غير منقطعة ولازائلة، وهذه نعمة لم

١-سورة النحل : ١٢٥
٢-سورة البقرة : ٢٦٩

يهتد أولئك إليها بعد ولاعلم لهم بها ، ومايسمعون عنها قطرة من الأمن مغمورة في بحرمن الخوف ، أو لحظة من الأنس ضائعة في متاهات الزمن ، إنهم لم يروا الإسلام في رسالته المرفوعة ، إنهم رأوا الإسلام فينا ، والذى فينا لايحتاجْ إلى تعليق ، لكن حق لهم أن يروا الإسلام في المنتسبين إليه فإن كل عاقل يدرك أن الفكرة والمنهج ، إنما يعبر عنهما حال مدعيهما .

إن الله تعالى عندما بعث نبيه محمداً ﷺ ، لم يكن يُعرف عند قومه إلا بالصادق الأمين ، وعلى هذا المعنى عَلّم أصحابه ورباهم ، فساروا وقادوا وصاروا قادة للأمم . ولكن ندخل هذه البلاد مؤتمنين معاهدين ، فهذا يمتهن التزوير ليكسب الجنيهات من المغلوبين في الأرض ، وآخر يكذب ليحصل على مبلغ حقير من المال من دعم الدولة ، وهذا يحتال ليستبيح الحقوق ويأكل الحرام ويبيع الخنزير ، ويتعامل بالربا ويفعل ويفعل . . .
وربما قال : (هذه دار حرب) ، ومادرى - والله- مادار الإسلام ومادار الحرب ، فأى صورة يعطيها هؤلاء عنا وعن المؤمنين؟ !

إن أول خطوة في التبليغ هى في حفظ الإسلام في نفسك ، إحفظ الإسلام في نفسك قبل أن تبدأ في دلالة الخلق عليه ، وهذا يقتضى أمرين أساسيين :

مقتضيات التبليغ

أولاً : فهم الإسلام فهماً صحيحاً ، على وجهه ، كما بعث الله به نبيه ﷺ،وكما فهمه سلفنا الصالح من أصحاب النبي ﷺ ، ومن تبعهم بإحسان بعيداً عن الإفراط والتفريط، بعيداً عن الآراء المُحدثة والآراء المتطرفة، محكوماً به في كل خطوة بالكتاب والسنة ، على نحو منهاج من وُصِفوا بالخيرية من الجيل الأول من حملة هذا الدين ، الذين قال فيهم النبى ﷺ :«خير الناس القرن الذى أنا فيه ، ثم الثانى ثم الثالث » وقال مالك –رحمه الله – : (لايصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .)

ثانيا : تطبيقك الإسلام في نفسك وخاصتك ، مراعياً جانب الإعتدال في كل شئ، فدين الإسلام وسط، وأمة الإسلام هي أمة الوسط، كما قال تعالي : ﴿ **و كذلك جعلناكم أمة وسطاً ، لتكونوا شهداء على الناس** ﴾[1] ومنهاج الإعتدال مربوط بهدى النبي ﷺ حيث يقول: «خذوا من العمل ما تطيقون ، فإن الله لايمل حتى تملوا » (متفق عليه)وهذا ينبنى على إدراك فقه الأولويات، ومعرفة مراتب الأعمال،فالتكاليف الشرعية فوق مايتسع له عمر الإنسان ، وفي هذا يقول ﷺ : (يا أيها الناس إنكم لن تطيقوا كل ما أمرتكم به ، ولكن سددوا وقاربوا وأبشروا) رواه أحمد وأبو داوود .

ثالثاً: الرفق واللين والحكمة في تبليغ الآخرين حيث يقول تعالى : ﴿ **قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى** ﴾[2]

١–سورة البقرة : ١٤٣

٢– سورة يوسف:١٠٨

ومن مقتضيات الحكمة مراعاة الظروف والمناسبات،وكذلك أن تحدث من تدعو بما يعرف من شرائع الإسلام، لابآراء المجتهدين واختلافات المختلفين، فذلك شابت لطرحه رؤوس أهله، فكيف بمن ليس منهم .

رابعاً: التدرج في التبليغ

ومن مقتضى هذه الحكمة التدرج في التبليغ، والأصل فيه دعوة النبي ﷺ،وما قامت عليه من التدرج، وحديث معاذ بن جبل ، الذى في الصحيحين منار للدعاة على مر العصور، حيث قال له النبى ﷺ حين بعثهم إلى اليمن يدعو أهلها إلى الإسلام:

«إنك تقدم على قوم أهل كتاب،فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله - عزوجل-وفي رواية «أدعهم إلى أن يقولوا: لاإله إلاالله وأني رسول الله»فإذا عرفوا الله أخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا ذلك (تأمل صورة التدرج في هدى النبي ﷺ معلماً معاذ بن جبل أعلم هذه الأمة بالحلال والحرام، وهو يبعثه إلى أهل كتاب أمثال أهل البلاد التي نعيش فيها) ، قال : فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فتُرَد في فقرائهم ، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتَوَقّ كرائم أموالهم»

خامساً: إحسان الوعظ والبيان

ثم إحسان الوعظ والبيان والجدال بالتي هى أحسن، علم ومعرفة،واستدلال لاهوى ، ولاجهل ، ولامجادلة بالباطل ، وجميع

ذلك يقتضي تحصيل مقومات ضرورية من العلوم الشرعية. ولست أعنى بهذا أن أقعد بك عن هذا التكليف لإنك لم تحصل بعد ، بل أبصرك بموضح الخلل ، والإفالفرض لازم لأعناقنا حتى تصل هذه الرسالة إلى جميع الخلق، نعم . . .إن قيام طائفة من المسلمين بهذا الواجب يسقط المؤاخذة عن سائرهم ، إذا تحققت بذلك الكفاية، فهل حققنا هذه الكفاية؟

إننا هنا في أوربا بين مقيم ووافد، ولايكاد أحد منا يخلو حاله من تحقيق مصلحة بمكثه في هذه البلاد، وكلنا آمن مطمئن في تحقيق غرضه، وقد أمرنا جميعاً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولن تبرأ ذممنا إلا حين نحقق هذا الواجب والله عزوجل حين قال :﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾[١] لتقوم هذه الأمة بالكفاية في ذلك، لكن هذه الكفاية لم تتحقق في الواقع. فكانت المؤاخذة لازمةً لجميعنا، حتى نسعى جميعاًفي تحقيق هذا الواجب.

نعم، ليس كل الناس قادراً علي الإرشاد والجدال والبيان وإقامة الحجة، لكن كلنا قادر على أن يبرز هذا الدين في خلقه ومعاملته وأدبه و في تطبيقه الإسلام في نفسه وخاصته ، لايجارى مشركاً سواءً كان جاره أو زميل دراسته فيما حرم الله عزوجل، وولكن ينافسه في إبراز قيمه وأخلاقه الإسلامية،فإن عقلاء الناس يحترمون من يحترم مبادئه. إن تحقيق غرضك، أو نجاحك لاتُعذَرفيه بمحاددتك فيه لله ولرسوله ، وفي المجاراة في المنكر ، أو في التقصير في إبراز هويتك الإسلامية ، وهذا أدنى ما يجب

١-سورة آل عمران : ١٠٤

عليك من إنكار المنكر ، أو أن تفارق تلك الخلطة التى تصيربك إلي ما حرم الله .

قيامك بالدعوة تكليف شرعي

لابد أن نرقى جميعاً بمستوياتنا لإدراك مسؤليتنا في تبليغ الرسالة ، فأنت داعية إلى دينك بتكليف شرعي. مسؤول عن الضائعين من أهل ملتك ، ممن استهوتهم شهوات البلاد الغربية، وسقطوا في عفن الإباحية والمنكر، فمن انتمى - يوماً من الدهر - إلى هذا الدين صادقاً، فلله واعظ قائم في قلبه، يحتاج إلى من يوقظه ليقوم من رقدته، فخذوا بأيديهم إلى النجاة بتذكيرهم بربهم وعظمة دينهم ، واستثارة الكوامن من الغيرة لهذا الدين في نفوسهم، وتصوير حقيقة ماهم فيه من الضلال ، إوظهار زيف ما غرَّهم وأبعدهم عن الهدى، واغتنموا لهم المواسم والمناسبات ، كشهر رمضان وأروهم وأشعروهم أنهم شركاؤكم فيما هم فيه من النعمة ، نعمة الإسلام والإيمان ، حيث تجتمع القلوب بالله عزوجل ، بعيداً عن الخلاف والشقاق والفرقة ، تحت كلمة الإسلام لاغير ، بعيداً عن أى إنتماء سواه، أشعروهم بحبكم لهم، وصدقكم في أخوتهم، أعطوهم البدائل عما كانوا فيه، أخرجوهم بها من أسر الشيطان لقلوبهم ، إلى قمة الإيمان والعمل الصالح، وكم لكم من الأصحاب والمعارف من يحتاج إلى مثل هذه النجدة.

واجبنا تجاه غير المسلمين

وتلك الوظيفة في غير أهل ملتنا أكبر وأعظم، فإننا قلة في مجتمع عظيم، وبغض النظر عن حكم هذا المجتمع فينا، أهل الإسلام، إلا أنه لايحول بيننا وبين تبليغ رسالتنا، وهذا غاية مطلوبنا، وواجبنا في حقهم، إضافة إلى ماتقدم، من وجوب إظهار جمال الإسلام في أخلاقنا ومعاملاتنا، فهناك عنصر بالغ الأهمية، ذلك هو ضرورة فتح قنوات اتصال مع هذا المجتمع، نعم لذلك وجود، ولكن حيث يكون الوجود غير محقق للكفاية فلازالت التبعة قائمة.

وتلك القنوات لاتقتصر على عمل مؤسسات، أو جمعيات، بل يجب أن تتعدى ذلك لتكون هماً شاغلاً لكل فرد فينا، ولست أستقل جهد كثير من المؤسسات العاملة للإسلام في أوربا أو في أى مكان، وإنما أقول : لايجوز أن يكون عبء الدعوة قائماً على تلك المؤسسات، ونظن بذلك أننا قد حققنا فرض الكفاية، مع أن العمل المؤسساتي في هذا المجال يحتاج إلي كثير من العمل والتشييد والإصلاح، فلابد إذاً من فتح تلك القنوات في كل اتجاه، وتسأل قائلاً:

على أى صفة يمكن أن تكون تلك القنوات؟

أساس ذلك يقرره القرآن في قول الله عزوجل :

﴿ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هى أحسن، إلا الذين

ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أُنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾[١]

فهذه الأية توضح المنهاج الذى ينبغى للدعاة أن يسلكوه مع أهل الكتاب، بما لايحتاج بعده إلى تكليف المتكلفين، وهذا يقررة مبدأ الحوار المتناسق مع دعوة جميع رسل الله ، وفيهم نبينا محمد ﷺ، والمتوافق مع بدهيات العقول، والأوربيون أهل كتاب، ودعوتهم أهون من دعوة الملاحدة أو الشيوعيين، فنبينا محمد ﷺ بعث مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه، ومواضع الاتفاق بيننا وبينهم كثيرة، مما يمكن استغلاله في تبليغ رسالتنا، فكثير من المسلمات عندهم ، هى مسلمات في ديننا ، وليس من حق ثابت في دينهم إلا وهو ثابت في ديننا، ولهذا قال الله تعالي :﴿ **وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا والذى أنزل إليكم** ﴾[٢] فعلينا أن نظهر تلك المسلمات، وأن نحاورهم بالتى هى أحسن، في مواضع الاختلاف بالحجة والعلم والبيان، ثم إنه لنا في مجاوزة أكثر هذه المجتمعات لشرائع كتابها مما هو حق فيه ما يكون هو حجة لنا عند المجادلة .

وهذه قضية لها تفاصيلها، ولكنى قصدت التنبيه على أعظم الطرق الشرعية، لتبليغ رسالة الإسلام إلى غير المسلمين، وتبقى بعد ذلك جوانب في غاية الأهمية، تجب مراعاتها في دعوتهم، وهى بمنزلة المعالم في مسيرة القافلة .

١-سورة العنكبوت : ٤٦

٢-سورة العنكبوت : ٤٦

معالم في طريق الدعوة

أولاً: ضرورة أسلمة الدعوة

وذلك بتجريدها من كل انتساب وإنتماء غير اسم الإسلام، فالله عزوجل يقول: }**إن الدين عند الله الإسلام**{[١] ويقول: }**ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل**{[٢] ويقول النبى ﷺ: «ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جني جهنم»، قيل: وإن صام وإن صلى؟ فادعو بدعوى الله الذى سمى الله به المسلمين المؤمنين عبادالله هكذا يقول النبى ﷺ، فهذه أسماؤنا أهل الإسلام، وهذه ألقابنا الشرعية: المسلمون، المؤمنون، عبادالله، هذه هي الألقاب الشرعية التى تنتصر لها لالسواها، وهى محل اجتماع جميع المسلمين أينما كانوا. والحق والباطل في مسالك طوائف أهل الإسلام إنما يُميَّز بصحة إعتصامها بدينها، لابألقابها وأسمائها وانتساباتها، وإن أوحت بتلك الألقاب بأنها الطائفة المنصورة أو الفرقة الناجية.

وخذ له مثالاً: إن أهل الإسلام في أواخر عهد النبى ﷺ، حين ظهرت البدع الكبرى، فرض الواقع يومئذ على من بقى منهم على الأثر والاتباع لما جاء به الرسول ص، فرض عليهم مصطلح «أهل السنة»، ولم يكن لقباً يفرق الكلمة يومئذ، ولذلك قالوا في تتمته، «والجماعة» ولكن هذا اللقب مع مر الزمن، لم يبق معبراً حقيقة عن حال المنتسبين إليه، بل ظهرت

١-سورة ا ل عمران: ١٩
٢-سورة الحج: ٧٨

دعوات في التاريخ عرفت بضلالها تنتسب إلى هذا اللقب لتبرر حالها، حتى جاء من يقول: (لايكفي الإنسان لينصح عن صدق توجهه مجرد انتسابه إلى أهل السنة، ذلك لانتساب طوائف من أهل البدع إلى هذه التسمية، فابتدع لهم لقباً جديداً، لايعرف في كتاب ولا سنة، حيث رأى لقب أهل السنة غير مؤدٍ للغرض بزعمه، لتزداد بذلك فرقة أهل الإسلام عباد الله تحت ألقاب ومسميات غير شرعية، والله عزوجل يقول في كتابه: ﴿**ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين**﴾[1] فهذا شعار الدعاة، ومن يدعو إلى شعاراته وألقابه لايعو إلى الله في الحقيقة، إنما يدعو إلى تلك الشعارات، وكم لهذه القضية من أثر كبير في تأخير قافلة الفتح الإسلامي المنشود. والمثل على ذلك أن يأتيك الشاب وهو حديث عهد بإسلام ليقول لك: من أي جماعة أنت؟

ثانيا: إبراز صورة الإسلام المشرقة

ضرورة إبراز صورة الإسلام مجردة من مؤثرات التقاليد والعادات المستوردة التى تنتمى إلى أعرفانا القومية، فتلك ليست من الإسلام عباد الله، إنما الإسلام هو المتابعة لما جاء به الرسول ﷺ، فليس من دين الإسلام أن تحمل من تدعوهم على أعرافك وتقاليدك وعاداتك، فالمسلمون حينما كانوا يفتحون البلاد لم يكونوا يحملون الناس على عاداتهم، إنما

١-سورة فصلت: ٣٣

يحملونهم على تعاليم الإسلام وشرائعه، فليس من شعار الإسلام أن نأمر من يدخل الإسلام بدعوتنا، أن يخلع من عاداته، أومن زيه، وعرف قومه، إلا ما كان من ذلك مأموراً به في الإسلام فيفعله، أو كان ذلك من خصائص الكفر فيخلعه.

ثالثاً: التيسير في الدعوة

مع ما يجب أن تكون عليه ونحن نعرض الإسلام على غير أهله من الصلابة في ديننا، واعتزازنابالانتماء إليه، فإن الواجب مراعاة التيسير والتبشير في عرضه، فقد أوصى النبي ﷺ معاذ بن جبل و أبا موسى الأشعرى- رضى الله عنهما-حين بعثهما داعيين إلي اليمن، يدعوان إلى الإسلام أهل اليمن، وكانوا آنذاك كأوربا اليوم (أهل كتاب) ، فقال: «يسرا ولاتعسرا، وبشرا ولاتنفرا، وتطاوعا ولاتختلفا. »(متفق عليه) وهذا مبنى على تحصيل الغاية من دعوة الناس لهذا الدين، وهى أن ينتفع الناس بدعوتك، فالبلاغ ليس مقصوداً لذات البلاغ، فالبلاغ مقصود ليدخل الناس هذا الدين، والداعية لابد أن يحقق بدعوته غرضين متلازمين :

أولهما: برآءة ذمته بتبليغ الرسالة.
ثانيهما : رجاءانتفاع المُبَلَّغ.

وكثير من الدعاة لايراعى الأمر الثانى وهو الأساس الذى اقتضى الأمر الأول، وهذان الغرضان اللذان عليهما مدار دعوة جميع المرسلين، عليهم

الصلاة والسلام، وهما صريحتان في قصة أصحاب السبت في قوله تعالى: ﴿ **واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت، إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرَّعاً و يوم لايسبتون لاتأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون. وإذ قالت أمة منهم لِمَ تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً . قالوا معذرة إلى ربكّم ولعلهم يتقون** ﴾ [1] إذاً هما أمران متلازمان ولابد أن يكونا في اعتبار كل داعية ليحقق هذا المعنى .

ولتحقيق هذين الغرضين ، مكث نوح يدعو قومه ليلاً ونهاراً، ألف سنة إلاخمسين عاماً، وبقي النبي ﷺ يدعو قومه ليلاً ونهاراً حتى آخر أنفاسه، ولما سألته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : (يارسول الله هل أتي عليك يوم أشد عليك من يوم أحد ؟) فقال ﷺ : «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسى على بن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب (مكان قرب مكة) ، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني فقال: إن الله عزوجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك مَلَكَ الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، قال : فنادانى ملَكُ الجبال، وسلم على ثم قال : يامحمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (جبلى مكة)

١-سورة الأعراف: ١٦٣ - ١٦٤

فيهلكهم، فقال رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لايشرك به شيئاً» (متفق عليه)

وكم في هذا الحديث من الدروس لما نحن بصدده، إن الهداية والإضلال بيد الله عزوجل، ومادمنا لاندرى العواقب، فتبقي مسيرة الدعوة مستمرة ورجاء انتفاع المبلغ باق، وهذا لايحققة التهديد، ولا الوعيد. ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾[1]

سماحة هذا الدين

ومن مقتضى التيسير أن تبرز سماحة هذا الدين في شرائعه وتكاليفه، لاعلى صفة ذلك الجاهل المنفر، وهو يقول لرجل وقد أسلم وله زوجة من أهل ملة سابقة، وله منها ذرية يقول له: (عشرتكما زنا حتى تجدوا عقد النكاح) أو الآخر الذى تسلم امرأة على يديه فيتزوجها، فيسئ إليها مالا يجرؤ عليه مع امراة من قومه، أو يظلمها حقها الذي شرع الله عزوجل لها لإنها لاتعرفه من دين الإسلام، كذلك الذي يمهر امرأته مصحفاً ولعله استعاره من مركز إسلامي، ولايتق الله عزوجل، والله يقول: ﴿ **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة** ﴾

١-سورة آل عمران: ١٥٩

رابعاً: العقيدة والسلوك والأخلاق

أن يكون تركيزك في عرض الإسلام ، على جانب العقيدة والسلوك والأخلاق، قبل سائر تكاليف الإسلام وشرائعه، فكل خلل وفساد في الديانات الباطلة ، إنما يعود الخلل إلى هذا الجانب، وقد أحسن الإسلام علاجه، ببراهينه العقلية و النقلية المغنية عن كل تكلف ، وحين نقول العقيدة، فإننا إنما نعنى العقيدة بأسلوبها الذى فهمه بها أبو بكر وعمر والأعرابي وليست هى العقيدة بالمفهوم المُحْدَث بعد ظهور البدع، والطوائف المنتسبة إليها وليست هي أفكار المتعمقين المتكلفين ، وحين نقول السلوك ، فهو جانب تهذيب الروح، وإصلاح السلوك، ونحن نعاني في أنفسنا من أزمةٍ روحية، وفاقد الشئ لايعطيه، فلنصحح هذا الجانب في قلوبنا ، لنقدر على بذله لغيرنا .
وأما جانب الأخلاق فلايخفى مدلوله، ولاأثره .

خامساً: الحصانة من الشبهات

أن تكون لديك حصانة من التأثر بشبهات المبَلَّغين المدعوِّين، وهذا يقتضى أمرين: الاستعداد لسماع أي شبهة يثيرها المبَلَّغ، ثم القدرة على إقامة الحجة ولو بعد حين، وكلا الأمرين يستلزم العلم الكافي، ولقد جاء اليهود يسألون النبى ﷺ عن أشياء، فما كان عنده جواب ذلك، فأرجاهم النبى ﷺ جواب ذلك، حتى نزل عليه الوحي بذلك وهكذا فربما تحار في الجواب عن شبهة من الشبهات، فالعيب كل العيب أن تتكلف لها الجواب

بحيث تضعف حجتك أمام من تدعوهم، وربما تكلفت الجواب بغير الحق، فمن العلم أن تقول فيما لاتعلم : لاأعلم، أوتحيل الجواب على من يعلم حتى تعلم .

سادسا : لاتستسلم للتهم

ألاتستسلم للتهم ترد على دينك، فكثير من غير المسلمين، متأثر بما يسمعه عن أهل الإسلام، وهذا يتطلب أن يعلم كيف نرد دعاية المغرضين الذين يطعنون في دين الله ، يقصدون بذلك تشويه حقيقته، وهذاجانب عظيم الخطر، لايجوز تجاهله من قبل المسلمين في هذه البلاد . فنحن نعلم أن دين الله برىء من كل التهم، وهو عدل صواب في كل تشريعاته وأحكامه، وما يتهم به فهو بين كذب لا يعلم لايعلم غير المسلمين حقيقته، وبين صدق وجده أعداء الإسلام في بعض الضالين من أهل ملتنا، فحملوه علي دين الإسلام .

سابعاً : الإحسان إلى المدعوين

أن نحسن إلى من ندعو بكل ما تتضمن كلمة الإحسان من معنى، من بشاشة الوجوه عند اللقاء والهدية وبذل المعروف والمساعدة بجميع صورها، فالانسان يؤسر بالإحسان إليه، وقد جعل الله عزوجل من مصارف الزكاة، مصرف المؤلفة قلوبهم، وقال الله تعالي : ﴿ **لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من**

دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين﴾ .(١)

أما من يأتي بحديث النبي ﷺ «لاتبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام، وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه» فمن يستدل به في هذه البلاد أو في هذا الظروف ، فقد حرف الكلم عن مواضعه، فاستعمل النص في غير محله، ونزله في غير مورده.

ثامناً: التركيز على أصل الإسلام

وهى أنه يجب أن ننسى الخلافات بيننا، ونحن نعرض الإسلام على غير أهله، يجب أن نبرز دين الإسلام على صفته قبل الخلاف فهو دين محبة وألفة واجتماع ونحصر خلافنا فيما بيننا مجتهدين في علاجه، ولايخفى عليكم أن هذا يحزن أعداء هذا الدين والمتربصين به، ويسد عليهم الطريق لتشويه صورة الإسلام والمسلمين، والسعى في إيذاء أهله، وهذه قضية لاتحتاج إلى مزيد تعليق.

هذه إشارات ومعالم، لمسيرة العمل الإسلامي في هذه البلاد، لعلى لم آت فيها بأكثر من التذكير وحسبى ذلك، وجميع ما تقدم يفتقر إلى فقه يتناسب مع هذه المرحله، فقه غير تقليدى ، فقه مبنى على البراهين الصحيحة، من منابع ديننا، وليس فقه الأحرف والكلمات ، فالكل يقرأ القرآن وكثيرهم المتكلمون بالسنة، لكن هذا شيئ غير الفقه، الفقه فهمٌ

١-سورة الممتحنة : ٨

يقذفه الله في قلوب العلماء ، فيورثهم الفهم والخشية ، ولابد أن يكون فينا من تتحقق الكفاية فيه أيها المسلمون، كما قال تعالى :

﴿ وماكان المؤمنون لينفروا كافة. فلولا نفرَ من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين،ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾(1)

وهذه الآية توجب أن يكون في كل مجتمع فقهاء من نفس ذلك المجتمع لا من غيرهم فلابد أن يحقق المسلمون في أوربا هذا التكليف، فيوجدوا الفقهاء من نفس مجتمعهم ، ليكونوا أقدر على قيادة القافلة، وأهل مكة أدرى بشعابها ومهما أحسنا في تصوير قضايانا ومشاكلنا لأهل العلم الذين لم يخبروا هذه البلاد ولم يعرفوها، ومهما أحسنوا الجواب وأتقنوه ، فإن ذلك لن يأتي على الحقيقة كما هي فليس الخبر كالمعاينة، هذا لو أحسنا عرض المشكلة والإفتاء ، هذا لو أحسن العالم فهم الواقعة، فكيف وكثير منا يعرض المشكلة من خلال رأيه ووجهة نظره، التي قد لايوافقه عليها غيره، فكيف إذا دخل ذلك الهوى والعصبية على أنه قد يكون للعالم حال لايقل عن اعتبار حال المستفتي في تصور القضية، فكم من الناس يستفتي فيفتى كما هو في ظل الخلافة الراشدة، فأول جوابه لمستفتيه : لاتحل الإقامة في ديار الكفر .

كذلك فإن النتيجة الحتميةً للعمل الجاد الصادق أن يواجه العقبات، فالفتح القادم شامل لأقطار الدنيا، وأعداء هذا الدين يعملون

١-سورة التوبة : ١٢٢

لحربه ليلاً ونهاراً لا يسأمون ولا يفترون، وعلو رايته يعنى زوالهم ، فلن يهنأ عيشهم، ولن يهدأ بالهم إلا بمواصله حربهم للإسلام ، فهيى ء النفس لتحمل الصعاب وتلك سبيل لست فيها بأوحد، بل هي سبيل الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، وكلمة الحق أمضى من السيف، ولذلك صار أفضل الجهاد كلمة، وعليك بخلق القرآن ، «إدفع بالتى هى أحسن» وارتفع بخلقك ودينك عن استفزاز خصمك ، والمرحلة القادمة أمل يرجوه كل الصادقين لكنه لن يخلو من الألم ، ولكن:

﴿ إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون، وترجون من الله ما لايرجون. وكان الله عليماً حكيماً ﴾[1]

١-سورة النساء : ١٠٤

المبحث السادس

نحو منطلقات إنسانية
للتعامل مع
المجتمع الغربي

الدكتور / عزام التميمي



نحو منطلقات إنسانية
للتعامل مع المجتمع الغربي

يشعر المسلمون المقيمون في الغرب بوجود أزمة حقيقية في تعاملهم مع المجتمع الغربي، ويمكن تحليل هذه الأزمة والإشكاليات الناجمة عنها على النحو التالي:

*- ظاهرة وجود جاليات مسلمة يسمح لها بالعيش في أمان في بلاد الغربيين ظاهرة غير مسبوقة في التاريخ الإنساني، فأوروبا لم تكن في السابق تتسامح مع وجود غير المسيحيين. تواجد المسلمون قديماً في إسبانيا وصقلية وبعض مناطق أوروبا الشرقية، إلا أنهم كانوا يتعرضون للإبادة - أو ما يسمى اليوم في العرف السياسي - بالتطهير الديني أو العرقي.

*- لأسباب طوعية (الهجرة من أجل العمل والدراسة) أو غير طوعية (اللجوء السياسي والبحث عن الأمن) صارت هذه الجاليات جزءاً من المجتمعات الغربية، واكتسب أبناؤها حق المواطنة فيها.

*- هناك عقبات حقيقية تعترض تعايش كثير من المسلمين مع غيرهم في المجتمعات الغربية. بعض هذه العقبات ليست من صنع المسلمين، ولكن البعض - وفي تصوري هو الأخطر والأصعب - ناجم عن تصورات وسلوكيات تصدر عن المسلمين أنفسهم.

*- يسعى البعض خاطئاً إلى التغلب على هذه العقبات بالذوبان في الثقافة الغربية والتخلي عن الهوية الإسلامية جزئياً أو بشكل كامل.

*- ويصر البعض الآخر على تجاهل العقبات مبادراً إياها بالانعزال والانطواء داخل شرانق يخشى أن تنمو في بعض المدن إلى ما يشبه الغيتوات اليهودية في القرون الماضية.

*- أدى التباين في التعامل مع هذه الأزمة إلى خلق فصام بين الأجيال؛ فهناك جيل الآباء والأجداد، حيث الارتباط العاطفي والثقافي بالموطن الأصل، وحيث التمسك بنفس الأعراف والتقاليد سواء انسجمت مع الوضع الجديد أم لم تنسجم؛ وهناك جيل الأبناء والأحفاد (الذي لا تربطه بالموطن الأصلي عاطفة)، ولا يقيم وزناً لكثير من العادات والأعراف، التي يراها مصادمة للواقع أو مخالفة للمنطق أو معيقة لتطوره ورقيه داخل المجتمع الذي ولد أو نشأ فيه.

مثال:

مشكلة الفتيات، والظلم الذي يقع عليهن، من تعرضهن داخل الجالية الآسيوية لأسوأ أنواع الاضطهاد، مثل الحجر عليهن، ومنعهن من التعليم، وفرض الأزواج عليهن، ومعاقبتهن إن خالفن الأمر باستخدام «وسائل طرد الشياطين» بحجة أنهن مسكونات من قبل الجن. وقد عرضت المحطة الثانية في التلفزيون البريطاني BBC2 مساء يوم الخميس ٢١/١٢/١٩٩٥ برنامجاً وثائقياً حول هذه المشكلة وحول تعرض البنات

لضرب مبرح في سبيل إخراج الشياطين الساكنة في أبدانهن، الأمر الذي يتخمض عن واحدة من حالات ثلاث:

- إما الإصابة بجروح بليغة تستدعي العلاج في المستشفى.
- الهرب من البيت واللجوء إلى المؤسسات الاجتماعية أو ربما الانزلاق في طريق الشيطان.
- الإقدام على الانتحار.

ما من شك في أن عقبات التعايش وإشكاليات التعامل ينبع بعضها من المجتمع الغربي نفسه، إلا أن بعضها منشؤه العقلية المسلمة المتأثرة بكم من المفاهيم التي تشكلت بفعل ثقافة نشأت لغير هذه البيئة وفي ظروف تختلف عن ظروف المعيشة في أوروبا. ويتحمل الفكر الحركي جزءاً من المسؤولية في ذلك، لأن أدبيات الحركات الإسلامية بشكل عام إنما صنفت لتعالج إشكاليات موجودة في مواطن المسلمين، حيث يشكلون الأغلبية الساحقة من السكان. وظني أن بعض منظري الحركات الإسلامية، الذين لا تزال كتبهم وآراؤهم تعتمد مناهج للتربية والإعداد في كل البيئات وكل الظروف بلا تمييز، لو علم أن ذلك حادث لاستاء منه ولاستنكره. فهؤلاء المنظرون إنما كانوا يخاطبون جمهوراً محلياً عرفوه وخبروا ظروفه.

ويدخل في هذا النطاق كثير مما كتب عن الغرب، وهي كتابات تصف دور الغربيين الاستعماري والتآمري، بدافع إيقاظ الأمة من سباتها وكشف الضعاف من أبنائها الذين ارتضوا أن يكونوا مطية يحقق المستعمر من خلالهم مصالحه الحيوية في بلاد المسلمين.

ولا شك أن التحليل الحركي للحروب الصليبية والصراع بين المسلمين واليهود في فلسطين، كان ولا يزال ينزع إلى التركيز على العامل الديني مهملاً الدوافع الحقيقية التي كان الدين يستخدم وسيلة فيها دون أن يكون في الحقيقة هو العنصر الأساس.

وهذا لا يعني أن الغربيين لم تعد لهم في بلادنا مطامع، بل إن سياساتهم لاتزال معادية في مجملها للمصلحة الوطنية وللقضية الإسلامية، وذلك من منطلقات سياسية واقتصادية بحتة.

ولذلك فنحن المسلمون المغتربون في بلاد الفرنجة بحاجة إلى فكر جديد، بل إلى فقه مبدع يأخذ بعين الاعتبار الظروف المستجدة - وما الفقه إلا مرآة عاكسة لظروف الزمان والمكان - لتحقيق أكبر قدر من المصالح ودرء ما يقابلها من المفاسد.

إن للمسلمين في بلاد الغرب اليوم مصالح حيوية من أهمها:

أولاً: تحقيق مكاسب جماعية للجاليات العربية والمسلمة التي اختارت الاستقرار في الغرب. فلاتزال هذه الجاليات تواجه مشاكل عديدة، لا تقتصر على التعليم والأحوال الشخصية، بل تتجاوز ذلك إلى الآثار الناجمة عن تنامي العنصرية وتدهور مستويات الأخلاق داخل المجتمعات الغربية. وبعض الحلول لهذه المشاكل غير ممكنة دون التفاعل مع مؤسسات الدولة والمجتمع، والتأثير على صناع القرار، أو حتى المشاركة في صناعة القرار.

ثانياً: نشر الدعوة الإسلامية وتقديم الإسلام بصورة تستوعبها الأفهام الغربية.

ثالثاً: التخذيل عن المسلمين في بلادهم، وتخفيف الضرر الذي يلحق بهم بسبب السياسات الاستعمارية للحكومات الغربية، وذلك بتحييد أكبر عدد ممكن من الغربيين وحملهم على التأثير على صناع القرار في بلدانهم.

ومع أن المسلمين متأخرون في اقتناص الفرصة، إلا أنهم اليوم أمام تحديات كبيرة تفرض عليهم المسارعة إلى تنشيط أدوارهم.

التحدي الأول

فهو تنامي التيار المعادي لما يسمى بالأصولية الإسلامية في أوساط السياسيين والإعلاميين بعد أن انتهت الحرب الباردة. وهذا التيار تدعمه الحكومات العربية والكيان الصهيوني والمنظمات اليهودية المتصهينة.

التحدي الثاني

مصدره مجتمع الغربيين الذي لا يعرف إلا النزر القليل عن الإسلام، وما يعرفه في معظم الحالات يثير الريبة والخوف في النفوس من كل ما يمت للإسلام بصلة.

التحدي الثالث

هو تنامي التيارات العنصرية، التي تغذيها الأزمة الاقتصادية، فتزيدها حقداً على كل وافد أو ملون. وهذه التيارات ليست في حقيقتها تيارات عقائدية - كالنازية أو الفاشتسية - وإنما هي إجرامية تتغلف بدعاوى أيديولوجية، هي رد فعل على التدهور. وقد فصل في ذلك (إيرنست غيلنر) حينما تكلم عن حتمية سقوط المجتمع الليبرالي وعن نظرية الذئاب والكلاب.

التحدي الرابع

هو بروز جماعات إسلامية منحرفة في فكرها متطرفة في أساليبها ووسائلها، تشوه صورة الإسلام وتسيء إلى الجالية المسلمة. وهذه الجماعات مسؤولة في كثير من الأحيان عن إقدام بعض الحكومات الغربية على تبني أو تعديل القوانين للتضييق على المسلمين بحجة مكافحة الإرهاب والتطرف. وأخطر ما في هذا التحدي هو اعتقاد منتسبي مثل هذه الجماعات أن التسامح والحرية العقائدية تتنافي مع الإسلام، وهم في ذلك لا يقلون سوءاً وخطراً على الإنسانية عن بعض زعماء الصرب الشوفينيين الذين أباحوا لأنفسهم إبادة مئات الآلاف من المسلمين بعد استباحة أموالهم وأعراضهم وأرواحهم.

وفي مواجهة هذه التحديات يحتاج المسلمون إلى منطلقات فكرية قادرة على تكوين أرضية مشتركة يمكن أن يقفوا عليها هم وأهل هذه البلاد. إنها منطلقات إنسانية فطرية تميل إلى الخير وتؤيده وتنفر من الشر وتستنكره، تقوم على العدل وتعشق الحرية، وجدت في كل الحضارات، وأصبحت بالتراكم إرثاً إنسانياً عاماً.

وفي الثقافة الإسلامية اكتسبت هذه المنطلقات وضعاً خاصاً حين أكدها وهذبها الوحي الذي كرم الإنسان، ووضع ضوابط تحول دون الظلم والاستبداد، وأسس قيماً تحكم العلاقات بين الأفراد والمجتمعات على أساس قاعدة ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم** ﴾ و﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ و﴿ **ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى** ﴾، وغير ذلك من المبادئ السامية.

فرسالة الإسلام كانت سباقة في:

*- دعوتها لتحرير الإنسان من العبودية لغير الله.

*- وفي نضالها لإطاحة الطواغيت والأصنام وكل رمز من رموز المؤسسة الدينية الفاسدة المضللة للجماهير.

*- وفي خطابها الإنساني الداعي إلى إعمال العقل بدل الإمعان في التقليد الأعمى للآباء والأجداد.

ففي دعوته المكية، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحاجج كبراء القوم من قريش بأمرين:

أولاً: بأن يستخدموا عقولهم، فيمحصوا ما هم عليه ويقارنوه بما هم مدعوون له، وفي نفس الوقت بأن يأتوا على ما يدعون بدليل يقبله العقل.

ثانياً: بأن يخلوا بينه وبين الناس، فيعطى العامة الحق في اختيار معتقدهم ومعبودهم دون إكراه.

وفي الغرب اليوم يعبر عن هذه المنطلقات إما بمفاهيم دينية تقر بكرامة الإنسان وعبوديته لله وتحض على مكارم الأخلاق والإحسان للغير، أو بمفاهيم إنسانية، هي في الغالب نتاج حركة الإصلاح الديني وعملية العلمنة التي تمخضت عنها، والتي رفعت القيود المفروضة على الإنسان والمجتمع من قبل دعاة (الوكالة الإلهية) في الأرض.

فعلى المستوى الديني، يشترك المسلمون وأهل الكتاب في الاعتقاد برب واحد. ومع أن الخلافات العقائدية جوهرية، فمعظم الغربيين لا يقرون بأن القرآن وحي من عند الله، ولن تجد مسلماً واحداً يقبل الادعاء ببنوة المسيح لله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، إلا أن أموراً كثيرة أخرى تظل مشتركة وتصلح أرضية للتفاهم.

فالمسلمون والغربيون يشتركون أكثر من سواهم في الاعتقاد بفكرة المسؤولية الفردية، ولديهم ما يكفي من التشابه في المفاهيم ليتبادلوا الآراء حول طبيعة الشر والخير، وحول حقوق الملكية أو حول الحفاظ على البيئة، أو حول غير ذلك من القضايا، ومن الأمور التي ينسق حولها بعض

الإسلاميين مع المسيحيين ما يتعلق بالمرأة والإجهاض ومكافحة المخدرات والمسكرات، ومكافحة الدعارة وغير ذلك من الأمور.

إن إحدى مشاكل المسلمين في بلاد الغرب أنه لا توجد لدى كثير منهم ثقافة كافية تؤهلهم لفهم الحضارة الغربية وبالتالي للتعامل مع معطياتها. فغالبية المسلمين أتت إلى هذا البلد مهاجرة من قرى نائية في بلادها تبحث عن الرزق، دون إلمام حتى بالحد الأدنى من العلم الشرعي، ودون خبرة أو مهارة في فن الحوار والجدال، ناهيك عن ضعف لغتها الإنجليزية، أو لغة أهل البلد الغربي الذي يعيشون فيه.

كل هذه العوامل، بالإضافة إلى الإحساس بالتناقض مع أعراف المجتمع الذي وفدت إليه، أدت إلى توليد حالة من الإقصاء ساهمت في زيادة حدتها نظرة الاستعلاء والتجاهل وعدم الثقة التي يرمقهم بها أهل البلاد الأصليين. وهذا بالتالي سيؤدي إلى الاعتقاد بأن قيم الحضارة الغربية، نتاج النهضة والإصلاح، بمجملها خصم لهم.

وأنى لمن هو في موقع هؤلاء أن يدرك المكاسب الإنسانية الرائعة للنهضة، والتي على رأسها تدجين الديانة المسيحية، بمعنى تلطيفها، وتخليص المجتمع من سيطرة المؤسسة الكهنوتية المستبدة والظالمة، وتوسيع آفاق الفكر الديني نحو مزيد من التسامح والقابلية للتعايش مع الغير. أي أن النهضة في جذورها نابعة من الفكر الديني، الذي يقوم على أساس أن البشر خلقوا أحراراً ومتساوين، مكرمين ومسؤولين في نفس الوقت.

وبالإضافة إلى أن النهضة والعلمنة بشكل خاص خرجت من رحم المسيحية - "أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله" - فإن القيم الإنسانية السائدة في الغرب اليوم هي في الحقيقة نتاج تطور حصل عبر عصور متتالية استلهم خلاله منظرو الغرب تجارب الحضارات السابقة بما فيها الإسلامية، وذلك أن الأوروبيين أثناء حجهم وخلال الحروب الصليبية وعبر احتكاكهم بالمسلمين بشكل عام تأثروا بما رأوا وسمعوا وقرأوا، فكان لذلك مساهمته الكبيرة في بعث النهضة الأوروبية التي خلصت الأوروبيين من الإقطاع ومن تَحكّم الكنيسة واستبداد الملوك.
لقد أفرزت النهضة فكراً وثورات رفعت شعارات تحرير الإنسان وتحقيق المساواة وإقامة العدل واعتبار الشعب مصدراً للسيادة بدلاً من الملك أو الكنيسة، واستبدال الفردية بالتعددية، وفصل السلطات منعاً للاستبداد، وإطلاق حرية التعبير.

هذه المفاهيم هي التي تجعل المسلمين انطلاقاً من عقيدتهم والغربيين انطلاقاً من مسيحيتهم أو علمانيتهم يجمعون على المبادئ الأساسية لحقوق الإنسان، وعلى مبدأ أن الأمة هي مصدر المرجعية في قضايا الحكم والسياسة بالرغم من اختلاف الأصول والمنابع.

وهذه المفاهيم هي التي تجعل للمسلمين دوراً مهماً في إعادة تقييم النهضة الأوروبية، أو بمعنى آخر نقدها، وهي القضية التي باتت تشغل بال قطاع مهم من المفكرين الغربيين. وينبغي ألا يكون هم المسلمين تقويض إنجازات

النهضة، وإنما الحفاظ على إيجابياتها وتطويرها واستثمارها وتقليص سلبياتها وتقديم بدائل عملية ومقنعة. ويوشك الإسلام أن يكون الوحيد القادر على مثل هذا العمل الجبار في زمن بدأ الغربيون فيه ينحرفون بنهضتهم عن إنجازاتها العملاقة.

وفي سبيل تحقيق ذلك فإننا بحاجة إلى:

أولاً: البحث عن والتأكيد على المنطلقات الإنسانية التي تجمع المسلمين والغربيين في قارب نجاة واحد وصولاً إلى بر الأمان.

ثانياً: زيادة الوعي لدى المسلمين، وإنشاء خطاب يناسب البيئة الأوروبية يدعم الحوار والمشاركة الإيجابية. وإعادة النظر في كثير من الأدبيات التي كتبت لمرحلة معينة أو ظرف محدد. فليس من مصلحة من يستقر في هذا البلد ويصبح جزءاً من مجتمعه أن يناصبه العداء. وما يوجد لدى مسلمي الغرب من تحفظات على سياسات غربية معينة، فلا أفضل من التعامل معها عبر القنوات السياسية المحلية، تماماً كما تفعل المعارضة في أية دولة ديمقراطية. ولا يكون ذلك بالتنازل عن المبادئ أو عن الحقوق أو بالجبن عن الدفاع عن قضايا المسلمين العادلة في بقاع الأرض المختلفة.

ثانياً: توطيد العلاقات مع النخب الغربية المنفتحة من كتاب وصحفيين وأكاديميين وسياسيين، وفتح حوارات مستمرة لترسيخ مفهوم الأرضية المشتركة. وهناك أعداد متزايدة من هؤلاء تكشف كتاباتهم عن صدق نواياهم، وقد قطعت بعض المنظمات والهيئات الإسلامية شوطاً جيداً في

الالتقاء معهم في ندوات حوار ومؤتمرات وورشات عمل لا شك أن لها تأثيرها على الرأي العام ولها دورها في تعديل كثير من المفاهيم والقناعات التي جانبت الصواب.

ثالثاً: إعداد خطة عملية لدخول المؤسسات الديمقراطية على مستوى البرلمان والبلديات والنقابات ولتفعيل الدور السياسي للمسلمين في البلاد.

رابعاً: إعداد خطة، بالتعاون مع المؤسسات الإسلامية الأخرى، لمكافحة الفكر المنحرف - تفنيداً له وتبرؤاً منه. فهذا الفكر عقبة كؤود في طريق تحسين أوضاع المسلمين في الغرب، ولا يقل أصحابه شيطانية عن أعضاء الجماعات الفاشستية والشوفينية، بل ليس من المبالغة القول بأن بعض الغربيين أقرب إلى مصلحة المسلمين من هؤلاء الغلاة.

المبحث السابع

الحـوار سبيلـنا

الدكتور / عصـام البشيـر

الحوار سبيلنا

مدخل

العمل الإسلامي حقيقة واضحة للعيان . . يعمر وجه الأرض على اختلاف درجة شيوعه بين مكان وآخر، واختلاف سلامة الفهم توازناً وتكاملاً وشمولاً واعتدالاً بين فريق وفريق، واختلاف حظه من القدرة على التطبيق بين موقع وموقع . . وهو أثر لمجموعة متشابكة من العوامل المباشرة وغير المباشرة . . وظاهرة شاملة لحركة الأفراد والجماعات ممتدة في جانب الفكر والسلوك ، متضمنة للإيجاب والسلب في منجزاتها المتعاقبة على رقعة العالم الإسلامي، وما يلحق به من جاليات متناثرة في أنحاء المعمورة.

العمل الإسلامي يهدف الى إحياء سنن الدين المتقادمة بالعودة إلى أصوله الأولى، ومنابعه الصافية، بعيداً عن زيف التاريخ، وأهواء البدع، يستهدي بالإسلام مع ظروف الابتلاء المتجدد، وصروف الزمان المتنوعة. . بفقه لمقاصد الدين وأحكامه، وبعلمٍ مستوعب لواقع العصر وعلومه وإمكاناته، وتنزيل لما هو أزلي مطلق على ما هو عصري حادث من أجل تحقيق مقتضى الدين.

من أجل تحقيق هذه المقاصد لابد للعمل الإسلامي من أن ينتهج سبيل الحوار . . ذلك أن الرأي الآخر واقع إنساني وحقيقة كائنة . . والتعايش مع

وجود الاختلاف مظهر حضاري . . ودليل عافية إذا توفرت قنوات الحوار وأدوات التفاهم .

تعريف الحوار

في اللغة : الحوار يعني مراجعة الكلام والحديث بين طرفين ينتقل من الأول إلى الثاني ثم يعود إلى الأول وهكذا . . دون أن يكون بين هذين الطرفين ما يدل بالضرورة على وجوب الخصومة . . يقول ابن منظور: الاسم من المحاورة الحوير ، تقول سمعت حويرهما وحوارهما ، والمحاورة المجاوبة ، والتحاور التجاوب، والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة .

الجدال والمحاجة والمراء كلها ألفاظ تفيد مراجعة الكلام والحجة عند التخاطب بين طرفين كما أنها تفيد معنى التخاصم وإن تفاوتت النسبة بينها فالجدال أقلها إفادة للخصومة والمراء أكثرها .

في القرآن : لم ترد لفظة الحوار في القرآن وإن وردت مادتها في ثلاث مواضع هي قوله سبحانه وتعالى ﴿ **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير** ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ **فقال لصاحبه وهو يحاوره** ﴾[2] و﴿ **قال له صاحبه وهو يحاوره** ﴾[3]

١-سورة المجادلة: ١
٢- سورة الكهف: ٣٤
٣-سورة: الكهف: ٣٧

قال الإمام الشوكاني في تفسير قوله يحاوره: «يحاوره يراجعه الكلام ويجاوبه ، والمحاورة المراجعة ، والتحاور التجاوب ، على أن الحوار يرد في القران الكريم في مواطن كثيرة جداً وان لم تستعمل مادته نفسها وإنما تستعمل كلمة (قال) التي وردت في القرآن (٥٢٧) مرة.

أما مادة الجدال فقد وردت في تسعة وعشرين موضعاً في القرآن الكريم أكثرها يفيد الجدل المذموم ، غير أنها جاءت في مواضع بمعنى الجدل الحسن، ومن ذلك آية المجادلة السابقة الذكر ، قوله سبحانه وتعالى ﴿ **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن**﴾[1] ﴿**ولما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط إن إبراهيم لحليم أواه منيب**﴾[2]. والجدل ليس مذموماً على إطلاقه وإنما يذم في المواضع التالية:

١-إذا لم يكن قائماً على بينة أو أثارة من علم ﴿ **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدىً ولا كتاب منير** ﴾ .[3]

٢-إذا كان دفاعاً عن أهل الباطل ﴿**ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم**﴾[4].

٣-إذا كان جدالاً بالباطل لدفع الحق﴿ **وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق** ﴾[5].

١-سورة العنكبوت:٤٦
٢-سورة هود :٧٥
٣-سورة الحج:٨
٤- سورة النساء :١٠٧
٥-سورة غافر:٥

٤-إذا كان جدالاً بقصد العلو والاستكبار في الأرض ﴿**إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه**﴾[١].

ولقد جادل الأنبياء والرسل عليهم السلام أقوامهم لبيان الحق، والدعوة إليه، وجادل السعدان نبينا ﷺ ، وعليه فكل حوار جرى بقصد سليم،ومنهج قويم ، وأدى الى غاية حسنة فهو محمود وإن سمي جدلاً،وكل حوار جرى بقصد سيئ، ومسلك معوجّ وأفضى الى سبيل خاطئ فهو مذموم وإن سمي نصيحة.

والقرآن عني عناية بالغة بالحوار ،وذلك أمر لا غرابة فيه أبداً . . فالحوار هو الطريق الأمثل للإقناع الذي ينبع من أعماق صاحبه ،والاقتناع هو أساس الإيمان الذي لا يمكن أن يفرض وإنما ينبع من داخل الإنسان وقد قدم لنا القرآن نماذج كثيرة من الحوار منها حوار الله لملائكته في شأن خلق آدم عليه السلام وحوار إبراهيم عليه السلام لربه طالبا أن يريه كيف يحي الموتى وحوار موسى عليه السلام لربه طالبا السماح له برؤيته والحوار في قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف وقصة ابراهيم عليه السلام حين هم أن يذبح ابنه ،وقصة قارون مع قومه ،وحوار أصحاب الجنة وأصحاب النار في سورة الأعراف .والأمثلة كثيرة جداً وكلها تدل على أهمية الحوار وخطورته.

١-سورة غافر:٥٦

بين يدي الحوار

ينبغي للداعية أو الجماعة أن لا يدخل في حوار ما إلا إذا استحضر أموراً نجملها فيما يلي :

١-سلامة المقصد لبلوغ الحق: فليس مقصود الحوار التباري بذلاقة اللسان، وطلاقة البيان وبراعة الحجج في مقارعة المخالف، وإلحاق الهزيمة به، بل المقصود أن يظهر الحق وعلى هذا ينبغي أن تنعقد النية.

٢- الحكمة : وتقتضي مطابقة الكلام لمقتضَى الحال وذلك يعني تخير المقام وظرف الزمان والحال، وتناسب المعاني لآفاق السامعين. قال ابن مسعود رضي الله عنه (ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة)، وقال علي رضي الله عنه (حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يُكذّبَ الله ورسوله؟) .

٣-المعرفة المستوعبة : يجب على المحاور أن يتحلى بالمعرفة الكافية لطرح أفكاره بصورة صحيحة مشرفة . . وذلك بأن يستند على الكليات الشرعية قبل القواعد العقلية ويقدم الأصول القطعية على الأدلة الظنية ويؤثر الناحية العلمية العملية على الخوض في المسائل الجدلية النظرية . . وأن يعمق فهمه للقرآن كل القرآن ولا يقبل فيه تجزئة ولا تفرقة وأن لا يغفل عن أن الرسول ﷺ أوتي القرآن ومثله معه فالسنة وحي﴿ **إن هو إلا وحي يوحى** ﴾[1]

١-سورة النجم: ٤

على الداعية أن يعرف صحيح الأحاديث ومقاصد الأحكام ودلالات الألفاظ . . كما عليه أن يلم بواقعه الماماً واسعاً مفصلاً يمكنه من التوصيف الشرعي للواقع المعاش ومن الحركة بخبرة وفاعلية . . ومن القدرة على الاختيار الموفق بين بدائل الوسائل المتاحة .

٤-التحلي بآداب الحوار : ومن ذلك عدم الاستئثار بالكلام وحرمان الطرف الآخر منه ، وفي الأثر (يا جرير إذا قلت فأوجز وإذا بلغت حاجتك فلا تتكلف) ومن آدابه حسن الاستماع وما أجمل ما قال ابن المقفع : «تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام» ، ومنه إمهال المتكلم حتى ينقضي حديثه وقلة التلفت الى الجواب والإقبال بالوجه والنظر إلى المتكلم والوعي لما يقول" ، كذلك على الداعية أن يراقب نفسه فلا يرفع صوته ولايزهو بعلمه وأن يتجنب الكلمات النابية والعبارات الحادة .

٥-على الداعية أن يحسن طرح أفكاره وأن يعمل على أن يتحصل على قوة التعبير وفصاحة اللسان وحسن البيان وأن يحسن ضرب الأمثال لتعضيد فكرته كما عليه أن ينطلق من نقاط الاتفاق ويبدأ بالمسلمات والبدهيات ليصل الى ما يريد من غايات . . ويبتعد عن أسلوب التحدي وأن يتلطف ويلين .

٦- على الداعية عند تحول الحوار الى لجاجة أن يعمد آلى إنهاء الحوار بهدوء وبطريقة لبقة ذكية لا تحسب على فكرته عجزاً ونقصاً .

أنواع الحوار

الحوار لايقصد به مراجعة الكلام بين شخصين بقدر ما يقصد به مراجعة الكلام والأفكار بين طرفين ،قد يكون الطرفان أشخاصا أو جماعات أو مجتمعات أو حتى تجريد لصورة خيالية كما في حديث النفس ومحاسبتها . . ويمكننا أن نميز بين أنواع الحوار تبعاً لاختلاف طرفي الحوار ونجملها فيما يلي :

١-الحوار مع الذات .
٢- الحوار الإسلامي الإسلامي .
٣-الحوار الإسلامي القومي .
٤-الحوار الإسلامي المسيحي .
٥- الحوار الحضاري مع الغرب .

الحوار مع الذات

إن أي تجمع فكري أو ثقافي لا يمارس نقداً ذاتياً.فمآله الى الذبول والانحسار . . فالحوار مع الذات ونقدها ومحاسبتها أمر ضروري لحياة الفرد ونموه ولحياة الجماعة وفاعليتها إذ المحاسبة سبيل لمعرفة مواضع القوة ومكامن الضعف . . بغية علاج النقائص وتطوير المميزات .

إن الحوار مع الذات مطلوب في حق الفرد، والحاجة إليه في حالة الجماعة أكبر . . ولا يكتمل البناء إلا بالحوار الداخلي .

الحوار الإسلامي الإسلامي

أدى تعدد واجهات العمل الإسلامي إلى ظهور تيارات كلها تدعو إلى الإسلام وتختلف مع غيرها. ومن هذه التيارات:

١-التيار التربوي: وتمثله جماعات التبليغ والطرق الصوفية.

٢-التيار الحَرْفي: الذي يتمسك بظاهر النصوص دون رعاية لمقاصدها.

٣-تيار الرفض والعنف: وهؤلاء هم جماعات استعمال القوة دون استيفاء شروطها ومتطلباتها.

٤- تيار التمييع: وهؤلاء هم دعاة العصرية والتجدد.

٥-تيار الوسطية: الجامع من محكمات الشرع ومقتضيات العصر.

وهذه الجماعات تجتمع على كثير من أمور التوحد.. وتختلف في جملة من الأمور.. ويمكن لها أن تخرج من ضيق الاختلاف الى سعة التنسيق والتعاون في المتفق عليه والتغافر في مواطن الخلاف بقليل من الوعي والحوار الهادف.

قواعد كلية يجب مراعاتها عند الاختلاف

١- (كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك الا المعصوم ﷺ وكل ما جاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقا للكتاب والسنة قبلناه، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالإتباع، ولكنا لا نعرض للآشخاص - فيما اختلف فيه- بطعن أو تجريح ونكلهم الى نياتهم وقد أفضوا الى ما قدموا) الأصل السادس من الأصول العشرين للإمام البنا.

٢-(والخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سبباً للتفرق في الدين ولا يؤدي إلى خصومة ولا بغضاء ولكل مجتهد أجره ولا مانع من التحقيق العلمي التريه في مسائل الخلاف في ظل الحب في الله والتعاون على الوصول إلى الحقيقة من غير أن يجر ذلك الى المراء المذموم والتعصب) الأصل الثامن من الأصول العشرين للإمام البنا.

الخلاف ضربان

الضرب الأول: ضرب يقع في قضايا الأصول الكلية الاعتقادية ويقع أيضا في مناهج الفهم عن الله ورسوله تنزيلا أو تأويلا كخلاف أهل الأهواء والبدع لأهل السنة والجماعة وهو خلاف مذموم. وهذا الاختلاف يتعذر فيه الوفاق ما لم تتحق أرضية مشتركة وقاعدة جامعة في مسائل الأصول الاعتقادية.

الضرب الثاني: يقع فيما دون الأصول كاختلاف العلماء في الفروع العملية واختلاف الجماعات الإسلامية في تقدير أولويات العمل الإسلامي. والاختلاف في مثل هذه الفروع والجزئيات مع بذل الجهد للوصول الى الحق ضرورة لأنه من طبائع البشر ولا يمكن أن يتحد الناس في هذه الآراء والمذاهب والمسالك لأسباب عدة أشار إليها الإمام البنا:-

١-منها اختلاف العقول في قوة الاستنباط أو ضعفه وإدراك الدلائل والجهل بها والغوص في أعماق المعاني وارتباط الحقائق بعضها ببعض. والدين

آيات وأحاديث ونصوص يفسرها العقل والرأي في حدود اللغة وقوانينها ، والناس في ذلك جد متفاوتين فلا بد من خلاف .

٢-ومنها سعة العلم وضيقه وإن هذا بلغه ما لم يبلغ الآخر ، والآخر شأنه كذلك . وقد قال مالك لأبي جعفر . إن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في الأمصار وعند كل قوم علم فإذا حملتهم علي رأي واحد تكون فتنة .

٣- ومنها اختلاف الاطمئنان القلبي إلى الرواية عند التلقين لها .

٤- ومنها اختلاف تقدير الدلالات فهذا يعتبر عمل الناس مقدماً على خبر الآحاد مثلاً وذاك لا يقول معه به وهكذا .

كل هذه أسباب جعلتنا نعتقد أن الإجماع على أمر واحد في فروع الدين مطلب مستحيل بل هو يتنافي مع طبيعة هذا الدين . إن كان الاختلاف ضرورة واقعة فلا بد من حوار جاد تراعي فيه قواعد الحوار وآدابه التي أوجزها فيما يلي :

١-وجوب رد التنازع إلى الله ورسوله . وقد أجمع أهل العلم على أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه وأن الرد الى الرسول هو إليه في حياته وإلى سنته بعد مماته . كما أجمعوا على أن من استبانت له سنة النبي ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس . وقد اشتهر في الأصول أنه (لا يحل القياس والخبر موجود) (وإذا ورد الأثر بطل النظر) (ولا اجتهاد في مورد النص) .

٢-لا عصمة لأحد عند أهل الحق إلا للنبي ﷺ وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا المعصوم ﷺ .

وأقوال أهل العلم لا تستقل بنفسها حجة شرعية ولكن قول النبي ﷺ يستقل بذاته حجة لازمة. ومن هنا قال بعض أهل العلم إن قول العالم يحتج له وقول النبي ﷺ يحتج به وعلى هذا:

أ- فما جاء في الكتاب وصحيح السنة يجب التقيد بهما مطلقاً حسب دلالات الأحكام.

ب- وكذلك ما أجمع عليه سلف الأمة وأئمة الاجتهاد.

ج- ما اختلف فيه أنظار العلماء وتجاذبته أقوالهم يتخير أقربها الى الكتاب والسنة دون تقديس أو تبخيس.

٣- أن يكون القصد هو تحري الحق وبلوغ الصواب سواء ظهرعلى لسان القائل أو على لسان خصمه، كما أثر عن الشافعي أنه قال: «ماناظرت أحداً إلا ورجوت الله أن يظهر الحق على لسانه». وقال: (قولي صواب يحتمل الخطأ وقول غيري خطأ يحتمل الصواب) وقال: (ماباليت أظهر الحق على لساني أم على لسان خصمي).

وذاك أن الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق بها. وقد يخفى الأمر على عالم ويدركه من هو دونه. وقد صدق الله تعالي قول ملكة سبأ قبل أن تسلم حين قال: ﴿ **إ ن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة** ﴾[1] فجاءالتأكيد لقولها ﴿ **وكذلك يفعلون** ﴾[2]

١- سورة النمل: ٣٤
٢- سورة النمل: ٣٤

يقول ابن تيمية: «الحق يقبل من كل من تكلم به». وكان معاذ بن جبل يقول في كلامه المشهور عنه الذي رواه أبو داود في سننه: «اقبلوا الحق من كل من جاء به وإن كان كافراً (أوقال فاجراً) واحذروا زيغة الحكيم قالوا: كيف نعلم أن الكافر يقول كلمة الحق؟ قال: إن على الحق نوراً».

٤- وجوب إحسان الظن بعلماء الأمة وتوقيرهم والتماس العذر لهم. يقول ابن تيمية: «يجب على المسلمين بعد موالاة الله ورسوله موالاة المؤمنين كما نطق به القران، خصوصاً العلماء الذين هم ورثة الأنبياء الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يهتدي بهم في ظلمات البر والبحر. وقد أجمع المسلمون علي هدايتهم ودرايتهم إذ كل أمة قبل مبعث محمد ﷺ فعلماؤها شرارها، إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم. فإنهم خلفاء الرسول في أمته، والمحيون لما مات من سنته، بهم قام الكتاب، وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا. وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً يتعمد مخالفة رسول الله ﷺ في شيء من سنته دقيق ولا جليل. فإنهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول، وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد له من عذر في تركه».

٥-ضرورة الجمع بين النصوص والأقوال قبل القطع بالحكم عليها من خلال نص واحد مع مراعاة السياق اللفظي والمعنوي والظرفي. فيحمل المبهم الخفي على الواضح الجلي، والمشكل علي المفسر، والمجمل علي المفصل، والعام على الخاص، والمطلق على المقيد، ويرجح المنطوق على

المفهوم،والعبارة على الإشارة والمتأخر على المتقدم،وذلك تحقيقاً للإنصاف.

٦-ضرورة حمل الكلام على أحسن المحامل إن اتسع لها التأويل، وساغ لها الفهم. ومسالك الأئمة طافحة في هذا المعنى . فقد تأول ابن تيمية للمتصوفة قولهم: «إن المريد اذا أحبه الله لم يضره ذنب»،وحمله على أن من أحبه الله ووقعت منه معصية فإن الله تعالي يوفقه للتوبة والاستغفار ويعينه على الخلاص من ذنبه حتى لا يبقى مصراً عليه.وتأول ابن القيم معنى قول الجنيد: «اذا أراد الله بالمريد خيراً أوقعه على الصوفية ومنعه صحبة القراء»، وحمله على معنى أنهم يهذون أخلاقة ويدلونه على تزكية نفسه وأما القراء- وهم أهل التنسك الذين قصرت همتهم عن ظاهر العبادة- فلا يذيقونه من حلاوة أعمال القلوب وتهذيب النفوس. ثم قال: «والبصير الصادق يضرب في كل غنيمة بسهم ويعاشر كل طائفة على أحسن ما معها».

٧-لا يحل التشنيع والإرجاف على طائفة ما بسبب مسائل تحتمل وجوهاً في الفهم ومتسعا للرأي ومسرحاً للنظر ولا يحل التضليل والتكفير لخطورتهم . «فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائناً ما كان سواء كان في المسائل النظرية والعملية أو المسائل الفروعية العملية هذا الذي عليه أصحاب النبي ﷺ وجماهير أمة الإسلام» الفتاوي.
وقال الشوكاني: «واعلم أن التكفير لمجتهد ي الإسلام بمجرد الخطأ في الاجتهاد في شيء من مسائل العقل عقبة كؤود لا يصعد إليها إلا من لا

يبالي بدينه ولا يحرص عليه لأنه مبنى على شفا جرف هار، وعلى ظلمات بعضها فوق بعض».

٨- الاتفاق العام على أصول المنهج لا يلزم منه الاتفاق على تفاصيله والمخالفة الفرعية لا تخرج المرء عن أصول المنهج ومن ذلك اختلاف السلف في بعض فروع العقيدة كمسألة رؤية الرسول ﷺ ربه في المعراج وتفاضل الصحابة ونحو ذلك.

فالحكم إنما يكون باعتبار الغلبة والرجحان فإذا وقع الاتفاق على الأصول والكليات فلا يضر الخلاف المندرج في إطار المنهج الواحد.

٩-ضرورة التوسط والاعتدال حتى عند شنئان العداوة واستحكام الخلاف فلا بد من الانصاف والنظر بعين العدل. يقول ابن القيم: «وكل أهل نحلة ومقالة يكسون نحلتهم ومقالتهم أحسن ما يقدرون عليه من الألفاظ ومقالة مخالفيهم أقبح ما يقدرون عليه من الألفاظ ومن رزقه الله بصيرة فهو يكشف بها حقيقة ما تحت تلك الألفاظ من الحق والباطل ولا تغتر باللفظ كما قيل في هذا المعنى:

تقول هذا جني النحل تمدحه ... وإن تشأ قلت ذا قيء الزنابير

مدحاً وذماً وما جاوزت وصفهما ... والحق قد يعتريه سوء تعبير

فإذا أردت الاطلاع على كنه المعنى هل هو حق أو باطل فجرده من لباس العبارة وجرد قلبك عن النفرة والميل ثم أعط النظر حقه ناظراً بعين الإنصاف ولا تكن ممن ينظر في مقالة أصحابه ومن يحسن ظنه بهم نظراً تاماً بكل قلبه ثم ينظر في مقالة خصومه وممن يسيء ظنه بهم كنظر الشرر والملاحظة ، فالناظر بعين العداوة يرى المحاسن مساوئ ، والناظر بعين المحبة عكسه ، وما سلم من هذا إلا من أراد الله كرامته وارتضاه لقبول الحق وقد قيل :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

وقال آخر :

نظروا بعين عداوة لو أنها عين الرضا لا ستحسنوا ما استقبحوا

١٠-الأئمة والدعاة المشهود لهم بالإمامة في الدين تنغمر سيئاتهم في خضم حسناتهم وفضائلهم، فلا ينبغي الحرص على تتبع سقطات الأعلام وعثرات الهداة ، بل نثبت لأهل الفضل والسابقة فضلهم وسابقتهم .

يقول ابن رجب الحنبلي في مقدمة كتابه القواعد في الفقه : «ويأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه» .

وحين ترجم الذهبي لابن تيمية في تذكرة الحفاظ قال في آخرها-وقد انفرد بفتاوى نيل من عرضه لأجلها وهي مغمورة في بحر علمه فالله تعالى يسامحه ويرضى عنه- فما رأيت مثله-وكل يؤخذ من قوله ويترك-فكان ماذا؟

وقال ابن القيم :«من قواعد الشرع والحكمة أن من كثرت حسناته وعظمت وكان له في الإسلام تأثير ظاهر فإنه يحتمل له ما لا يحتمل لغيره، ويعفي له ما لا يعفى عن غيره ،فإن المعصية خبث، والماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث. ومن هذا قول النبي ﷺ لعمر : "وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم" ، ولما حض النبي ﷺ على الصدقة فأخرة عقمان رضي الله عنه تلك الصدقة العظيمة قال: ماضر عثمان ما عمل بعدها، وقال لطلحة: لما تطأطأ للنبي ﷺ حتى صعد على ظهره الى الصخرة : "أوجب طلحة" وهذا موسى كليم الرحمن عزوجل ألقى الألواح التي فيها كلام الله حتى تكسرت وأخذ بلحية هارون وجره إليه- وهو نبي الله- وكل هذا لم ينقص من قدره شيئاً عند ربه، وربه تعالى يكرمه ويحبه. وهذا أمر معلوم عند الناس مستقر في فطرهم أن من له ألوف الحسنات فإنه يسامح بالسيئة والسيئتين حتى إنه ليختلج داعي عقوبته على إساءته وداعي شكره على إحسانه فيغلب داعي الشكر لداعي العقوبة كما قيل:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحـد جاءت محاسنه بكل شفيع

وقال آخـر :

فإن يكن الفعل الذي ساء واحداً فأفعاله اللاتي سَرَرْن كثير

١١-إن لم تتضح الحجة عند الاختلاف عَذَر كلٌّ أخاه ووكل سريرته الى الله عز وجل وداوم على اخوته. فنعمل فيما اتفقنا عليه من الأصول والكليات والقطعيات والمحكمات، ويعذر بعضنا بعضاً في الفروع مما للإجتهاد فيه

نصيب ،وللنظر فيه مسرح ،وللرأي فيه متسع-أي بضابط إمكان الاجتهاد- في مثل هذا القدر من الخلاف الذي يسمح به المنهاج .

يقول الإمام البنا : « نلتمس كل العذر لمن يخالفوننا في بعض الفرعيات ونرى أن هذا الخلاف لا يكون أبداً حائلاً دون ارتباط القلوب وتبادل الحب والتعاون على الخير، وأن يشملنا وإياهم معنى الإسلام السابغ بأفضل حدوده وأوسع مشتملاته، يعلم الإخوان ذلك، فهم لهذا أوسع الناس صدراً مع مخالفيهم ويرون أن مع كل قوم علماً وفي كل دعوة حقاً وباطلاً فهم يتحرون الحق ويأخذون به ويجادلون في هوادة و رفق لإقناع المخالفين بوجهة نظرهم فإن اقتنعوا فذاك، وإن لم يقتنعوا فإخوان في الدين نسأل الله لنا ولهم الهداية، ذلك منهاج الإخوان فهم يجيزون الخلاف ويكرهون التعصب للرأي» .

ويقول في موضع آخر : «وأما موقفنا من الهيئات الإسلامية على اختلاف نزعاتها فموقف حب وإخاء وتعاون و ولاء نحبها ونعاونها ونحاول جاهدين أن نقرب بين وجهات النظر ونوفق بين مختلف الفكر توفيقاً ينتصر به الحق في ظل التعاون والحب ولا يباعد بيننا رأي فقهي أو خلاف مذهبي فدين الله يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه» المصدر السابق .

١٢-القبول بمبدأ التعددية الحركية وأن تسعى كل جماعة لما وهبت نفسها له

١٣- إبقاء الإلفة والأخوة ورعاية الحقوق وصون الحرمات .

١٤-الوقوف في خندق واحد إزاء قضايا الأمة الكبرى وهمومها المصيرية .

١٥-تجنب ادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة في فهم النصوص وتنزيلها على الواقع.

١٦-إحياء فقه الاجتهاد الجماعي المركب بين فقه النصوص ومقاصدها وفقه الوقائع ومآلاتها.

الحوار الإسلامي المسيحي

الحوار بين الإسلام والمسيحية لا يهدف الى تحوير الدين الإسلامي حتى ترضى عنه النصاري بل يهدف الى التقريب بين المسلمين والنصارى حتى يتعاونوا فيما يتفقون عليه من مبادئ وما يعترضهم من مخاطر ويعملون معا لرقي البشرية ورفعتها. لهذا السبب ينبغي أن لا نغفل-ونحن نحاور النصارى- أنهم يخالفوننا في قضايا جوهرية منها على سبيل المثال:

١-أن المسيحين يقولون إن الله ثالث ثلاثة ويشبهونه بخلقه والمسلمون يقولون بوحدانية الله ويترهونه عن الشبيه ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[١].

٢-المسيحيون على اختلاف فرقهم يرون المسيح ابن الله وثالث ثلاثة: الأب والإبن والروح القدس والمسلمون يرونه عبدالله وكلمته القاها الى مريم ورسول من أولي العزم﴿ **إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن**

١- سورة الشورى:١١

يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً﴾[1]

٣-المسيحيون ينعتون الرسل الكرام بما لايتفق وعصمتهم ويصفون الله بما لا يليق بجلاله بينما المسلمون يؤمنون بعصمة الأنبياء من الخطايا والرذائل وينزهون الخالق عن كل نقص.

٤-المسيحيون لهم أناجيل عديدة كلها محرفة والمسلمون عندهم القرآن الذي حفظ من التحريف والتبديل وما زادته مستجدات الواقع ومكتشفات العلم إلا إعجازاً ورفعة.

علينا في حوارنا مع المسيحيين أن لا نتنازل عن أمر من الأمور الجوهرية التي نخالفهم فيها وأن لا نداهن أو نتملق في هذه الأمور وأن نصدع بالحق في وجههم بأحسن أسلوب وأجمل طريق ما طرحت للحوار. إن الحوار مع المسيحيين يكون نافعاً ومفيداً إذا قصد به التعاون في القضايا العامة التي لانختلف فيها معهم ومن ذلك:

١-الإعلاء من شأن القيم الإنسانية والأخلاق الأساسية فالعدل والحرية والمساواة والصدق والعفة كلها قيم حضارية تشترك فيها الأديان والحضارات وترسيخها في المجتمعات هدف مشترك يمكن التعاون عليه.

١-سورة النساء:١٧١

٢- إيجاد القواسم المشتركة بين الإسلام والمسيحية والتركيز عليها والانطلاق منها نحو التعايش والتسامح والتواصل الحضاري، فأهل الكتاب من النصارى هم أقرب الى المسلمين من غيرهم من اليهود والمشركين والملحدين والوثنيين.

٣-مناصرة المستضعفين في الأرض وقضايا العدل والحرية ومحاربة الظلم ومن ذلك اضطهاد السود والملونين في أميركا واضطهاد الأقليات الدينية وسائر الشعوب المقهورة في فلسطين وكوسوفا والشيشان ونحوه، فالإسلام يناصر المظلومين من أي جنس ودين، والرسول ﷺ قال عن حلف الفضول: (لو دعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت).

٤-التعاون لمواجهة دعاة المادية الذين ينكرون الغيب ودعاة الإلحاد الذين يجحدون وجود الله و دعاة الإباحية الذين يروجون للعري والتحلل الجنسي والشذوذ والإجهاض.

أسلوب الحوار

ينبغي علينا في حوارنا مع غيرنا أن نلتزم الآداب التالية:

١-الحوار بالحسنى: نحن المسلمين أمرنا ربنا أن نحاور ونجادل أهل الكتاب بأحسن أسلوب وأفضل طريقة يقول سبحانه وتعالى:

﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾[1]

١- سورة العنكبوت:٤٦

وقد اكتفى القرآن في الحوار مع الموافقين بأن يكون موعظة حسنة﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** ﴾[1]
لكنه مع المخالفين في الدين ليس بالموعظة الحسنة بل بما هو أحسن منها(بالتي هي أحسن).

٢-الإيمان بكرامة الإنسان من حيث هو إنسان بغض النظر عن معتقده أو لونه أو جنسه والرسول ﷺ قام لجنازة يهودي فقال له الصحابة: يارسول الله إنها جنازة يهودي فقال: (أليست نفسا؟)

٣-إشاعة روح السماحة والرفق بين أهل الأديان والبعد عن التعصب والغلظة والتعنت، وهذا لايعني مجاملتهم على حساب العقيدة الصحيحة ولا يتطلب موالاتهم من دون المؤمنين.

الحوار الإسلامي القومي

القومية كلمة جديدة على المجتمعات الإسلامية ولدت ونشأ مدلولها العصري في أوربا ، في إطار القومية استيقظت حقوق تلك الشعوب وتبلورت طموحاتها وتشكلت قواها العسكرية ونظامها الدولي وبعد أن استعمرت بلاد العرب وسقطت الخلافة الإسلامية العثمانية ظهرت قوى محلية في شتى البلدان العربية لتحرير أراضيها وفي غياب الدولة الإسلامية وبتأثير القوى الإستعمارية ظهر مفهوم القومية العربية بصورته الحالية، ونشأت جماعات وأحزاب وحكومات تقوم على القومية العربية.

١- سورة النحل:١٢٥

وتفاعلت مع مجتمعاتها وتراوحت علاقاتها بالتيار الإسلامي الذي تمثله الحركات الإسلامية بين أشكال ثلاثة:

أ- علاقة تعاون ومشاركة في عدد من النشاطات والمواقف وبشكل خاص في مواجهة الاعتداءات ا لخارجية من قبل الأعداء وقضايا التطبيع مع العدو الصهيوني.

ب- علاقة استبدلت الخلاف بالمسالمة والمجاملة والمهادنة وتوقفت عند ذلك .

ج- علاقة تنافر وشك وريبة وخوف تحمل استعداداً للمواجهة السريعة عند أول تصرف- عفوي أو مقصود-لطرف من الأطراف يعتبره الآخر عملاً استفزازياً.

العلاقة بين التيارين تختلف من قطر عربي لآخر لكنها في مجملها لا تخرج من الأشكال الثلاثة سالفة الذكر ولدفع العلاقة نحو مستقبل أفضل كان لابد من الحوار بين التيار الإسلامي والتيار القومي.

التحديات التي تواجه التيارين

هناك قضايا كبرى تعتبر تحديات أمام التيارين الإسلامي والقومي مثل:

- العدو الصهيوني واحتلاله لأراضي العرب والمسلمين ومحاولات التطبيع التي تتم معه الآن.
- العولمة وآثارها الاقتصادية والفكرية على التيارين .
- النظام العالمي الجديد ومواقفه المتشددة تجاه التيارين .

أولويات الحوار بين التيارين

إذا كانت هذه التحديات والمخاطر التي تواجه التيارين، فعلى التيارين أن يتحاوروا حول نقاط مهمة تتمثل في:

١-المحافظة على الهوية والثوابت: خاصة وأنه في ظل العولمة الثقافية والفكرية تسعى دوائر كثيرة لتمييع تراثنا وإبعاد أجيالنا عن هويتها الحقيقة.

٢-تأمين الأمن والاستقرار: ذلك أن عدم وجود الأمن في ربوع أوطاننا يؤدي إلى تضييع الطاقات وتهجير الكوادر وخروج رؤوس الأموال وتعطيل التنمية.

٣-إرساء قواعد الحوار وممارسته: وذلك لأهمية الحوار وممارسته حيث أنه توجد قواسم مشتركة ومن ثم فإن الأمة تحتاج مزيداً من الحوار وممارسته سواء بين مكونات المجتمع المدني أو بين الهيئات الرسمية.

٤-إرساء قواعد التداول السلمي على السلطة: إن إرجاع الثقة المفقودة بين الحاكم والمحكوم في معظم أقطارنا العربية والإسلامية- إن لم يكن في كلها- يتطلب عملاً مكثفا يثبت أنه بالإمكان إرساء قواعد التداول السلمي على السلطة والتي طالما راهنت أطراف كثيرة على استحالتها عند المسلمين عموماً والعرب خصوصاً.

٥-ترشيد الأنظمة القائمة: لعل التداول السلمي للسلطة قد يكون بعيد المنال على الأقل على المدى القريب والمتوسط ولكن هذا لا يعنى الانكفاء على

الذات، بل من الضروري العمل على ترشيد الموجود والسعي نحو المفقود ومن الضروري كذلك توسيع دائرة المشاركة في سائر المؤسسات لتفويت الفرصة علي المتربصين بالأمة والعمل على تفكيكها أكثر وتعميق الهوة بين الجماهير والسلطة والحكام.

٦-تفعيل العمل الشعبي: إن أهم قوة لدى التيارين هو الالتفاف الشعبي بمشروع الأمة الذي نحمله، مع ضرورة تفعيل العمل الشعبي في أطره المختلفة سواء فيما يتعلق بالهوية والثوابت أو في التصدي للمشروع الصهيوني والمشروع التغريبي أو فيما يتعلق بوحدة الأمة وبعث الأمل.

٧-بعث التنمية وتحقيق العدالة الإجتماعية : إن الأمة تحتاج وفي كل الأوطان الى بعث التنمية في جوانبها المختلفة خاصة وأن الهوة بيننا وبين غيرنا عميقة والبون شاسع لذا يتعين بذل الاهتمام لتفعيل قدرات الأمة التنموية والارتقاء بها، وتقليل الفوارق الإجتماعية بين الطبقات.

الحوار مع الحضارة الغربية

مقصدنا من الحوار مع الحضارة الغربية هو إدارة حوار ينبثق من ثوابتنا الفكرية وأنساقنا المعرفية، حوار تحدد فيه قواعد الحضارة وأسسها الثابتة التي تتضمن رؤية للعالم توضح الموقف من الإله والإنسان والكون والحياة، حوار يدرك أن الاختلاف بين الحضارات سنة من سنن الله تعالى في الكون وأن لكل إنسان ومن ثم لكل أمة وحضارة حق الاختيار وحريته وأن التعاون والتعايش بين المختلفين هو وسيلة البقاء للجنس البشري، حوار يرتكز على أن رسالة الإسلام ليست قومية أو عنصرية أو إقليمية وإنما هي للناس كافة وأنه-أي الإسلام-لم يعرف في تاريخه التصادم الحضاري أو الحروب الحضارية كما لم يعرف المقاطعة الاقتصادية أو حصار المجتمعات.

ينبغي أن يتضح في الأذهان -عند الحوار- ما هو جوهري وهو العدالة والإيمان (والذي هو جوهر الإسلام ديناً ومنهجاً) والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر وهي أركان نجدها في سورة العصر وتصلح أن تكون قواعد تُعتَمد في حوار الحضارات.

إن التفاعل بين الحضارات لابد أن يسبقه الاعتراف بأثر التعددية الحضارية في نمو قيم رفيعة وأن من الخير أن نعايش وليس أن نواجه وذلك في ظل صيغة إنسانية تنطلق من الإيمان بالله ثم القيم التي دعت إليها الأديان.

واجهات الحوار مع الحضارة الغربية

أ- الحوار مع النخبة الفكرية : هذا الحوار لازم لإزالة التشوهات في المفاهيم التي بقيت كأثر عن الحروب الصليبية ولإيجاد أرضية صالحة لعلاقات أوثق وتبادل معرفي يستند على معايير موضوعية .

ب- الحوار مع صناع القرار المؤثرين في إدارة دفة الأمور وتوجيه زمامها .

ج- الحوار مع الرأي العام عبر وسائل الإعلام الوسيطة بمختلف شرائحها لتوضيح صورة الإسلام المشرفة والدفاع عن حقوق الأمة ولإيجاد القواسم المشتركة للتفاهم والتعايش .

مقترحات للحوار مع الحضارة الغربية

١-الإيمان بالتعددية الحضارية الثقافية التشريعية والسياسية والإجتماعية ﴿**لكل جعلنا منكم شِرعةً ومنهاجاً**﴾[١] ،﴿**ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم**﴾[٢] فليس من الإنصاف أن تزهو حضارة الغرب بتعدديتها الحزبية وينحسر طرفها عن التعددية الكونية الحضارية .

٢- تنمية آفاق التواصل الحضاري ومن ذلك الإفادة من الحضارة الغربية في المنهج العلمي في الكونيات والنظم الإدارية المتقدمة وتجديد الإحساس بقيمة الوقت وقيمة العدل في ظل مناخ كريم والدعوة الى قيام شراكة إنسانية

١- سورة المائدة :٤٨

٢- سورة المائدة :٤٨

صحيحة وقويمة- التبادل العادل للمصالح- والسعي الجاد لخفض أصوات الغلاة من الطرفين.

٣-الإهتمام بعالمية الخطاب الدعوى والسياسي، الكتابات التي تقدم لغير المسلمين قليلة فينبغي إعطاؤها الإهتمام الملائم لنا كما ينبغي أن تعتمد على الحجة العقلية لا النصوص الشرعية، وتكون المخاطبة في مواضيع تهم غير المسلمين خاصة في الغرب.

٤-النظر في تأسيس فقه الأقليات المسلمة في مجتمع غير المسلمين على قاعدة (لاتكليف إلا بمقدور) أي على قدر الوسع والطاقة بما يحقق للمسلمين الحفاظ على هويتهم دون انكفاء وتفاعلهم دون ذوبان.

٥-التركيز على المنظومة القيمية في علاقاتنا مع الغرب والقائمة على وحدة الأصل الإنساني ومنطلق التكريم الإلهي للإنسان﴿ **ولقد كرمنا بني آدم** ﴾[١] ، وإحياء مبدأ التعارف ﴿ **لتعارفوا** ﴾[٢]
وتعميق الأخوة الإنسانية (وأشهد أن العباد كلهم اخوة) ، والتعامل بالبر والعدل مع المسالمين﴿ **أن تبروهم وتقسطوا اليهم** ﴾[٣]

٦-إيجاد القواسم المشتركة والإعلاء من شأن الأنساق المتفقة، فالحضارات تتقاسم أقداراً من القيم مثل العدل والمساواة والحرية، الخ وأهل الحكمة من كل ملة يستحقون الشكر والعرفان.

١--سورة الإسراء:٧٠
٢-سورة الحجرات:١٣
٣- سورة الممتحنة:٨

٧-وضع المفاهيم في التعامل مع أهل الكتاب في إطارها الشرعي الصحيح بعيداً عن شطط الغلاة مثل مفهوم الولاء والبراء، ومستلزمات دار العهد ومواثيقه وإشاعة فقه الرحمة لبعث مكامن الهداية في نفوسهم
﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[1]

٨-سنة التدافع الحضاري تقتضي التعامل مع الغرب على أنه دائرة واسعة الأرجاء، متعددة المنافذ، ولا بأس من التعامل معه على أسس موضوعية لرعاية المصالح والمنافع المتبادلة دون حيف أو ظلم لتحقيق الأمن والسلام العالميين.

٩-الالتزام الواضح بالحرية وحقوق الإنسان ومشروعية الخلاف الفكري والتعدد الديني والثقافي والتداول السلمي للسلطة والدفاع عنها بوصفها أساساً من مبادئ الإسلام، ونبذ العنف في العمل السياسي وعدم خلطه بالجهاد.

١٠-إحياء مبدأ التساكن الحضاري واستكمال التوازن المفقود في الحضارة الغربية بالأساس الأخلاقي عبر قدوة ومصداقية يتطابق فيها المثال والواقع ويكون بدلالة الحال أبلغ من دلالة المقال.

١١-التعاون الواسع بين الحركات و التنظيمات الإسلامية حول قضية الحوار والتفاهم مع الغرب بقصد التوصل الى استراتيجية موحدة.

١٢-تنظيم المسلمين في الغرب بحيث تكون لهم مؤسسات تتحدث باسمهم مع الحكومات والهيئات الغربية.

١-سورة الأنبياء:١٠٧

١٣-إنشاء مؤسسات متخصصة في الحوار مع العقلية الغربية في المجالات الدينية والثقافية والسياسية، بمعنى آخر إنشاء علم الإستغراب وتشجيع الطلاب المسلمين الدارسين بالغرب على دارسة المجتمع الغربي وما يتعلق به من ثقافة وإقتصاد ونحوه.

١٤-مخاطبة الرأي العام الغربي من منطلق إنساني تجاه مآسي المسلمين - بإعلام قوي - والإفادة من ذلك في دفع عجلة الحوار والتفاهم.

١٥- تشجيع فكرة المواطنةللجاليات الإسلامية في الغرب مع رعاية مستلزماتها.

١٦- يجب أن ندرك أن الغرب صنفان:

أ- الأول : أمة الدعوة: وهم غير المسلمين وموقفنا منمهم موقف الداعي من المدعو ، يسعى لهدايته بالتي هي أقوم، ويقيم سنن التعامل معه على مبدأ البر والقسط. والإحسان إليه ما دام مسالماً (لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبد الله) وتقديم النماذج العملية الصالحة التي تحبب الإيمان الى نفوسهم، والقناعة إلى عقولهم.

ب- الثاني: أمة الإجابة: وهم المسلمون الذين غدوا جزءاً من نسيج هذا المجتمع، يتفاعلون معه، ويتصلون به، فلهم واجب يتصل بحسن الفهم لدينهم، وجودة التطبيق لمعانيه وحسن العرض لدعوته، ليكونوا مثلاً يحتذي ، وقدوة تلتمس، ومنارة يهتدى بها.

١٧-يتعين على الأقلية المسلمة أن ترعى المواثيق لدار العهد، التزاماً بالقوانين، وانضباطاً بأحكامها ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤلاً﴾ [1] ١٨- كما عليهم الإسهام في علاج مشكلات المجتمع الغربي، وإفرازات الحضارة، من انحلال أسرى ، وتفكك اجتماعي ، وانهيار أخلاقي، وانحراف جنسي، وتعصب عرقي، والعمل على إبراز تلك الإسهامات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

١-سورة الإسراء: ٣٤

المبحث الثامن

المفاهيم الأساسية
للدعوة الإسلامية
في بلاد الغرب

فضيلة الشيخ/ فيصل مولوي

المفاهيم الأساسية للدعوة الإسلامية في بلاد الغرب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسولنا الأمين محمد،وعلى آله وصحبه أجمعين ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، ونحن على ذلك من الشاهدين .

أحمد الله تعالى أن جمعنا في هذه الأمسية المباركة، وفي هذا اللقاء الميمون ، وأسأله سبحانه أن يحقق فينا وعد رسوله ﷺ بأنه« ما اجتمع قوم قط في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم، إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم الله تعالى فيمن عنده»[١] نسأله عزوجل أن يجعل أيامنا هذه محفوفة برضاه، محفوفة بملائكته، تغشانا فيها رحمته، ويذكرنا فيمن عنده إن شاء الله .

في كل مرة نجتمع فيها في مؤتمر من مؤتمرات أوروبا، يكون الإنسان مرتاحاً مسروراً بين إخوانه من الشباب المسلم الذي يعيش في ديار الغرب، وهم تواقون لمعرفة شؤون دينهم والتباحث في أمور دعوتهم وكذلك للالتقاء بإخوانهم . ولكنى في هذا اليوم أكثر سروراً بعنوان هذا المؤتمر فقد

١-رواه مسلم في حديث طويل في كتاب الذكر، باب الاجتماع على تلاوة كتاب الله تعالى.

مرت على المسلمين في هذا البلد سنوات طويلة، ومعظم المواضيع التى تطرح في المؤتمرات تدور حول مشاكل أمتنا، وقضاياها، وهمومها، وهي بلاشك مسائل هامة جداً ولانستطيع - بل لا يجوز أن ننقطع عن قضايا أمتنا - ولكن أيضاً لايجوز أن ننقطع عن قضايا واقعنا الذي نعيش فيه.

نحن جزء من المجتمع الذي نعيش فيه

إن المسلم جزء من أمته الإسلامية، وعلى هذا الأساس فمن الطبيعي أن يفكر بمشاكلها، وأن يشعر بهمومها وأحزانها، وأن يتفاعل معها. ولكنه حين اختار العيش في ديار الغرب، اختار أن يكون جزءاً من هذا المجتمع الذي يعيش فيه، فيجب عليه أيضاً أن يفكر في هذا المجتمع : في قضاياه وهمومه ومشاكله من وجهة نظره الإسلامية، وهذا هو الذي يفرض عليه أن يبحث في شؤون الدعوة الإسلامية في هذه البلاد.

إن الاهتمام بقضايا الأمة الإسلامية في الشرق سيكون عند الكثيرين هنا مجرد اهتمام نظري لاطائل من ورائه، طالما أننا لانستطيع أن نقدم لبلادنا شيئاً ملموساً، بينما الواقع الذي نعيشه في بلاد الغرب إذا تفاعلنا معه يمكننا أن نقدم له ولدعوتنا فيه شيئاً ملموساً. إننا إذا أغفلنا هذا الواقع، وبقينا مشدودين إلى بلادنا الأصلية، فسيكون الخسران نصيبنا في الحالتين : نتكلم عن بلادنا ولا نقدم لها شيئاً يذكر، ونهمل واقعنا ولا نقدم لدعوتنا فيه شيئاً أيضاً.

نحن لاندعو-بل لا نفكر- إلى أن نتخلى عن أية قضية من قضايا أمتنا، لكننا نريد أن نحس بالواقع الذي نعيش فيه، وأن هذا الواقع يفرض علينا ممارسة دعوية هامة جداً، يمكن أن يكون لها أثر على مستقبلنا في هذه البلاد، أو على مستقبل هذه البلاد بالنسبة للدعوة الإسلامية.

تراث مخلوط بشوائب

لقد جاء المسلمون من بلادهم بتراث هائل جداً، فيه من الإسلام النقي الشيىء الكثير، ولكن فيه أيضاً الشيىء الكثير مما ورثناه عن أجدادنا من عصور التعصب والتخلف. هناك الكثير من المواقف والمشاعر والأفكار التي لاتعبر عن الإسلام في هذا العصر.

وقد تكون مفيدة في وقتها ومناسبة له، ولكنها لايمكن أن تكون صورة الإسلام في هذا العصر، ومع ذلك حملناها في قلوبنا وعقولنا إلى هذه البلاد ونحن نظن أنها جزء من الإسلام لاينفك عنه، وبينما هي في الحقيقة جزء من تاريخنا لا أكثر، وإذا كاننت مقبولة من أجيال الأمة السابقة، فليس حتماً علينا أن نقبلها في هذا العصر، اللهم إلا لو كانت من ثوابت الإسلام القاطعة، وأنى لها أن تكون؟

لقد ظلت أفكارنا وعواطفنا مشدودة إلى أمور خلافية كثيرة في المجالات التاريخية والفكرية والفقهية، ولايمكن أن نتحرك في هذا المجتمع بهذا الجبل من التراث تحركاً دعوياً مثمراً.

إن هدفي في هذا اللقاء هو أن أوضح أهم الأسس التي تتناول الدعوة في بلاد الغرب. هناك إشكالات شرعية كثيرة، وكذلك هناك مئات وآلاف من الأسئلة ، تدور حول تعامل المسلم في الغرب مع المجتمع الذي يعيش فيه، فلو اختصرنا الجواب ووضحنا الأساسيات لهان الأمر، واستطاع كل منكم أن يفتي نفسه في كثير من المسائل.

إن ممارسة الدعوة في هذه البلاد تحتاج إلى فهم صحيح لمسألتين أساسيتين، لا يمكن بدونهما أن تكون هناك دعوة:

المسألة الأولى: العاطفة.

والمسألة الثانية : الفكر.

الفصل الأول: العاطفة

هل يمكنك أن تتصور نشوء عاطفة بينك كمسلم وبين غير المسلم-في هذه البلاد- تكون أساساً للدعوة؟

هل يمكنك أن تدعو إنساناً وأنت تحقد عليه؟! وأنت كاره له؟! بل تخطط لحربه؟ !هل يمكن أن تدعوه في هذه الحالة بالحكمة والموعظة الحسنة؟!إذا كنت تريد أن تدعو إنساناً، وأنت ترفض أن تسلم عليه ابتداء، التزاماً بحديث الرسول ﷺ وهو وضع للحديث في غير موضعه:

«لاتبدؤوا اليهود والنصاري بالسلام»[1].

فهذا الحديث الخاص الذي قاله النبي الكريم في ظرف خاص، عندما كان اليهود في المدينة يتآمرون ويحقدون على المسلمين، وكان المسلمون إذا بدؤوهم بالسلام لا يردون السلام عليهم، وإنما يردون بمزيد من الحقد والتآمر : (السام عليكم) . . في هذا الجو، قال عليه الصلاة والسلام: «لاتبدؤوهم بالسلام». فأصبح هذا الحديث في كتبنا أساس العلاقة بين المسلم وغير المسلم في جميع الظروف ، ونسينا العشرات من الآيات

١-رواه مسلم في صحيحه، لكن المنع من ابتداء اليهود بالسلام ورد في روايات أخرى صحيحة أيضاً في صحيح البخاري والنسائي وأحمد والطبراني في الكبير، وكلها تعلل هذا المنع بحالة الحرب مع بني قريظة . بينما رواة مسلم في صحيحه لا تذكر هذه العلة، وتضيف ذكر النصاري مع اليهود ، وكذلك روايتي أبي داوود والترمذي. ولذلك وقع الخلاف بين العلماء حول اعتبار المنع من ابتداء اليهود والنصارى بالسلام حكماً مطلقاً في جميع الظروف ، أو هو حكم خاص بوقت الحرب. راجع رسالة (السلام على أهل الكتاب) للمؤلف ، صادرة عن المؤسسة الإسلامية -بيروت.

الكريمة والمئات من الأحاديث الصحيحة التي تأمر بالسلام، وبرد التحية بمثلها أو بأحسن منها، وغير ذلك.

أقول: كيف يمكن للمسلم أن يكون داعية لإنسان يتحرج أن يبدأه بالسلام، أو يتكلم معه بكلمة طيبة ؟! حتى يظن غير المسلم أن ليس في قلب المسلم أية عاطفة نحو إنسان غير مسلم.

والسؤال مرة أخرى :

هل يمكن أن تقوم علاقة حب بين المسلم وغير المسلم؟

أولاً: مراحل العلاقة بين المسلم وغير المسلم

ولكي أجيب على هذا السؤال سأركز على تحديد العلاقة بين المسلم وغير المسلم في مراحل ثلاث، وردت جميعها في كتاب الله عز وجل وهي :

المرحلة الأول: التعارف

يقول المولى عزوجل : ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ،إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير**﴾[1].

إذاً لا يمكن أن أرى إنساناً غير مسلم ، وتكون أول بادرة مني هي أن أدير له ظهري وأهرب منه، ليس لسبب سوى أنه غير مسلم، فلا أكلمه، بينما لاتوجد أية مشكلة بيني وبينه.

١- سورة الحجرات:١٣

إذا كنت أيها الأخ المسلم داعية، فهذه أرض الله خصبة لدعوتك ،والله عزوجل سخرها لك كي تقوم بواجب الدعوة إلى الله، وتحقق بها نجاحاً وفلاحاً ، إرضاءً لله ولرسوله.

فأقبل على غير المسلم، وتعرف عليه وعلى مشاكله إن لزم الأمر، فلعل هذا التعرف يقرب قلبه منك، ولعله يرتاح إليك، فتكون فرصة سانحة لدعوته إلى الله عز وجل. فالتعارف بين المسلم وغير المسلم مرحلة أساسية لا بد منها.

المرحلة الثانية : التعايش

هل يجوز للمسلم أن يعيش مع غير المسلمين ؟
الجواب : نعم..

فهذه مسألة أساسية، تشهد لها الكثير من النصوص والآيات والأحاديث الشريفة والواقع. إذ ليس من المعقول أن لا يعيش المسلم إلا في جو إسلامي. وليس ذلك مطلوباً في شريعة الله إلا حين يخاف المسلم علي نفسه أو على دينه. ولم يفعل ذلك المسلمون بل فعلوا عكسه، وكانوا يسافرون إلى البلاد غير الإسلامية ويتعايشون مع أهلها بأخلاق الإسلام، وكان ذلك سبباً في دخول كثير من هذه الشعوب في الإسلام. وقد حدد الله سبحانه وتعالي أساس هذا التعايش بقوله :

﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين﴾[1].

إذا لم يبدأك غير المسلم بحرب، ولا أخرجك من ديارك، ولا ظاهر على إخراجك، فهذا يجوز أن تعيش معه، وعند ذلك يجب عليك أن تلتزم بالبر والقسط.

البر أعلى درجات الخلق

انظروا إلى هذا المعنى القرآني العظيم، البر–وهو أعلى درجات حسن الخلق–ومنه بر الإنسان لأمه وأبيه، فهو أعلي درجات حسن الخلق، والمطلوب منا كمسلمين أن نتعامل بهذا البر مع غير المسلمين، وأن نتعامل معهم أيضاً بالقسط، وهو العدل، فلا يجوز لك أن تظلم غير المسلم، بل يجب عليك أن تقف بجانبه إذا كان الحق معه، ولو كان الخصم أخاك المسلم.

هذه قيم أخلاقية عظيمة ومسائل شرعية أساسية نتعايش بها مع غير المسلمين . والله تعالى لم يفرضها علينا كي ندير ظهورنا لغير المسلمين، ولا نتعامل معهم، إنما فرضها علينا كي تكون هي الأساس لهذا التعايش الذي يقتضيه الواقع . لقد خلق الله ـ عزوجل ـ البشر هكذا : متنوعين، متعددين، ولو شاء سبحانه لجعلهم أمة واحدة .

١– سورة الممتحنة: ٨ .

﴿.. ولايزالون مختلفين إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم..﴾[1]

ثم طلب منهم أن يتعارفوا، وأن يتعايشوا بهذا البر والقسط .

المرحلة الثالثة : التعاون

تتعارف أولاً مع غير المسلمين . .

ثم تتعايش بمحبة وانفتاح معهم . .

ثم . . أليس عندك مسائل شرعية محددة؟ . .

هل يصعب أن تجد بعض هذه المسائل الشرعية تحقق مصلحتك، وفي نفس الوقت تحقق مصالح غير المسلمين؟

إذا وقع الانسجام في مسألة ما ، فمن الممكن أن يقع التعاون، ما المانع في ذلك ؟ والرسول ﷺ ـ كما نعرف جميعاً ـ تحدث عن «حلف الفضول» وكان ذلك في الجاهلية، حيث اجتمع رؤساء قريش وزعماؤها وتعاهدوا فيما بينهم على مساعدة الضعيف، وإغاثة الملهوف، ومساعدة المحتاج، إلى ما هنالك من مكارم الأخلاق، وحضره رسول ﷺ وقال في الإسلام بعد ذلك : «لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت»[2]. يجوز لنا إذاً أن نلبي دعوة لغير المسلمين، إذا كانت على أساس يرضي الله عزوجل ، فإذا كانت لدينا مسائل نعتبرها شرعية، وغير المسلمين يتبنونها لأسباب أخرى، فإننا يمكن

١- سورة هود:١١٨-١١٩.

٢- سيرة ابن هشام، والكلام عن هذا الحلف ذكر في البداية والنهاية لابن كثير بإسناد صحيح، وفي دلائل البيهقي، ورواه الحميدي، وابن سعد عن طريق الواقدي.

أن نتعاون معهم على تحقيقها طالما أنها تعتبر مشروعة عندنا. وما أكثر أمثال هذه المسائل.

إذاً فالمراحل التي تحدد ملامح العلاقة بين المسلم وغير المسلم هي: التعارف . . ثم التعايش على أسس شرعية. . ثم التعاون على الأمور المتفق عليها المشروعة في ديننا.

ثانياً: الروابط الاجتماعية بين البشر

أنتقل بعد ذلك إلى ناحية أخرى في تحديد العلاقة بين المسلم وغير المسلم. خلق الله سبحانه وتعالى البشر وأقام بينهم روابط متعددة. يتعاونون بها على شؤون الحياة، وحولها يتلاقون.

من هذه الروابط:

أولاً: رابطة الإنسانية

وهي التي تربط بينك وبين كل إنسان على وجه الأرض، شئت هذا أم أبيت، فأنت من ذرية آدم وهو من ذرية آدم، وأنت إنسان وهو إنسان كذلك. والإنسان مكلف من عند الله بتكليف واحد، سواء امتثل لهذا التكليف أم لا. ولذلك تجد الكثير من آيات القرآن الكريم توجه الخطاب للناس جميعا: ﴿... **يا أيها الناس**.. ﴾ وقد ورد لفظ (الناس) أكثر من مائتي مرة في كتاب الله، فضلاً عن غيرها من الألفاظ التي تعبر عن وحدة الجنس البشري، وتشير بالتالي إلى وجود رابطة بين هؤلاء الناس، وهي التي نسميها الرابطة الإنسانية.

لأنها موجودة عند أي إنسان تجاه جميع الناس. هذه الرابطة بالنسبة لنا كمسلمين ترتب علينا واجبات وحقوقاً شرعية تجدها مفصلة في كتب الفقه والأخلاق والدعوة، ولا حاجة إلى ذكرها في هذا المقام.

ثانياً: رابطة القومية

وهي أقوى من الرابطة الأولى ، فالإنسان يلتقى مع قومه ـ وهم مجموعة من الناس ـ على أمور أكثر من مجرد الرابطة الإنسانية. إنه يعيش عادة مع قومه، ويتكلم بلسانهم ، وله معهم مصالح مشتركة، وبينه وبينهم في الغالب قواسم مشتركة كثيرة. ولاشك أن هذه الرابطة موجودة ولها تأثيرها في واقع الفرد ودنيا الناس. ولذلك فقد ورد ذكر لفظ (القوم) ومشتقاته في القرآن الكريم أكثر من ثلاثمائة وأربعين مرة.

ثالثاً: رابطة العائلة

وهي تمتد على ثلاثة دوائر:

الأولى : وتشمل الوالدين والأولاد والزوجة ومن يسكن معهم من الأقارب في نفس الدار.

الثانية : تشمل سائر الأقرباء من العصبات والنساء وذوي الأرحام.

الثالثة : تشمل سائر الأقرباء الذين ينتسبون إلى جد واحد مهما كان بعيداً.

هذه الرابطة تترتب عليها آثار أكبر في حياة الإنسان، ولذلك خصتها الشريعة بقدر كبير من الأحكام، سواء ما يتعلق بالأبوين والزوجة والأولاد، أو بالمحارم، أو بالمواريث ، أو بالعاقلة (وهم الأقرباء الذين

يلتزمون بمساعدة أحدهم في دفع الدية إذا ارتكب جريمة قتل خطأ)، أو غير ذلك.

رابعاً: رابطة المصلحة

وهي التي تربط مجموعة من الناس بمصالح مشتركة يريد كل واحد منهم الحفاظ عليها ودعمها، كالنقابات التي تربط بين العاملين في مجال واحد، وقد لا يكون بينهم رابط آخر. فهذا التعايش الدائم والمصالح المتبادلة تولد رابطة بينك وبين هؤلاء القوم.

خامساً: رابطة الإقامة

فالذي يقيم في بلد ما يشعر تجاه هذا البلد برابطة تشده إلى مكان إقامته الجديدة. فالمسلم إذا أقام ببلد غير إسلامي، والعربي حين يقيم في بلد غير عربي، والمسيحي حين يقيم في بلد إسلامي - غير بلده - كل هؤلاء يشعرون برابطة خاصة تجاه بلد الإقامة الجديد، قد يكون فيها شيئ من الحب والاحترام، وقد تكون نوعاً من الحقد والكراهية بحسب المعاملة التي يلقاها في هذا البلد الجديد. وهذه الروابط هي مشاعر فطرية بشرية طبيعية.

سادساً: الرابطة الإسلامية

أما الرابطة الإسلامية فهي التي تربط المسلم بأخيه المسلم، وهي تشمل كل من يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله. إنها الرابطة العقائدية التي تهيمن على ماسواها من الروابط جميعاً وتغلبها عند التنازع، لكنها مع ذلك لا تلغي أية رابطة منها على الإطلاق. والإشكالية الحاصلة هنا هي أن بعض

المسلمين يظن أن هذه الرابطة تلغي جميع الروابط الأخرى ولايعترف إلا بها، مع أن هذا ليس صحيحاً على الإطلاق، فالله عزوجل يقول :

﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها ،وتجارة تخشون كسادها ،ومساكن ترضونها، أحب إليكم من الله ورسوله ،وجهاد في سبيله ،فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ،والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾(١)

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية : (وفي الآية دليل علي وجوب حب الله ورسوله ، ولاخلاف في ذلك بين الأمة، وأن ذلك مقدم على كل محبوب). ومعنى ذلك أن حب الله ورسوله لم يلغ أنواع الحب الأخرى، ولكنه يقدم عليها فقط .

لقد أشارت الآية الكريمة إلى رابطة الأبوة والبنوة والأخوة والزوجية والعشيرة(القومية) والمصالح المتمثلة بالأموال والتجارة ورابطة المساكن أي الإقامة ، واستعملت كلمة (أحب إليكم)، فالله تعالى لم ينكر علينا هذه الروابط وما ينشأ عنها من حب ، ولكنه أنكر علينا أن يكون هذا الحب أكبر من حبنا لله ورسوله، فالمطلوب أن يكون الحب لله أكبر من أي حب آخر.

وحين يقع التعارض فإن المسلم يغلب حبه لله والتزامه بأحكام شريعته على مقتضيات جميع الروابط الأخرى. أما إذا لم يقع التعارض فأنت

١- سورة التوبة: ٢٤

تعيش وفي قلبك حب لهذه العناصر الدنيوية طالما أنها لا تتعارض مع حبك لله أو حبك لرسول الله ﷺ . إذاً لا بد أن ينشأ عن هذه الروابط التي أشار إليها رب العالمين حب، لأن الإنسان يعيش مع الإنسان الآخر إما بحب أو ببغض . والحب درجات والبغض درجات . فالحب قد يكون في أدنى الدرجات أو أعلاها، والبغض كذلك ، ولا يمكن أن يرتبط أي إنسان بآخر إلا بأحد هذين الشعورين بشكل من الأشكال. هنا أجد من الواجب أن أنتقل لتوضيح مسألة أخرى في غاية الأهمية ، وخاصة بالنسبة لمن يعيش مع غير المسلمين فأقول :

ثالثاً: حب المسلم لغير المسلم

هل يجوز لمسلم أن يشعر بحب نحو غير المسلمين؟اسمعوا لقول الله عزوجل: ﴿**ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله، وإذا رأوكم عضوا عليكم الأنامل من الغيظ، قل موتوا بغيظكم**﴾[1] المقصود بهذه الآية اليهود على رأي أكثر المفسرين، والمنافقون على رأي بعضهم .

يقول الطبرى في تفسير هذه الآية : (. . فأنتم إذا كنتم أيها المؤمنون تؤمنون بالكتب كلها، وتعلمون أن الذي نهيتكم عنه أن تتخذوهم بطانة من دونكم كفار بجحودهم ذلك كله ، من عهود الله إليهم، وتبديلهم ما فيه من أمر الله ونهيه، أولى بعداوتكم إياهم وبغضائهم وغشهم ، منهم بعداوتكم وبغضائكم . .) (. . وفي هذه الآية إبانة من الله عز وجل عن حال

١- سورة آل عمران:١١٩

الفريقين، أعني المؤمنين والكافرين، ورحمة أهل الإيمان ورأفتهم بأهل الخلاف لهم، وقساوة قلوب أهل الكفر وغلظتهم على أهل الإيمان، كما حدثنا بشر عن قتادة في قوله في قول الله تعالى: ﴿**ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله**﴾، فو الله إن المؤمن ليحب المنافق ويأوي له - أي يرق له - ويرحمه، ولو أن المنافق يقدر على ما يقدر عليه المؤمن لأباد خضراءه)[1]

ويقول السيد محمد رشيد رضا في تفسير هذه الآية: (فالقرآن ينطلق بأفصح عبارة وأصرحها، واصفاً المسلمين بهذا الوصف، الذي هو أثر من آثار الإسلام، وهو أنهم يحبون أشد الناس عدواوة لهم، الذين لا يقصرون في إفساد أمرهم وتمني عنتهم، على أن بغضاءهم لهم ظاهرة، وما خفي منها أكبر مما ظهر. أليس حب المؤمين لأولئك اليهود الغادرين الكائدين، وإقرار القرآن إياهم على ذلك لأنه أثر من آثار الإسلام في نفوسهم، هو أقوى البراهين على **أن هذا الدين دين حب ورحمة وتساهل وتسامح**، لايمكن أن يصوب العقل نظره إلى أعلى منه في ذلك). وبعد كلام طويل يقول السيد رضا: (ونتيجة هذا كله: إن الإنسان يكون في التساهل والمحبة والرحمة لإخوانه البشر على قدر تمسكه بالإيمان الصحيح، وقربه من الحق والصواب فيه. وكيف لا يكون كذلك، والله يقول لخيار المؤمنين: ﴿**ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم**﴾، فبهذا نحتج على من يزعم أن ديننا يغرينا ببغض المخالف لنا..).[2]

١- تفسير الطبري-الآية ١١٩ من سورة آل عمران

٢-تفسير المنار- الآية ١١٩ من سورة آل عمران

وإياك أن تفهم من ذلك أن حبك للمسلم هو كحبك لغير المسلم، هناك فارق كبير، فالمسلم إنما تحبه لإيمانه بالله ورسوله، ولالتزامه بالعقيدة الصافية الصحيحة، حتى وإن لم تلقه، ولم تكن بينك وبينه مصلحة، لأنك إنما تحبه لأجل الله الذي ربط الإيمان به بينكما، حتى لو وقع بينك وبينه خلاف، فليس ذلك بمزيل لمحبته من قلبك أبداً.

كما أنه لايمكن أن يكون في قلبك حب لغير المسلم بسبب كفره، فهذا أمر محال، لكن قد يكون في قلبك حب له لاعتبارات أخرى. قد يكون صادقاً فتحب فيه صدقه، وقد يكون وفياً فتحب فيه وفاء العهد، وقد يكون معك أميناً في التجارة فتحب فيه هذه الأمانة، وأنت تحب له الهداية في كل الأحوال. هذه المشاعر قد توجد بينك وبين غير المسلم، وهي تختلف عن الحب في الله الذي لايمكن أن يكون إلا لإنسان مسلم، والذي يكون مجرداً من كل الاعتبارات الأخرى، بينما حب الكافر حين يوجد لا بد أن يكون مرتبطاً بأسباب أخرى.

وقد ورد في أسرى بدر من المشركين حديث رسول الله ﷺ: «لوكان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى لأطلقتهم له»[١] وهو دليل على وفاء رسول ﷺ للمطعم بن عدي لدوره في حمايته عندما عاد من الطائف، ولدوره في تمزيق صحيفة المقاطعة، وكان مشركاً في الحالتين. هذا الشعور من النبي عليه الصلاة والسلام نحو المطعم يحمل في طياته نوعاً من الحب الفطري لقيم الشهامة والشجاعة، وليس أبداً من نوع الحب العقائدي.

١- رواه البخاري.

حب المسلم لزوجته الكتابية

ومما يؤيد هذه الفكرة أن الله عزوجل أباح للمسلمين الزواج بالكتابيات كما هو معروف. وقد خلق الله تعالى نوعاً من الحب والمودة بين الزوجين تكفل استمرار الحياة الزوجية، رغم كل الإشكالات. قال تعالى:

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾[1]

فالرجل المسلم يحب زوجته الكتابية، والله تعالى هو الذي خلق هذه المحبة في قلبه، فهل يجوز أن ينهاه عنها؟أعني هل يمكن أن يباح للمسلم الزواج من كتابية ثم يطلب منه أن لا يودها ولا يحبها؟! هذا غير معقول، فلو كان لايجوز له مودتها، لنهاه عزوجل عن الزواج منها.

إذاً يمكن أن تكون هناك مودة بين المسلم وغير المسلم، ولكن ليس لكفره وضلاله ـ معاذ الله ـ ولكن لا عتبارات أخرى مشروعة، منها رابطة الزوجية، فإن الزوجة ولو كانت كتابية تشارك زوجها في كثير من المشاعر، ويمكن أن يتفاهما فيها معاً.

كما يمكن أن تكون هناك مشاعر فطرية وروابط اجتماعية بين المسلم وغير المسلم، إذا وجدت مثل هذه الاعتبارات المشروعة كالعهد والجوار والتعامل وغيرها. إنه إذا لم يكن هناك نوع من المحبة أو نوع من الاحترام أو الخلق

١- سورة الروم: ٢١.

الطيب بينك وبين غير المسلم، فلا يمكن أن تنجح في دعوتك أبداً. قال تعالى :

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾[1]

هذا أساس من أسس الدعوة، وهو أن يكون هناك حوار بالتي هي أحسن، وأن تكون هناك حكمة، وموعظة حسنة. هذه كلها لا تتوفر إلا بوجود مشاعر بين الداعي والمدعو، قد تسميها حباً باعتبار ، وقد تسميها مودة باعتبار آخر. وليس هو بلاشك من الحب في الله ، وليس من المودة التي نهى الله سبحانه وتعالى عنها في كتابه الكريم.

المودة المنهي عنها

قال تعالى : **﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾[2]**.

فالمودة التي نهى الله عنها في هذه الآية هي لمن كفر وحاد الله ورسوله، وليس فقط لمن كفر، بل هو من زاد على كفره أنه يحاد الله ورسوله ، ويحارب الإسلام والمسلمين، لكن لو افترضنا أن هناك إنساناً كافراً غير محارب لله ورسوله، ولم يحاد الله ورسوله ـ وقد تتوفر فيه بعض الصفات

١- تسورة النحل: ١٢٥ .

٢-سورة المجادلة :٢٢

الطيبة والقيم الراقية ،فلا بأس أن نقدر فيه هذه الصفات أو القيم أو الاعتبارات لأنها بقية من رصيد الفطرة عنده، وهي مقبولة من الناحية الشرعية، بل إن الرسول ﷺ يجعل هذه القيم أساس رسالته حين يقول: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». [1] ذكر الشوكاني في تفسيره [2]أن هذه الآية: ﴿ **لاتجد قوماً يؤمنون ..**﴾ نزلت في أبي عبيدة بن الجراح عندما قتل والده في غزوة بدر، وقد أخرج ذلك ابن أبي حاتم والطبري والحاكم وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في سننه. وذكر القرطبي[3] مثل هذا القول عن ابن مسعود .كما ذكر أن هذه الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة لما كتب إلى أهل مكة بمسير النبي ﷺإليهم عام الفتح. وذكر من سبب نزولها أو تفسيراً لها موقف أبي بكر عندما دعا ابنه عبد الله للمبارزة، وموقف مصعب بن عمير عندما قتل أخاه عبيد بن عمير .وموقف عمر بن الخطاب عندما قتل خاله العاص بن هشام ، وموقف علي وحمزة عندما قتلا عقبة وشيبة والوليد.

وكل هذه المواقف تؤكد أن المودة المنهي عنها في هذه الآية هي لمن جمع الكفر مع المحاربة. ويؤيد ذلك ما سبق أن ذكرناه من جواز مودة المسلم لزوجته الكتابية وفق نص القرآن الكريم لأنها لا يمكن أن تكون محاربة بسبب رباط الزوجية، فإذا حصلت الحرب منها فينبغي أن تزول المودة لأنها تصبح غير مشروعة.

١-أخرجه أحمد والحاكم والبيهقي.٣

٢- تفسير فتح القدير للشوكاني. جـ ٥ ص ١٩٤ طبعة البابي الحلبي بمصر.

٣-الجامع لأحكام القرآن جـ ١٧ ص ٣٠٧-٣٠٨ طبعة دار الكتاب العربي ـ القاهرة.

نستنتج من هذا أن العاطفة يمكن ويجب أن تكون موجودة تجاه إنسان تريد أن تدعوه إلى الله عز وجل، وهذه العاطفة هي جزء صغير من عاطفة الحب التي أرادها الله عز وجل خالصة له ، وأراد أن يكون الحب والبغض للناس الآخرين خالصاً أيضاً له سبحانه . هذا هو الأساس الذي يعتبر أقوى من كل ما عداه ، ويغلب كل ماعداه. . لكن يمكن أن يكون ضمن هذا الحب الكبير جزء يبذل لغير المسلمين في حدود ما يرضي الله ، إما عاطفة وإما حواراً بالتي هي أحسن، أو موعظة ، أو خدمة، أو تضحية، أو تعاوناً على أمر مشروع، فهذه كلها جزئيات، لكن لا بد أن تكون موجودة لأنها تعبر عن حقيقة الرسالة الإسلامية التي جعلها الله (رحمة للعالمين) وتساعد على نجاح الدعوة إلى الله .

الإسلام جاء رحمةً للناس جميعاً

إذا أعلن الكافر الحرب عليّ، فلايمكن أن يكون في قلبي ذرة حب نحوه، لكننا نعيش ـ في بلاد الغرب ـ اليوم في وسط مسالم ولو كان مخالفاً لنا في الدين، وعندنا رفاق وجيران من غير المسلمين، وقد يكون من بين هؤلاء من هو قريب جداً منا، وقد تشعر أيها الأخ المسلم بنوع من العلاقة بينك وبين هؤلاء ، وقد تستحي أو تتحرج أن تسميها حباً أو مودة، إنه لا حرج في ذلك حسب الفهم الصحيح للآيات التي مرت بنا وفق أسباب نزولها، وكذلك أحاديث رسول الله ﷺ .فهذه عواطف لا علاقة لها بالإيمان ، وإنما هي عواطف متصلة باعتبارات مشروعة بالنسبة لنا نحن المسلمين، ومثل هذه الاعتبارات المشروعة، قد تنشأ عنها عواطف فطرية ،

وهذه لايمكن ولا يتصور أن تتعارض مع الحب في الله ، فضلاً عن أن تتغلب على ذلك الحب الذي يعتبر أصلاً من أصول الإيمان . إن أوثق عرى الإيمان هو: الحب في الله والبغض في الله . ومما يؤكد مشروعية هذه العواطف أن الله عز وجل أرسل رسوله محمداً ﷺ رحمة للعالمين[١] وأن الرسول ﷺ قال :

«لن تؤمنوا حتى تراحموا " .

قالوا : يارسول الله كلنا رحيم، قال :

" ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة الناس رحمة عامة " .[٢]

وقال أيضا : «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» .[٣]

وهل الرحمة تجاه الناس جميعا إلا نوعا من العاطفة؟!

الحب الفطري والحب العقائدي

من كل ما تقدم يتبين لنا أن هناك نوعين من الحب . حب فطري وحب عقائدي .

*- الحب الفطري :

وهو أثر من آثار الشهوات. قال تعالى: ﴿**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من**

١-الآية ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ سورة الأنبياء١٠٧ .

٢-رواه الطبراني، وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد. رجاله رجال الصحيح.

٣- رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾.[١]

ويقول رسول الله ﷺ : «حبب إلى من دنياكم الطيب والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة».[٢]

يقول الإمام الغزالي[٣] عن هذا النوع من الحب :(هو حب بالطبع وشهوة النفس ، ويتصور ذلك ممن لا يؤمن بالله . إلا أنه إن اتصل به غرض مذموم صار مذموما، وإن لم يتصل به غرض مذموم فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم). فالحب الذي نتحدث عنه مع غير المسلمين لا يكون إلا من هذا النوع الفطري. فقد تحب امرأة غير مسلمة لجمالها أو خلقها. هذا أمر فطري ، ويكون مذموما إذا اتصل به أمر حرام كا لخلوة أو الاختلاط المحرم أو الزنى ، ويكون مباحا إذا اتصل به غرض مباح كالزواج . وقد تحب إنسانا غير مسلم لحسن خلقه، أو كمال عقلة، أو لقرابة بينك وبينه، أو لمصلحة لك عنده ، أو لألفة بينكما أو غير ذلك. فإذا لم يتصل بهذا الحب أمر مذموم فهو مباح، وعلى المسلم أن يستفيد من هذا الحب في دعوة هذا الإنسان إلى الله تعالى .

كما ورد عن عبد الله بن عبدالله بن أبي ، الصحابي الصالح الذي كان أبوه منافقا، وكان يحبه لأنه والده، ويحب له الهداية، والرسول يأمره بحسن معاملة أبيه رغم نفاقه، لكن هذا الحب الفطري لم يدفعه للانتصار لأبيه ضد

١–سورة آل عمران : ١٤ .

٢– رواه الترمذي وأحمد والطبراني في الأوسط والبيهقي في السنن.

٣– إحياء علوم الدين ـ معنى الأخوة في الله وتمييزها عن الأخوة في الدنيا.

المسلمين، ولو حصل ذلك لكان حبا مذموما، ولكنه انتصر للإسلام ضد أبيه كما هو معلوم.

*-الحب العقائدي:

وهو حب الله ورسوله، والحب في الله ولله. وهو ثمرة من ثمرات الإيمان، وجزء من عقيدة المسلم. وبه يتعلق التكليف الشرعي. لأن واجب المسلم أن يحب أخاه المسلم ولو لم يكن بينهما تناسب أو انسجام أو قرابة أو مصلحة، بل يحبه لأنه مسلم.

ولذلك اعتبر رسول الله ﷺ من حلاوة الإيمان «أن يحب المرء لا يحبه إلا لله»[١]. وتحدث عن السبعة الذين يظلهم الله في ظله ومنهم: «رجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه».[٢] وقال: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا..».[٣] و مثل هذه الأحاديث كثير.

هل يعتبر غير المسلمين (إخوة؟)

وقد يتحرج بعض المسلمين من اعتبار غير المسلمين إخواناً لنا، وإذا استعمل البعض كلمة إخواننا النصارى، ترى الكثير من الشباب المسلم يهيج ويثور قائلاً: كيف تسمون النصارى إخواناً لنا والله عزوجل يقول: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾.[٤] إهم يفهمون من هذه الآية أن الأخوة محصورة بين المؤمنين، ولايمكن أن تشمل غيرهم، وهذا ليس صحيحاً، للأدلة التالية:

١- متفق عليه.
٢-متفق عليه.
٣- رواه مسلم.
٤-سورة الحجرات: ١٠.

١-لقد وصف الله عز وجل الأنبياء بأنهم إخوة لأقوامهم الكفار. قال تعالى

﴿ **وإلى عادٍ أخاهم هوداً** ﴾.[١]

﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً ﴾.[٢]

﴿ **وإلى ثمود أخاهم صالحاً** ﴾.[٣]

﴿ **إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون؟** ﴾.[٤]

﴿ **إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون؟** ﴾.[٥]

﴿ إذ قال له أخوهم صالح ألا تتقون ؟ ﴾.[٦]

هؤلاء الأنبياء: نوح وهود وصالح وشعيب، اعتبرهم الله إخواناً لأقوامهم، فهذا تصريح من القرآن بوجود أخوة قومية رغم اختلاف الدين.

٢-وقد أبقى الله تعالى وصف الأخوة حتى مع الإنسان الكافر المحارب، وذلك في قوله تعالى:

﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ...** ﴾[٧] فالأخوة الإنسانية موجودة، والأخوة القومية موجودة، والأخوة النسبية موجودة، وقد يكون معها أخوة الإسلام فتزداد قوة ومتانة، وقد لا يكون معها أخوة إسلامية، فتبقى كل أنواع هذه الأخوة

١-سورة الأعراف:٦٥

٢-الأعراف:٨٥

٣-سورة الأعراف: ٧٣

٤- سورة الشعراء:١٠٦

٥- سورة الشعراء: ١٢٤

٦-سورة الشعراء: ١٤٢

٧-سورة المجادلة.٢٢

إلى جانب بعضها ، وعند التعارض يغلب المسلم أخوته الإسلامية على كل ما عداها .

أما الآية الكريمة }إنما المؤمنون إخوة{ فمعناها أن العلاقة بين المؤمنين لا يمكن أن تكون إلا علاقة أخوة في الله، ولكنها لاتحصر الأخوة فقط بين المؤمنين . إذ الأخوة قد يكون لها سبب آخر بين المؤمنين وغير المؤمنين، فقد تكون أخوة قومية أو أخوة بشرية أو قد تكون صداقة مبنية على المصالح المشروعة .

ومن جهة أخرى فقد تكون العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين حرباً أو عداوة أو أحقاداً، أما بين المسلمين فالعلاقة ينبغي أن تكون دائماً قائمة على الأخوة في الله .إذا نظرنا إلى هذه الآية في ضوء الآيات الأخرى، فإننا نتوصل إلى النتيجة التالية : أن كل هذه الروابط البشرية روابط فطرية، غير أن أقوى رابطة تربطني ببشر هي رابطة الأخوة في الله، وهذه لا يمكن التنازل عنها أو التفريط فيها أو الاستحياء منها .

لكن هذه الرابطة القوية ليست وحيدة ولا تمنع أن يكون بيني وبين غير المسلمين أخوة من نوع آخر، أقدر فيها القرابة النسبية أو القومية أو الإنسانية، فهذه لها قدرها وتلك لها قدرها، والذي يغلب واحدة على أخرى عند التعارض أمر الله تعالى وشريعته .

الفصل الثاني : الفكر

إن أكثر من ثلث المسلمين يعيشون اليوم في بلاد غير إسلامية ، وتنتشر بينهم جملة من الأفكار ورثوها من تراث الإسلام الزاخر ،لكن بعضها كان متأثراً بظروف الأمة التاريخية ، ويحتاج اليوم إلى الكثير من النقد والتصحيح، حتى يكون منسجماً مع المبادئ الشرعية الثابتة. من هذه المفاهيم اعتبار كل كافر حربياً، وبالتالي إباحة دمه وماله، ومعاملته بأخلاق الحرب من جواز الكذب والاحتيال فضلاً عن الحقد والكراهية . وقد سمعت مثل هذا الكلام بنفسي من أحد المشايخ. وأسارع إلى القول بأن كثيراً من الفقهاء -وإن كانوا يعتبرون الكافر حربياً من حيث المبدأ- وهذا ما سنناقشه فيما بعد ، إلا أنهم لا يرون جواز معاملته بأخلاق الحرب إلا حين تقع الحرب فعلاً بيننا وبينه.

وكل النصوص الواردة في إباحة الكذب والاحتيال في الحرب محصورة بقيام الحرب الفعلية، وقد ذكر النووي في شرحه لصحيح مسلم عند الكلام عن حديث« الحرب خدعة»: (اتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب كيف أمكن الخداع، إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يجوز[1]، فضلاً عن أن المجاهد المسلم يظل متمسكاً بأخلاق الإسلام حتى أثناء القتال فلا يجوز له قتل الأطفال أوالنساء غير المقاتلات، أو الشيوخ غير المقاتلين، أو الرهبان في الصوامع، أو العسفاء أي الخدم الأجراء - أو

١- شرح النووي على مسلم ج٧ ص ٣٢٠ وانظر قوانين الأحكام الشرعية ص١٧٤ والمغني لابن قدامة جـ ١٠ص ٣٩٦ و ٣٩٧ .

التجار، وفي كل ذلك وردت نصوص صريحة، وقد قاس عليها جمهور الفقهاء كل من لايقدر على القتال أو لم يقاتل فعلاً كالأعمى والمريض المزمن والمعتوه والفلاح . ولايجوز للمجاهدين التمثيل بجثث الأعداء إلا إذا كان معاملة بالمثل، والأفضل لهم العفو وعدم التمثيل. ولايجوز التخريب والتحريق إلا إذا كان من ضرورات القتال.

وتلخص وصية أبي بكر لأول جيش خرج من الجزيرة العربية لقتال الروم كل هذه المعاني: (لا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة. وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له).[1] وبما أن حالة الحرب الفعلية ليست قائمة بالنسبة للمسلمين الذين يعيشون في بلاد غير إسلامية، سواء كانوا مواطنين أو مقيمين، فإن كل حديث عن استباحة الدماء والأموال ـ للأفراد أو الدولة ـ مناقض لمبادئ الإسلام وأخلاقه ولايبيحه أحد من العلماء على الإطلاق.

هل كل كافر حربي ؟

١- لا يكون الكافر حربياً إلا إذا أعلن هو ـ أو دولته ـ الحرب على المسلمين أو إذا أعلن المسلمون الحرب عليه أو على دولته، لأسباب مشروعة. وعند ذلك فقط يمكن أن نطبق في معاملته أحكام الحرب.

٢- إذا لم يقع إعلان الحرب كما ذكرنا في البند السابق، فإن كل كافر يمكن أن يكون حربياً، وهذا ما يعنيه الفقهاء عندما يتحدثون عن الكافر بأنه حربي،

١- راجع المدونة ٢/٧ وتاريخ الطبري٧.

وبالتالي فيجب علي المسلمين أن يكونوا حذرين منه حتى تنقطع حربيته بعهد، فيلتزم المسلمون معه بأحكام العهد.

٣- يمكن أن يقع بين الكافر والمسلم عهد فردي فيجب الالتزام به بينهما.

و قد يقع العهد بين الكافر و دولة مسلمة، فيجب الوفاء به أيضا من جميع المسلمين رعايا هذه الدولة. ومنه عقد الذمة وهو عهد مؤبد وعقد الأمان الذي يدخل بموجبه الكافر دار الإسلام وهو عهد مؤقت.

وقد يقع بين المسلم ودولة كافرة، فيجب على المسلم الوفاء به كذلك، كما لو دخل المسلم دار الكفر للتجارة قديماً، وكما يدخل اليوم بالتأشيرة. وقد يقع بين دولة مسلمة ودولة كافرة، فيجب الالتزام به كصلح الحديبية قديماً، وميثاق الأمم المتحدة اليوم.

وكتب الفقهاء غنية بذكر تفاصيل هذه الحالات الثلاثة، التي يحكمها جميعاً قوله تعالى: ﴿..**وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئوولاً**﴾.[1] وقد اعتبر الله تعالى نقض العهود من أخلاق اليهود ﴿.. **أو كلما عاهدوا عهداً نبده فريق منهم...؟**﴾[2] ومن أخلاق المشركين ﴿..**الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون**﴾.[3]

أما المسلمون فمن أخلاقهم الوفاء بالعهود ﴿.. **والموفون بعهدهم إذا عاهدوا..**﴾[4] ﴿**والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**﴾[5]

١-سورة الإسراء: ٣٤

٢- سورة البقرة: ١٠٠.

٣- سورة الأنفال: ٥٦.

٤-سورة البقرة ١٧٧.

٥- سورة المؤمنون: ٨.

ليسوا سواء

إذاً، فإن غير المسلمين من الناحية القانونية، يكونوا تجاه المسلمين في إحدى الحالات: الحرب الفعلية، أو احتمال الحرب، ولايصح أن نعتبرهم محاربين فعلاً حتى نبرر معاملتنا إياهم بأحكام الحرب. بل إن القرآن الكريم ميز غير المسلمين، حتى من جهة قربهم أو بعدهم عن الإسلام كدين، وعن المسلمين كأمة.

قال تعالى: ﴿ **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا. ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى، ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً، وأنهم لايستكبرون** ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿ **ليسوا سواء. من أهل الكتاب أمة قائمة، يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون** ﴾.[2]

وذكر الشيخ محمد رشيد رضا[3] في تفسير هذه الآية قول الإمام محمد عبده أن هذه الآية (دليل على أن دين الله واحد على ألسنة جميع الأنبياء، وأن كل من أخذه بإذعان، وعمل فيه بإخلاص، فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فهو من الصالحين..)

١- سورة المائدة :٨٢

٢-سورة آل عمران: ١١٣

٣-تفسير النار ـ المجلد الرابع ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ص:٧١

وعقب على ذلك بقوله: (وظاهر أن هذا كالذي قبله، في أهل الكتاب حال كونهم على دينهم، خلافاً لمفسرنا (الجلال) وغيره، الذين حملوا المدح على من أسلم منهم، فإن المسلمين لايمدحون بوصف أنهم من أهل الكتاب، وإنما يمدحون بعنوان المؤمنين). وختم الشيخ رضا بقوله : (إن استقامة بعض أهل الكتاب على الحق من دينهم لا ينافي ما حققناه في تفسير التوراة والإنجيل في أول السورة من ضياع كتبهم وتحريف بعضهم لما في أيديهم منها).

وهذا يعني أنه حتى من الناحية العاطفية، فإن المسلم يشعر أن النصراني أقرب له من اليهودي. ويشعر أن الكتابي إجمالاً أقرب إليه من المجوسي أو الوثني . وقد عبر القرآن عن ذلك بالإشارة إلى فرح المسلمين يوم ينتصر الروم وهم أهل كتاب على الفرس المجوس. قال تعالى :

﴿ألم .غلبت الروم في أدني الأرض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين . لله الأمر من قبل ومن بعد . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو القوي العزيز﴾[1]

علة القتال: الحرابة وليس الكفر

بحث الفقهاء في مباحث الجهاد عن العلة التي تبيح للمسلمين قتل الأعداء، فقال جمهورهم من المالكية والحنفية والحنابلة أن علة القتال هي الحرابة

١- سورة الروم: ١-٥

- أي المحاربة- والمقاتلة والاعتداء، وليس مجرد الكفر [1]، بينما يرى الشافعي في أحد قوليه أن علة القتال هي الكفر. ورأي الجمهور في هذه المسألة هو الراجح، وقد بنوه على الأدلة التالية:

١- آيات كثيرة صريحة تؤكد أن سبب قتال المسلمين لغيرهم هو العدوان الصادر منهم، مثل:

﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين ﴾ [2]

﴿ ألاتقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة ﴾[3]

﴿ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة.. ﴾[4]

﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين ﴾ [5]

قد اتفق أكثر المحققين أن هذه الآيات محكمة وليست من المنسوخ.

١-نقل ذلك الدكتور وهبة الزحيلي في كتابه«آثار الحرب في الفقه الإسلامي» ص ٨٩ وما بعدها طبعة دار الفكر بدمشق، وأحال إلى المراجع التالية . فتح الغفار شرح تنوير الابصار، المدونة، بداية المجتهد ، رسالة القتال لابن تيمية. وذكر ذلك أيضاً الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه «الجهاد في الإسلام» ص ٩٤ طبعة دار الفكر بدمشق، وأحال إلى بداية المجتهد، المغني لابن قدامة، فتح القدير لابن الهمام ، الشرح الصغير على اقرب المسالك، مغني المحتاج.

٢-سورة البقرة:١٩٠ .

٣- سورة التوبة:١٣ .

٤-سورة التوبة ٣٦

٥-سورة الممتحنة ٨ .

٢-الأحاديث الصحيحة الكثرة التي تمنع قتل كثير من الكفار لأنهم لم يحاربوا أو لعدم قدرتهم على القتال، منها الأحاديث التي تمنع قتل المرأة لأنها لا تقاتل والصبيان لأنهم لا يقاتلون، وقد ورد هذا المعنى عند البخاري ومسلم وأبي داود وابن ماجه وغيرهم. وقد ذكر أبو داود وابن ماجه منع قتل العسيف وصحح الألباني الروايتين (صحيح سنن أبي داود رقم ٢٣٢٤ وصحيح سنن ابن ماجه ٢٢٩٤) والعسيف هو الأجير المستخدم في أمور لاتتصل بالقتال كالفلاحين والعمال في المصانع، وعمال النظافة في الطرقات والأطباء والممرضين وموظفي المستشفيات .

وورد في سنن أبي دواود منع قتل الشيخ الفاني ، كما ورد فيها الأمر بقتل شيوخ المشركين، وجمع الشوكاني بين الروايتين بأن الشيخ المنهي عن قتله هو الفاني الذي لم يبق فيه نفع للكفار، والشيخ المأمور بقتله هو من بقي فيه نفع للكفار ولو بالرأي كدريد بن الصمة الذي كان صاحب رأي في الحرب فقتل وقد نيف عن المائة [١] .

ولأن علة القتل هي المحاربة وليست الكفر فقد أوصى أبو بكر جيشه أن لا يتعرضوا لمن حبسوا أنفسهم في الصوامع وأن لا يقتلوا امرأة ولا صبياً ولا كبيراً هرماً. [٢] ومع أن الإمام الشافعي يجيز قتل غير النساء والأطفال ولو لم يشتركوا في القتال، إلا أنه لا يرى قتل الرهبان اتباعاً لأبي بكر .

١- نيل الأوطار للشوكاني جـ٧ ص٢٦٢ .

٢-وردت وصية أبي بكر في المدونة ٢/ ٧ وفي تاريخ الطبري .

وقد ورد في مصنف أبن أبي شيبة (أنهم كانوا لايقتلون تجار المشركين)[١].

وقد قاس الفقهاء ـ الذين يرون أن علة القتال هي الحرابة وليس الكفر ـ على هذه النصوص كل من كان غير قادر على القتال كالمُقعَد والأعمى[٢] ويابس الشق ـ أي المشلول ـ والأعمى ومقطوع الرجل واليد من خلاف ومقطوع اليمنى والمعتوه والراهب في صومعته والسائح الذي لايخالط الناس والرهبان في الكنائس والأديرة .[٣] ويرى المالكية منع قتل سبعة هم : المرأة والصبي والمعتوه والشيخ الفاني والزمن ـ أي المصاب بمرض مزمن ـ والأعمى والراهب المنعزل بالدير أو الصومعة [٤] وعند الحنابلة لا يجوز قتل الصبي ولا المرأة ولا الشيخ الفاني ولا زَمن ولا أعمى ولا راهب .[٥]

٣-أنه لو كان القتل لمجرد الكفر جائزاً،لكان هذا مناقضاً لعدم الإكراه على الدين . وهذه مسألة لا خلاف عليها بين جميع العلماء ، والنصوص القاطعة الصريحة في القرآن الكريم تؤكدها. قال تعالى: ﴿ **لا إكراه في الدين..** ﴾[٦] وقال لنبيه ﴿ **أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين؟** ﴾[٧] ﴿ **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر..** ﴾[٨] ﴿ **لكم دينكم ولي دين** ﴾.[٩]

١-حديث رقم ١٤٠٧٦ .
٢- نيل الأوطار للشوكاني ٧/ ٢٦٢ .
٣- بدائع الصنائع للكاساني ٧/ ١٠١ .
٤-منح الجليل ٣/ ١٤٤
٥-المغني لابن قدامة ١٠/ ٥٣٩
٦-سورة البقرة :٢٥٦
٧-سورة يونس : ٩٩ .
٨- سورة الكهف ٢٩٠
٩- سورة الكافرون :٦ .

كما أن الثابت في سنة النبي ﷺ أنه أسر الكثير من المشركين ولكنه لم يكره أحداً على الإسلام . وقد قتل بعضهم لأسباب أخرى غير الكفر، وفدى بعضهم ، وأطلق سراح البعض. ولو كان القتل واجباً لمجرد الكفر، لم يكن يجوز تركهم. والله تعالي عندما ذكر حكم الأسرى قال: ﴿ **فإما منا بعد وإما فداء ..** ﴾[1]

وهذه من أواخر ما نزل من القرآن، ولم يأمر فيها بقتل الأسرى، بل لم يجعل هذا الأمر أحد الاحتمالات الأساسية، مما يعنى استبعاده إلا وجد ظرف خاص يبرره، ولذلك اتفق جمهور الفقهاء على تخيير الإمام عند تحديد مصير الأسرى بين المن أو الفداء أو القتل حسب مصلحة المسلمين، مستندين في ذلك إلى أن الرسول ﷺ أمر بقتل بعض الأسرى لأسباب خاصة تتعلق بهم وليس لمجرد الكفر، وإلا لأمر بقتل الجميع ولم يكن للتخيير معنى.

السلم هو الأصل

ولقد كثرت مباحث الفقهاء حول أحكام الحرب، فلا تكاد تجد كتاباً فقهياً إلا ويتناولها بشيء من التفصيل . ونحن نلاحظ أن جميع آراء الفقهاء تنطلق من نصوص ثابتة في القرآن الكريم أو السنة المطهرة، ولكنها تعالج واقعاً تاريخياً معيناً. بل إن النصوص نفسها قسمان:

١- سورة محمد :٤

*- منها ما يرتبط بالواقع الذي وردت فيه هذه النصوص فهو علاج لها. ولا تعبر بالضرورة عن أحكام مطلقة.

*- ومنها ما يتعلق بالمبادئ والقيم الإسلامية التي نزل القرآن لنشرها بين الناس، وإقامة الحياة الإنسانية وفقها، فهي تعتبر أحكاماً مطلقة.

إن الواقع البشري الذي وردت فيه نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة المتعلقة بالقتال، ثم جاءت آراء الفقهاء تعالجه منذ العصر الأول حتى انهيار الخلافة العثمانية في أوائل هذا القرن يتميز بما يلي:

١- سيطرة الأنظمة الاستبدادية على جميع الشعوب، هذه الأنظمة كانت تمنع على الناس حرية اختيار الدين الذي يشاؤون، بل وتلزمهم بمذهب الدولة الرسمي، وتبيح قتل المخالف حتى ولو كان مواطناً. ولم يكن هذا الأمر مقتصراً على بلاد الروم وفارس في العصور الإسلامية الأولى، بل امتد ليشمل الدول الأوروبية حتى هذا القرن. وإذا كان الإكراه الديني لم يعد موجوداً تجاه المواطنين في نفس الدولة بسبب انتشار الفكرة العلمانية، إلا أن الحقد الديني لا يزال يشكل خلفية أساسية في التفكير الأوروبي والغربي - عند الشعوب أو عند الحكام - ضد الإسلام والمسلمين بشكل خاص. ويظهر بين الحين والآخر في ممارسات ضد الإسلام والمسلمين تتجاوز حتى مسائل الحريات الشخصية وحقوق الإنسان كمسألة الحجاب.

٢- سيطرة فكرة الحرب والقتل والعنف بشكل عام وضد الإسلام والمسلمين بشكل خاص. نلاحظ ذلك عند بداية البعثة النبوية في المرحلة المكية، واستمر الأمر على هذا المنوال في المرحلة المدنية، ثم بدأ العدوان على الجزيزة العربية من قبل الروم والفرس، وظهر إصرار الحكام على منع شعوبهم من الدخول في الإسلام، فكانت الحروب الإسلامية كلها إما رداً لعدوان واقع، أو منعاً لعدوان متوقع، أو رغبة في تخليص الشعوب من الأنظمة المستبدة لتختار ما تريد بحرية كاملة. إن هذا الجو المسيطر على العالم كله، جو الحرب والتآمر والكيد ومنع الحريات كان له أثره الكبير على كثير من الأحكام الفقهية التفصيلية المتعلقة بالجهاد.

ورغم الضغوط الهائلة لهذه الظروف التاريخية على التفكير الإسلامي الفقهي، إلا أننا نجد عند فقهائنا دائماً التزاماً بالقيم الإسلامية المطلقة وحرصاً عليها وتغليباً لها في كل الظروف . من ذلك :
بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بالقتال:

١- اعتبار المحاربة هي علة القتل والقتال، وليس الكفر كما مر بنا آنفاً.
٢- تأكيد الحرية الدينية لجميع الناس، انطلاقاً من الآية الكريمة ﴿**لا إكراه في الدين** ..﴾[1]وجمهور المحققين من الفقهاء والمفسرين على أن هذه الآية محكمة وليست منسوخة ولا مخصوصة، وهذا ما ذكره ابن تيمية في رسالة القتال . وهذا ما اختاره ابن كثير والطبري والألوسي والجصاص والقرطبي وأبو حيان وغيرهم .

١-سورة البقرة:٢٥٦

بالإضافةإلى أن معنى عدم الإكراه مؤيد بعشرات من الآيات والأحاديث الصحيحة ، بفعل النبي الكريم ﷺ والصحابة من بعده، وبممارسة حكام المسلمين منذ الخلافة الراشدة حتى انهيار الدولة العثمانية حيث لم يذكر التاريخ عملية إكراه واحدة في أي عصر من هذه العصور.

٣- يذكر كثير من الفقهاء أن (الأصل في العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين الحرب) ولكنهم لم يريدوا بذلك ما يتوهمه كثير من الناس اليوم. ولو أردنا أن نمحص مقصود الفقهاء في عصرهم حسب لغة عصرنا لقلنا أنهم يقصدون بتلك العبارة (أن الأصل في العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين احتمال الحرب) وليس حتمية الحرب. وذلك واضح مما يذكرونه من أحكام تتعلق بنزع صفة الحربي لأقل سبب.

*-فالحربي يحصل على الأمان من أي مسلم بالغ عاقل، بل حتى من الصبي المميز وهو الذي جاوز السبع سنوات عند مالك وأحمد ومحمد بن الحسن[١].

*- وإذا دخل الحربي دار الإسلام بغير أمان، ماذا يحصل له؟ الفهم المتبادر عندنا أن يقتل لأنه حربي وليس عنده أمان. لكن الفقهاء يقولون: لو قال - أي الحربي - دخلت لسماع كلام الله تعالى ، أو دخلت رسولاً - سواء كان معه كتاب أو لم يكن - أو دخلت بأمان مسلم دون أن يأتي ببينة على ذلك صدق ولم يتعرض له لاحتمال ما يدعيه، ولأن قصده ذلك يؤمنه من غير

١-الموسوعة الفقهية، أهل الحرب، الجزء السابع.

احتياج إلى تأمين . هذا قول الشافعية والحنابلة . وعند المالكية يرد إلى مأمنه إلا أن توجد قرينة كذب .

وعند الأحناف يطالب بالبينة لإمكانها غالباً .[١] ولم يقل أحد من الفقهاء إنه يقتل لمجرد أنه كافر حربي، مع أنه يعتبر حربياً في نظر الجميع .

*- والحربي يمكن أن يصير ذمياً بالتراضي، أو بالإقامة مدة سنة في دار الإسلام .[٢] إذاً فالحربي في مثل هذه الحالات لا يعامل بأخلاق الحرب ولا تطبق عليه أحكامها .

إنه لا يعتبر حربياً بالفعل وتطبق عليه أحكام الحرب، إلا عند قيام الحرب الفعلية بينه وبين المسلمين . لكن بما أن الراجح في التاريخ الماضي أن الكفار الحربيين كانوا دائما يستعدون لحرب المسلمين ويخوضون هذه الحرب كلما أمكنهم ذلك. وحتى لايقصر المسلمون في الاستعداد المقابل . اعتبر الفقهاء أن (أحكام الحرب) واقعياً ترجح قيام حالة الحرب من جانبهم، مهما كنا نفضل السلام. ولذلك قالوا باعتبار الحرب هي الأصل في العلاقات مع الكفار، بناءً على هذا الواقع .

٤- وانطلاقاً من ذلك فإننا نرى أن ما ينسب إلى جمهور الفقهاء من (أن الأصل في العلاقات الحرب)[٣] يفهم في هذا العصر على غير ما قصده

١-الموسوعة الفقهية، أهل الحرب، الجزء السابع.

٢-الموسوعة الفقهية، أهل الحرب، الجزء السابع.

٣-نقل ذلك الدكتور عبدالكريم زيدان في كتابه(مجموعة بحوث فقهية) ص ٥٤ والدكتور وهبة الزحيلي في كتاب (آثار الحرب في الفقه الإسلامي) ص١١٣ .

الفقهاء في عصورهم . بل إننا نقول إن عبارة (الأصل في العلاقات السلم) هي التي تعبر عن نظرة الإسلام الأساسية للعلاقات الإنسانية، وهي تنسجم مع ما قصده فقهاؤنا في عصورهم ولنا على ذلك الأدلة التالية:

أ- إن الله تعالى خلق الإنسان، وكلفه بالإيمان به وبعبادته، وسمح له إن شاء أن يكفر، وجعل عاقبة كفره شقاء في الدنيا وعذاباً في الآخرة، ولم يعاقبه على كفره بالقتل ، قال تعالى :

﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون.. ﴾(١)

﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾(٢)

﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾(٣)

﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها، وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه، بئس الشراب وساءت مرتفقاً ﴾(٤)

ب- إن الله تعالى أرسل الرسل لجميع الناس **﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾**(٥)

١-سورة البقرة:٢١ .

٢- سورة البقرة:٣٩ .

٣- سورة طه:١٢٤ .

٤-سورة الكهف:٢٩ .

٥-سورة فاطر:٣٥ .

وحصر مهمة الرسل بالبلاغ فقط ﴿**فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ؟**﴾[1].

وأضاف لسيدنا محمد خاتم المرسلين ﷺ مهمة التعليم والتزكية . قال تعالى :

﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته، ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**﴾[2].

ومما لا يشك فيه عاقل أن السلم هو الوضع الأمثل مع الكافرين لقيام الرسل بواجب التبليغ والتعليم والتزكية .

ت- عندما شرع الله تعالى الجهاد للمسلمين، وأمر به نبيه ﷺ ، وذلك من أجل حماية المسلمين، وحماية الدعوة الإسلامية، أمر المسلمين قبل الحرب وبعدها بالدعوة لأنها الأصل، وهي المهمة الأولى لهم .

وفي الحديث الصحيح الذي وراه مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ كان إذا أمَّر أميراً على جيش أوصاه إذا لقي عدوه من المشركين :« ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم . . » وعندما أرسل علي بن أبي طالب لقتال اليهود يوم خيبر قال له :«ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»[3].

١-سورة النحل :١٦ .

٢- سورة الجمعة:٢ .

٣-رواه البخاري .

والإيمان بالله وعبادته لا تكون بالإكراه، بل بالدعوة والاقناع، وهذه تكون في جو السلم أفضل بكثير من جو الحرب، الذي يستثير الغرائز تحت ستار الدفاع عن النفس ، ولما كان السلم هو أفضل الظروف لانتشار الدعوة، كان هو الأصل في العلاقات الإنسانية.

ث- كلمة (الأصل) في عبارة (الأصل في العلاقات الإنسانية السلم أو الحرب)، إما أن تعنى الأقدام زماناً، أو الأهم، أو الأساس.

*- فإن كانت تعنى (الأقدم زماناً) فالأصل هو السلم بإجماع الفقهاء الذين يوجبون البدء بالدعوة قبل القتال. وإذا كان القليل من الفقهاء قد أجازوا قتال الكفار ولو لم تبلغهم الدعوة فقد خالفوا في ذلك أحكاماً شرعية بدهية، حتى قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم[١] تحت هذا الرأي : إنه باطل .

*- وإن كانت تعني (الأهم) ، فإن السلم يكون تارة هو الأهم بل هو الأوجب أحياناً كما أن الحرب في بعض الظروف تكون هي الأهم . وليس هناك خلاف على ذلك بين العقلاء، فكيف يكون هناك خلاف بين الفقهاء؟ .

*- وإن كان المعنى هو (الأساس) الذي تبنى عليه العلاقات بين الناس فهو السلم أيضاً، لأنه أفضل ظرف لتبليغ الدعوة، ولأنه أساس التعارف الذي أمر به رب العالمين ﴿ **وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا** ﴾، ولأنه مناط التجارة التي أجمع الفقهاء على إباحتها مع دار الحرب.

١-جـ٧ ـ ص ٣٠٩ .

ج- إن القتال شرع في الإسلام لسببين، وعلى ذلك أجمع الفقهاء قديماً وحديثاً:

*-الدفاع عن المسلمين: ﴿ **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا. إن الله لا يحب المتعدين** ﴾(1).

*-منع الفتنة، أي الدفاع عن حرية الإنسان في اختيار الذي يشاء ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة..** ﴾ (2).

ومعنى ذلك أنه إذا لم يقع أحد هذين السببين فلا يجوز للمسلمين أن يلجأوا إلى القتال، مما يؤكد أن الأصل في العلاقات السلم وليس الحرب.

ح- أما جواز قتال غير المسلمين من أجل إجبارهم على الخضوع للنظام الإسلامي، مع المحافظة علي حريتهم في عدم اعتناق الإسلام فهو رأي قال به بعض الفقهاء قديماً وحديثاً، لكننا نعتقد خطأ هذا الرأي لمصادمته لمبدأ ﴿ **لا إكراه في الدين** ﴾. والدين يشمل العقيدة والنظام، والإكراه على الخضوع للنظام الإسلامي لا يجوز في رأينا إلا إذا كان نتيجة حرب تسبب بها غير المسلمين، وبهدف منع تجدد أسباب الحرب في المستقبل، حرصاً علي العلاقات السلمية بين الناس.

فضلاً عن أن مثل هذا الرأي - حتى ولو كان صحيحاً من الناحية النظرية - لا يمكن قبوله شرعاً في العصر الحاضر، حيث يملك غير المسلمين القنابل الذرية والهيدروجينية وأسلحة الدمار الشامل.

1- سورة البقرة: ١٩٠.

2- سورة الأنفال. ٣٩.

فلو افترضنا أننا أقمنا دولة إسلامية من أقوى دول الأرض، وأن هذه الدولة استطاعت أن تجمع الشعوب الإسلامية بكل إمكانياتها البشرية والاقتصادية والعسكرية. ثم أرادت هذه الدولة أن تقوم بواجبها في الدعوة إلى دين الله فما الذي يحصل؟

إن الأنظمة الحاكمة اليوم في البلاد الغربية غير المسلمة تعتبر حرية التفكير والتعبير واعتناق العقيدة من حقوق الإنسان الأساسية، فلو أن هذه الدول لم تمنع الدعاة إلى الله، ولم تسجن أو تقتل من دخل في الإسلام من أبنائها كما يحدث حتى الآن، واستطاع المسلمون أن يستعملوا كل الوسائل العصرية المتاحة للدعوة، من قنوات فضائية وإنترنت وكتب وأشرطة ومجلات.
ماذا يمكن أن يكون موقف الدولة الإسلامية ؟

الإسلام أو الجزية أو القتال

يظن البعض أن الموقف الشرعي الواجب على هذه الدولة المسلمة أن تخير الدول الأخرى بين **الإسلام أو الجزية أو القتال** التزاماً بظاهر بعض الأحاديث الصحيحة عندما تفهم مقطوعة عن ظروفها التاريخية.

وهذا في رأينا غير صحيح، وتسلسل النصوص الشرعية والأحداث التاريخية يؤيد ذلك فالرسول ﷺ بعد أن استقر له الأمر في المدينة المنورة، كتب رسائل إلى الملوك من حوله يدعوهم إلى الإسلام وإلى الإيمان بالله وحده لا شريك له. فكتب إلى قيصر ملك الروم، وإلى كسرى ملك

الفرس، وإلى النجاشي ملك الحبشة، وإلى المقوقس عظيم القبط، إلى الحارث ملك تخوم الشام. وطلب من هؤلاء الملوك أن يبلغوا دعوته إلى شعوبهم، وإلا فإنهم يتحملون إثم هؤلاء الناس. وذلك بسبب ما كان معروفاً أن الملوك يمنعون شعوبهم أن يدينوا بغير دينهم.

ثم كانت الفتوحات الإسلامية، وكان تخيير هؤلاء بين الإسلام أو الجزية أو القتال مبنياً على سببين :

الأول : هو مبادرة بعضهم لقتال المسلمين كما حدث مع كسرى الذي مزق كتاب رسول الله ﷺ وكتب إلى نائبه في اليمن (باذان) أن يبعث له هذا الذي يدعي أنه نبي. وكما حدث مع الحارث الغساني الذي رمى كتاب النبي وعزم أن يسير إليه ليقاتله، وكما حدث في غزوة تبوك عندما تجمع الروم لغزو المدينة، وقاتلوا رسول الله ﷺ حسبما ورد في كتب السيرة.

الثاني : هو منع هؤلاء الملوك لشعوبهم من حرية قبول الإسلام أو رفضه بناء على العرف العام في تلك العصور الذي يمنع الشعوب أن تعتقد ديناً يخالف دين ملوكها . وهذا ما أشار إليه رسول الله ﷺ عندما حمل الملوك مسؤولية رعاياهم، وهذه هي الفتنة التي أمر المسلمون بالقتال لرفعها عن جميع الناس.

إذاً فتخيير الشعوب غير المسلمة بين الإسلام أو الجزية أو القتال ليس حكماً إلزامياً مطلقاً في جميع الظروف، إنما هو حكم شرعي يترتب على : البدء بالقتال ضد المسلمين .

- وعلى فتنة الناس ومنعهم من الدخول في الإسلام.

وحين لا يحصل أي من هذين السببين يكون الواجب الدعوة فقط . وهذا ما يؤيده الحديث المشهور الذي رواه الإمام مالك: «دعوا الحبشة ما ودعوكم، واتركوا الترك ما تركوكم» وعندما سئل عن صحة هذا الحديث قال: (ما زال الناس يتحامون غزوهم). الاكتفاء بالدعوة: ولو أن الدولة المسلمة في هذا العصر رأت أن تخير الدول الأخرى بين الإسلام أو الجزية أو القتال فماذا يحدث؟من الطبيعي أن ترفض هذه الدول الدخول في الإسلام طالما أن هذه الدعوة تأتيها ضمن تهديد، وليس بالحكمة والموعظة الحسنة، ولما عندها من شبهات و أحقاد ضد الإسلام.

ليس هناك إذاً إلا القتال. إن حرباً كهذه لو اندلعت في وجود التقنية الحديثة والرؤوس النووية والأسحلة البيولوجية والكيماوية الفتاكة، فإنها ستودي حتماً إلى دمار شامل للبشرية كلها ومنها المسلمون. فهل هذا هو المقصود؟وهل من المعقول أن يسعى الإسلام لقتل المسلمين وإنهاء الدعوة الى الله كلياً بسبب هذا التصرف؟

رحم الله فقهاءنا الأقدمين الذين لفتوا النظر إلى العمل بالمآلات[1]، ومعناه أن العمل المباح أصلاً يمكن أن يكون حراماً إذا أدى في ظرف معين إلى الحرام.

١-راجع الشاطبي في كتابه الموافقات.

ومن أجل ذلك فإننا نقول في هذا العصر: طالما أن باب الدعوة مفتوح، وطالما أ ن بإمكان غير المسلم أن يدخل في الإسلام دون أن يتعرض إلى إيذاء أوقتل، فإن السبب الشرعي للقتال غير موجود . وأن الاكتفاء بالدعوة إلى الله عزوجل وإلى دينه بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هي أحسن هو الواجب الأول والأخير. فالله تعالى استخلف الإنسان في الأرض لعمارتها لا لتخريبها، والإسلام دين الله ينظم كيفية عمارة الأرض على الوجه المراد.

المبحث التاسع

الجالية المسلمة واستيعاب الواقع الذي تعيشه في الغرب

الدكتور / كمال الهلباوي



الجالية المسلمة واستيعاب الواقع الذى تعيشه في الغرب

إن الحمد لله، نحمد ه ، ونستعينه، ونستهديه ، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، ونشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، ونشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله، صلي الله عليه وسلم ،وعلى آله، وأصحابه أجمعين، ومن اهتدى بهديه، وجاهد جهاده الى يوم الدين.

أيها الإخوة الكرام والأخوات الكريمات، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ندعو الله سبحانه وتعالى أن يجعل لقاءنا هذا في ميزان حسناتنا يوم القيامة ،وأن يغفر الله لنا به، وأن يقر بنا به من الجنة ويبعدنا به عن النار.

إن قضية استيعاب الواقع أمر مهم فهو كما يقول سيدنا عمر بن العزيز - رضى الله عنه- ، وأرضاه، إنه من عمل بغير علم كان مايفسد أكثر مما يصلح ، فقضية الاستيعاب ، في واقع الأمر هى قضية إدراك ، وفهم، ومن غير هذا الفهم، وهذا الإدراك يصبح هذا العمل على غير هدى وعلى غير

بصيرة، بل ربما ينقلب إلى أن تصبح سلبيات هذا العمل أكثر إنكشافاً، وتصبح بذلك أكثر ضعفاً أمام الأعداء فضلاً عن المنافقين .
النقطة الثانية هي أن العالم ليس ثابتاً، بل هو يتغير، وأحيانا تحدث التغيرات فلاندرك منها إلا القليل ، ولايعرف كل أحد ما حدث بالليل، أو بالنهار، فهو - أي العالم - يتغير ما بين لحظة وأخرى ، وهذا التغير هو تغير جذرى في الواقع، وهذه التغيرات لها تأثير كبير جداً ومباشر علي حياتنا كأفراد وأمم، وشعوب .

التغير الأول

ومن أهم هذه التغيرات التى كان لها تأثير كبير على كل فرد منا، فضلاً عن الدول والشعوب، خاصة في السنوات الخمس الأخيرة هو انهيار ما يسمى بالاتحاد السوفياتي ، والكتلة الشرقية. و الفهم واضح عند عامة الناس، فضلاً عن خاصتهم ، أن الكتلة الشيوعية قدا نهارت، وتعرضت إلى عثرات شديدة ، أخرجتها عن مجالها، وعن الطريق الذي كانت تسير فيه ،و ابتعدت كذلك عن التخطيط بعيد المدى الذي كانت تهدف من ورائه للسيطرة على العالم، والانفراد بالقمة .

لكن هذا الإدراك وحده، لايؤدى إلى فهم عميق، ولاتترتب عليه فائدة كبيرة عند المسلمين ، بل إننى أزعم أن أعداء المسلمين استفادوا كثيراً من هذا الإدراك الناقص، واستفادوا من توظيف بعض المسلمين لإحداث هذا التغيير، والاستفادة من جهودالمسلمين وتوظيفها لتصب في صالح الغرب .

فالصراع الذى كان بين الشرق والغرب، والذى كان يسمى بالحرب الباردة، إستطاع الشرق من خلاله توظيف بعض طاقات المسلمين لصالحهم، وكذلك فعل الغرب، وخسر الذين انتموا إلى الشرق أو إلى الغرب، واستفاد الغرب وحده من ذلك كله، ومما حدث خلال السنوات المنصرمة. ونتج عن ذلك بداية مرحلة جديدة من الصراع على المستوى العالمي.

التغير الثانى

هو تغير يجب أخذه في الاعتبار ، فهو ما يمكن تسميته. بإعادة ترتيب القيادة العالمية ، التى كانت في السابق تقوم على أطراف متعددة ، فيها الإتحاد السوفياتي، أمريكا ، الصين ، بريطانيا، وفرنسا، وهى الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن ، ثم حدث بعد ذلك التغير الجوهرى الذى شهدناه في سنتى (91/90) ، الذى ترتب عليه إنهيار القيادة الشيوعية ، فكان لابد من ترتيب أوراق القيادة من جديد، أقصد القيادة العالمية.

ولقد ترتبت أوراق القيادة العالمية الآن بحيث أصبح لها قائد واحد، هو -ومع الأسف الشديد- الولايات المتحدة الأمريكية، والأسف هنا لا لإن أمريكا استحقت هذا الأمر عن جدارة، أو لإنها تملك القوى التى تمكنها من ذلك، لا، إنما لأن السياسة الأمريكية تجاوزت جميع الحدود الممكنة للشراكة في هذا العالم، وأصبح عندهم تصور أنهم قادرون على أن يسوقوا هذا العالم بدكتاتورية ، هي في واقع الأمر أفظع من تلك التي تعيشها

شعوبنا في بلادنا الشرقية، لم يعد هناك أدنى تسامح للمشاركة من قبل الشعوب التى لاتدور في فلك السياسة الأمريكية.

التغير الثالث

والذى له تأثير مباشر على الجاليات الإسلامية في أوربا وهوتطور مشروع الوحدة الأوربية ، وهذا المشروع سواءً من الناحية العسكرية المتمثلة في حلف الناتو، أو الناحية الاقتصادية المتمثلة في منظمة السوق الأوربية المشتركة ، أو في كل مايدور في المؤتمرات العديدة التى أقيمت في برشلونة في إسبانيا ، وفي ما سترخت في هولندا ، وفي فرنسا، وفي ألمانيا ، أو في اللجان المنظمة المتعددة التى تعمل من أجل دفع هذه المشروع إلى الأمام والتعجيل بإنجاحه.

التغير الرابع

هو تغير مسار الصراع في الشرق الأوسط، وهذا له أيضاً تأثير كبير جداً، حيث كانت له في السابق علامات واضحة ، وكانت له نظرية تحكمه، وقد اتضح أن هذه النظرية قد فشلت تماماً في تحقيق أي من أهدافها التى كانت مرسومة لها ، حتى أن رجلاً مثل الدكتور خير الدين حسيب ، وهو رجل فاضل، ومفكر قومي عربي كبير، أصدر شهادة وفاة هذا النظام العربي في مؤتمر الحوار الوطنى الإسلامي في بيروت في العام الماضي.

التغير الخامس

هو تقدم المشروع الحضاري الإسلامي رغم الصعوبات الشديدة والجمة التى تواجه هذا المشروع، فلقد يتصور بعض الناس، نتيجة الضغط العالمى الشديد ، أن هذا العنصر أو هذا التغير لا أثر له ، بل ربما هو يبدو كذلك نتيجة للضغوط العالمية على هذا المشروع التى لاتريد له أن يقوم ويستمر، ولكن المشروع الإسلامي في الواقع أنجز مهمتين عظيمتين، فضلاً عن نماء الدعوة وازدهارها وما إلى ذلك، وها تان المهمتان الأساسيتان فشل النظام العالمي الجديد والقديم في تجاوزهما ، وسيفشل أيضاً في المستقبل، وهذا الحكم ليس حكماً على المستقبل بل هو استشراف لنتائج لها مقدمات تشبه ١+١=٢ .

وسأضرب لكم مثالاً يوضح هاتين المهمتين الأساسيتين اللتين تقدم بهما المشروع الإسلامي:

المهمة الأولى : مكافحة المخدرات

حيث نجح المشروع الاسلامي في البلاد الاسلامية من الحد بشكل كبير من استشراء هذا الوباء الوبيل بين عامة المسلمين إلا بنسبة ضئيلة إذا ما قورنت بالغرب، ومن بين الناس الذين انضموا إلى الحركة الإسلامية، من كان يدمن هذه المخدرات ويقتات عليها، و بفضل الله تعالى أولا ، ثم بالدور التربوي الذي تؤديه الحركة الاسلامية أقلع عن المخدرات ، بل إنه لايوجد في الحركة الإسلامية الآن، من يدخن السجائر - إلا ما ندر - فضلاً عمن

يدمن المخدرات أو يتعاطاها ، وهذه مسألة أيها الإخوة والأخوات ليست بسيطة فقد تعب الغرب كثيراً من أجل أن يحد منها، ولكنه بالطبع فشل، وسيفشل فيه مرة أخرى ، لأنها قضية مرتبطة بقيم أساسية لها صلة مباشرة بالدين الاسلامي والعقيدة الصحيحة وكان الأجدر بالغرب الذى كان ينفق ملايين الدولارات لمكافحة مثل هذا المرض المستشرى في العالم ولايستطيع ، كان الأجدر به أن يستفيد من تجارب الحركة الإسلامية ، ومن ثمرات المشروع الإسلامي في هذا الميدان ويعترف لها بالفضل في هذا الأمر كما نعترف له بالفضل في قضايا التقنية والتقدم العلمي .

أما المجال الآخر الذي تقدم فيه المشروع الإسلامي تقدماً ملحوظاً وكبيراً، فهو ميدان مكافحة الجريمة ، واستطاع الاسلاميون تنقية الصف الإسلامي من كل هذه السوءات التى تلوث عالمنا هذا الذى نعيش فيه، وأيضاً فإن الغرب ينفق الكثير من أمواله لمكافحة الجريمة ، لإنها مرتبطة أيضاً بالفكر و الاعتقاد، والظروف الإجتماعية والاقتصادية وغيرها ولا تتوقف الجريمة أو تختفي إلا بالتربية والإعداد السليم .

التغير الخامس

بروز تكتلات أخرى تسعى للوصول إما إلى قيادة العالم، وإما للحفاظ على كيانها وشخصيتها حتى لاتذوب في خضم هذه الأحداث، ومن هذه الكيانات ، اليابان على سبيل المثال لا الحصر .

التغير السادس

كثرة المشاكل والتحديات التى تثقل كاهل الأمة المسلمة ، وبعض هذه المشاكل والقضايا ليست من صنع الغرب كما تعودنا أن نتكلم وندفع عن أنفسنا التهم فنلقيها على الآخرين بالحق أو بالباطل حتى يتهم بعضنا للأسف الشديد بالفشل، ولكن أكثرها نتيجة لعدم إستيعاب الواقع الذى نعيش فيه، وكذلك عدم قدرتنا على إدراك هذه الواقع والتعامل معه، مما تسبب في زيادة المشاكل ، مثل قضية البوسنة والهرسك، وتطورات مشكلة السودان ، وكذلك ماحدث في اليمن ، وفي الصومال ،و استجدت في كل مكان للمسلمين مشكلات خاصة في ظل هذا النظام العالمى الجديد الذى يزعم صانعوه وتزعم أمريكا التى تقوده، أن هذا النظام العالمي الجديد يبذل جهده من أجل فض المنازعات بالطرق السلمية وهو يتجه إلى مجتمع خال من النزاعات والصراعات المحلية والإقليمية. ودعونا نستطرد قليلاً في هذه القضايا التى ترتبط بما يسمى بالنظام العالمى الجديد.

النظام العالمى الجديد له أهداف يسعى لتحقيقها، ومن هذه الأهداف الكثيرة هنالك أربعة نقاط رئيسية مهمة تلفت نظر الانسان المسلم بشكل خاص، هو أن هذا النظام يسعى إلى تشكيل العالم وحده، معنى ذلك أنه يريد من كل البشر في العالم الثالث بشكل عام أن يوقفوا عقولهم عن التفكير، وهم من سيفكرون لنا، فلسان حالهم يقول لاتتعبوا أنفسكم في الصناعة أو الزراعة أو التعليم أو الإقتصاد، أو الأمن، فنحن أولياء

أموركم، حتى أن أحد علماء السياسة وهو «ستانلي هوفمان» يقول إن أمريكا تظن أنها هى أخت العالم، وأخت العالم عندما تكبر تأخذ مكان الأب أو مكان الأم، ونفس الصورة تتكرر، فإن أصحاب النظام العالمي الجديد، يعتقدون أنهم الآن في مرحلة أمومة، أو أبوة لهذا العالم.

المهمة الثانية الشاقة للنظام العالمي الجديد، هو مايمكن أن أسميه : الحفاظ على التخلف في العالم الإسلامي بشكل خاص. فالحضارة الصحيحة هى أن تتقدم أنت، وتسمح لغيرك أن يتقدم أو أن يكون هناك مشاركة جماعية في حل مشاكل هذا العالم ، إنما الدكتاتورية المستبدة تسعى لإلغاء العقول، ولا تسمح بالمشاركة في دفع التنمية في هذا العالم، بل أنها تنفرد بالتنمية لنفسها في إطار المنافسة وتظل هناك قمة واحدة في كل شيء وسفوح كثيرة.

فالإصلاح في الاسلام يقوم علي الحق والعدل ولا يحكمه الهوى من حب أو كره، فمن الممكن أن تحب فلاناً من الناس ولكن لايدفعك ذلك إلى أن تتسامح معه في موطن من مواطن القضاء ، و من الممكن أن تبغض إنساناً آخر، ولكن لايكون بغضك له دافعاً لك إلى ظلمه.

أما النظام العالمي الجديد، فالحب، والكراهية، هما الأساسان اللذان تبنى عليهما السياسة العامة، فمن أحبوه أكرموه، ومن كرهوه أهانوه.
فالحفاظ على التخلف في العالم الثالث، هو جزء من المخطط العالمى الجديد، ويتبين لنا ذلك من عدة جوانب :

الحد من التسلح

نحن مع دعوة العالم بأن لايكون هناك تسليح بهذا الشكل وبهذه الكيفية، في مايسمى بقضية الحد من التسلح، فلايعقل أن تتاح لدولة مثل إسرائيل أو بريطانيا، أو أمريكا، أو أي دولة أخرى، أن تجرى تجارب ذرية، ونووية، وتستحدث من الأسلحة ماتشاء ، ويكون عندها مراكز بحوث كما تريد، وفي نفس الوقت تفرض حظراً على دولة مثل ليبيا، أو إيران ، أومصر ، أو العراق، أو غيرهم.

إذاً هناك إصرار على إضعاف هذا العالم، وأن يبقى متخلفاً لايخطو خطوة واحدة نحو التقدم المنشود.

*- اتفاقيات منع إقتناء الأسلحة النووية.

*- المساعدات التى تقدم لدول العالم الثالث، من صندوق النقد الدولى،ومن البنك الدولى ، وهى مساعدات في شكل قروض ،أو مساعدات عينية، أو غيرها.

وسنتكلم عن المساعدات التى تقدم في شكل قروض باعتبار أنها مثلٌ حيّ للحفاظ على هذا التخلف. والدولة التى تحصل على قرض من صندوق النقد الدولى، أو البنك الدولى، ليست حرة في توظيف هذه الأموال (التى تدفع من أجله بعض الفوائد) في إنجاز المهام التنموية التى تريد ، بل لابد لها من الاستجابة لشروط البنك الدولي في إنفاق هذا

القرض بالصورة التى يراها مستشارو البنك الدولى .

فإذا حصلت مصر علي قرض للزراعةمثلاً، فإن من شروط هذا العقد، أن ينفق هذا القرض في زراعة نوع من المحاصيل مثل الفراولة والتفاح، لكن هل يسمح لهم ياترى بزراعة القمح والشعير أو الذرة، الذى هو الغذاء الأساسى ، لا . هذا ينبغى أن لايزرع ، والوزارة ملزمة بهذا الأمر، وهو أيضاً يهددنا بقضية زيادة عدد السكان، فيقولون هذه ظاهرة خطيرة ويحذروننا منها، وقد قدر الله تعالى أن عثرنا ذات مرة على مذكرة طلب كتابتها (هنرى كسنجر) في سنة (١٩٧٠) عن مشكلات السكان والتنمية، والهدف الاستراتيجي الأمريكي للحد من السكان ، وهو هدف غريب جداً، ويدل على أنانية عجيبة، هذه الدراسة التي بقيت غير مسموح بنشرها حتى سنوات قليلة مضت وهي بعنوان : (أثر استهلاك المواد الخام في العالم الثالث على الأمن القومي الأمريكي)

إن هنرى كيسنجر ، وهو مستشار الأمن القومى الأمريكي آنئذٍ عندما طلب إجراء هذه الدراسة توصل إلى استخلاص واستنتاج الآتي :

- إذا ولد سكان جدد في أى مكان في العالم ، فإن هؤلاء يستهلكون مواداً أولية أكثر مما يجب مما يؤثر على حصة أمريكامن هذه المواد التى توجد أصلاً في بلادنا نحن، فتقول أمريكا"إن مثل هذه المواد يحتاج إليها الأمريكيون من أجل صناعتهم في الحرب و النواحي العسكرية، وإذا استهلكت هذه المواد، فإنها ستؤثر على مصالح الشعب الأمريكي، ورفاهية الشعب الأمريكي، بل وأمن الشعب الأمريكي" .

فهذا تفكير عجيب ، وكلام غريب، لايمكن تفسيره إلامن حيث أن هذا النظام العالمي الجديد يسعى للحفاظ على التخلف في عالمنا الإسلامي . من أجل السيطرة على مقدراته واستغلالها لصالحهم هم.

أيضاً فإن من مهام النظام العالمي الجديد فضلاً عن تشكيل المستقبل وإلغاء عقول بقية البشر، والاستفادة من خيرة العقول والخبرات في بلادنا وقتل العقول التى لايستطيع النظام أن يستفيد منها ، أو طردها أو ما إلى ذلك.

أهم خصائص هذا النظام العالمى الجديد تتجلى في محاولة إضفاء الصبغة القانونية على أمر الصراع في الشرق الأوسط مع اليهود، فهم يحاولون نزع الاعتراف من السياسين والمفكرين والمثقفين في العالم الإسلامي بشرعية تواجد مثل هذا الكيان في صدر الأمة الإسلامية وقلبها، بل ليس هذا وحسب ، فبعد أن يتحصل على ذلك، يقوم بفرض هيمنته وسيطرته ، و على العالم الإسلامي أن يتعامل مع هذا النظام معاملة العبد للسيد، فيتبعه في كل ما يبقي ويذر.

التغير الآخر : له علاقة بالتقدم التقني وثورة المعلومات، والعالم قطع في ذلك شوطاً بعيداً، وأنا أحس دائماً بأن سبب مشاكلنا وتخلفنا هو نتيجة لعدم استيعابنا وفهمنا للواقع، حتى للقرآن نفسه وما يحويه ، وخلافاتنا التى لاتنتهي مثل على ذلك، فالله سبحانه وتعالى يقول في سورة الإسراء ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين، فمحونا آية الليل، وجعلنا آية النهار مبصرةً، لتبتغوا فضلاً من ربكم، ولتعلموا عدد

السنين والحساب، وكل شيء فصلناه تفصيلاً﴾ (الاسراء: ١٢)

أروني أيها الأخوة شعباً واحداً من الشعوب العربية، سواءً ممن عندهم ثروات ، أو لم يكن لديهم ثروات، استطاعوا أن يستوعبوا عدد السنين والحساب مثل شعب اليابان التي ليس لها قرآن يدلها أو يشير إلي هذه الحقائق العلمية إشارات سريعة وعميقة ، أو استطاعوا أن يستوعبوا عدد السنين والحساب مثل اليهود أو مثل الأمريكان أو الغرب.

إن القضية أكبر بكثير مما نفكر فيه ، ومما نعطيه من نشاطنا وتفكيرنا ، ومن حركة مخالفة لطبيعة هذا الدين. ولو أننا أدركنا فقط آية واحدة من آيات الكتاب الكريم، لقدنا العالم، وسدنا الدنيا. بالله عليكم هل من الفضل أن تمتد يدك لصندوق النقد الدولي ؟! إ ن ذلك ليس فضلاً، إن ذلك من الذلة والصغار.

إن النظام العالمي الجديد يستفيد من فراغات وثغرات وفجوات هائلة في وسط جسد الأمة الإسلامية ليفرض سيطرته على شعوب ودول العالم الاسلامي، أين نحن من مفهوم (اليد العليا خير من اليد السفلى) والجالية الإسلامية في أوربا الآن تتعرض لمشكلات عديدة للأسباب الآتية:

*- أن هذه الجالية تعيش في دول أجنبية، وتعتبر أقليات ، ولكنها في نظر الأمة الإسلامية هى طليعة هذه الأمة ، ويجب عليها أن تتقدم وتقوم بمهمة مصعب بن عمير رضي الله عنه وأرضاه ، ومهمة معاذ بن جبل-رضى الله عنه- وإلا فإنه يوشك أن تجد الجالية نفسها في وضع لاتحسد عليه، مثل

ذلك الوضع الذى تعيشه الجالية الإسلامية في فرنسا أو غيرها من البلاد الضاغطة التي تخاف الجاليات العرقية والدينية.

فكيف نطرح شيئاً من الحلول حتى تخرج من هذه الأزمات ونفلت من قبضة النظام العالمي الجديد؟ وسأعرض عليكم بعض المحاور الهامة، ولكننى لضيق الوقت لن أسترسل في التفاصيل.

الأمر الأول

ولونظرنا إلى هذه الشرعية ، فإنه ستكون عندنا فكرة عن ذلك الصراع الدائر في الأمة، حتى نستطيع أن ننظر نظرة شاملةً على طبيعة الصراع . ولو أردنا أن نفهم ما يسمى بأهمية التفكير الاستراتيجي ، الذي يمكن أن ينقلنا بفهم الإسلام بشموله ، وفهم الواقع وطبيعة الحياة بموضوعية إلى خطوات متقدمة في طريقة التفكير وأسلوب العمل والتغيير والإصلاح، سنجد أن هناك عدة نقاط في التفكير الإستراتيجي الذي نحن بحاجةإليه، هذا التفكير يسعى إلى توضيح الرؤية، لأن الأمة رغم الهدى والنور اللذين جاءا من عندالله تعالى ، إلا أن هناك خللاً كبيراً واضحاً في حركتها ، مرده -في نظرى ونظر الكثيرين - إلى عدم مراعاة الأولويات ، وعدم وضوح الرؤية والأهداف.

نحن نعلم أن قضية فلسطين تمثل الأولوية الأولى للأمة الإسلامية ، لكن لوا فترضنا أننا أردنا أن نتحدث عن بقايا قضايا الأمة ، فكيف نرتبها وأين محلها من الإعراب؟ هل نترك كل شعب مسلم يعالج قضيتة بنفسه، وهل

تعاملنا أمريكا والنظام العالم الجديد والغرب بهذه العقلية التي عاملت بها الغرب؟ أي سياسة التفريق.

إذاً لابد أن يكون هناك تفكير استراتيجي عام، يأخذ في اعتباره حل جميع مشاكل المسلمين حسب أولوياتها، حلولاً جذرية، وتوضع من أجل ذلك البرامج البعيدة المدى وتتخذ الوسائل اللازمة لذلك مهما طال الأمد " لو قامت قيامة أحدكم وفي يده فسيلة فليغرسها أو فليزرعها ".

الأمر الثاني

هو تطوير القدرة الإسلامية بحيث تستطيع تطوير المستقبل وتشكيله، وهى عملية صعبة ولكنها ممكنة، ولنا في اليابان أسوة، فهي دولة دُمّرت تماماً في الحرب العالمية الثانية، ولكنها نافست أمريكا بل العالم كله في مجالين اثنين، وهما :

المجال الإداري : لإن التنظيم والادارة ليس لهما سقف يحد من تطورهما.

مجال الا ليكترونات والتقنية : فاليابان اكتشفت أستاذاً أمريكيا نابهاً إسمه(فلمنج) استفادت منه في تدريب كبار المديرين في اليابان على مدار (٣٠) سنة ثم سعت أمريكا لاسترداده بعد أن أدركت دوره في تقدم اليابان وخصصت اليابان باسمه جائزة نظراً لاسهامه في تنمية اليابان ونهضتها.

وهذه بريطانيا التى نعيش فيها، تخالف العالم مثلاً في مسألة سير السيارات على الجانب الأيسر، ولكنها مع ذلك لاتزال لها القدرة على

الإستمرار، والمحافظة علي هويتها وذاتيتها فليس من الضروري للتقدم أن يفقد الإنسان شخصيته وثقافته وتراثه .

الأمر الثالث .

ومن القضايا التي تشكل صناعة المستقبل هو ما استطاع أن يفعله الإمام البنا-رحمه الله- والمودودي وسيد قطب وابن باديس و السنوسيون والمهديون وغيرهم. وهم من المنتسبين إلى الحركة الإسلامية التي ساهمت في صنع المستقبل، فأصبح عند الحركة الإسلامية الكثير من الحسنات والخصائص و الإنجازات التي عجزت الدول العظمي عن إنجازها. مثل محاربة الجريمة والقضاء عليها ، وإنهاء الإدمان علي المخدرات، فهذه تمثل رصيداً ضخماً للأمة الإسلامية، وما لها من قيم اجتماعية وانسانية، قادرة علي أن تصنع الغد المشرق لهذا العالم، وتنتشله من براثن الجهل والضياع .

فعلى الجاليات الإسلامية أن تقدم هذا النجاح ووسائله كهدية للغرب، كي يسير على هداه ويستفيد من معانيه وبالتالي يهتدي إلى نور الحق والهدى .

أما اللجوء إلى أعمال العنف وما إلى ذلك فإن هذا يسئ للمسلمين أكثر مما يعطي صورة صحيحة عنهم .

الأمر الرابع

حسن التفاعل مع الأحداث والواقع : فكل مجموعة من المسلمين تتفاعل مع قضاياها الخاصة بها فقط، فمثلاً لو حدثت مشكلة في اليمن فإن الذين يتفاعلون معها هم اليمنيون ، فأما المصريون، وغيرهم من المسلمين فكأنهم بمعزل عن هذه الأحداث وقد غيرت الحركة الاسلامية هذا المفهوم فتفاعلت الأمة مع قضاياها رغم التضييق المستمر عليها وعلى مصادر الإصلاح.
التطوير والتحديث المستمران :وهما شيئان مهمان جداً في صناعة المستقبل.

خواص التفكير الإستراتيجي

من أهم خواص التفكير الاستراتيجي

النفع للأمة والوطن

بمعنى أن الروح الحزبية يجب قتلها عند الإسلامين وعند المسلمين عامة، فهى تمزق وتحد من تفكير الإنسان في أن يطرح مشروعات يمكن أن تكون ذات نفع حقيقي للأمة، بل للعالم، يقول تعالى :
﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** ﴾ ويقول الله تعالى : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً** ﴾
فإذا وجد مركز بحوث ، يعمل في إطار حزبي ضيق فإن هذا لن يفيد الأمة كثيراً، أنظر إلى حزب العمل هنا مثلاً ، وانظر إلى حزب المحافظين، أو

الجمهوريين والديمقراطيين في أمريكا، فإن أي حزب منهم عندما يأتي للحكم فإنه لا يفكر في فائدة حزبه بقدر ما يفكر في الحفاظ على هذه الدولة التي يعمل فيها من أجل تقدمها وتطورها، فهو ينافس الآخرين من الأحزاب السياسية ولكنه يفكر في نفع المجتمع ككل ، وليس فقط في نفع أفراده، وإلاسقط وفشل .

المشاركة المدنية والعسكرية

الأمة العربية والاسلامية مقسمة بشكل عام إلى قسمين :
عسكريون ، ومدنيون، وهذا تقسيم غير عادل وغير مجدي ، إذ أنه يفتت الأمة، فلا بد أن تكون بينهم شراكة، ولذلك فإن مراكز البحوث والدراسات المهتمة بأمر الأمم وتقدمها تجد فيها عسكريين ومدنيين، وتجد فيها من الأحزاب ذات التوجهات المختلفة، المنتمية إلى الوطن.
ولا يعني أنه إذا وصل الإخوان المسلمون -مثلاً- إلى الحكم في بلد ما، فإنهم لن يسمحوا لأي حزب آخر بالعمل، وكذلك نستطيع أن نقول عن باقي الجماعات والحركات و المؤسسات التي ترى نظرة الإصلاح والتغيير المبني على التدرج.
وهناك أمثلة من التحديات الموجودة أمام الأمة، وربما هى غير موجودة لدي الجاليات الاسلامية في الغرب ، لكن عندها مسألة المشاركة في حقوق الإنسان ، وعندها دكتاتورية مع نفسها ، وليس مع الأقطار التى تعيش فيها . وسنحاول التركيز على ترتيب مقترح عن الأولويات عند المسلمين، فقط سأذكر العناوين لضيق الوقت.

من أهم هذه الأولويات

- النفاذ من الحصار المضروب على الحركات والأمة.
- حسن صناعة الأجيال من خلال الدعوة الطيبة الجيدة .
- الإسهام في الدور العالمي وأداء المسلمين فيه.
- الوحدة بين جميع الشعوب الاسلامية.
- حسن ترتيب القضايا ووسائل العلاج.
- مواجهة التهديدات والتحديات الموجودة.
- دور المرأة المسلمة، وهو مهمل حتى عند من ينادون بتحرير المرأة المسلمة .
- دور الشباب المسلم.

والموضوع يحتاج إلى تفصيل لا يتسع مجاله في هذا المؤتمر ، ولذلك أكتفي بهذا القدر وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين .

المبحث العاشر

المسلم الداعية يحسن التعامل

مع المسلم

وغير المسلم

الأستاذ/ مصطفي الطحان



المسلم الداعية يحسن التعامل

مـع المســلم وغـير المسـلم

قال رسول الله ﷺ :«من ظلم معاهداً، أو انتقصه حقاً، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة»(١)وقال أيضاً: «من آذى ذمياً فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة»(٢)

مقـدمـة

هذه الأحاديث تعالج قضية هامة من قضايا المجتمع الإسلامي. وهي قضية غير المسلمين الذين يعيشون في هذا المجتمع. وفي الوقت الذي حسم الإسلام في (التعاليم والتطبيق) عبر تاريخه الممتد (من زمن النبي محمد ﷺ وحتى سقوط الخلافة العثمانية الإسلامية) هذه المسألة ،وأعطى فيها لأهل الذمة م[illegible] الحقوق ما لم تعطه أمة في التاريخ القديم أو الحديث للأقليات ا[illegible]نية ا[illegible] تعيش في كنفها . ومع ذلك فأنت تسمع في كل يوم نغمة [illegible]ـن حقوق الأقليات غير الإسلامية يرددها أعداء الأمة أحيانا ويرددها أبناؤها أحيانا أخرى.

١-أبو داوود والبيهقي
٢-الخطيب باسناد حسن

قد تختلف نوايا الفريقين ، ولكنها من حيث النتيجة مردودها واحد. وهناك فائدة كبيرة من الاستعراض التاريخي لهذه العلاقة بين المجتمع الإسلامي وهذه الأقليات ، لنرى حقيقة المظالم التي يدعونها والتي يطالبون بسببها إبعاد الإسلام عن التشريعات التي تنظم المجتمع وتحكمه .لأنهم في مثل هذه المجتمعات الإسلامية سيكونون ضحية التمييز والاضطهاد، كما يدعون .

السياق التاريخي بين المبدأ والتطبيق

قبل أن نتكلم في هذا الموضوع، ونتعرض إلى حقوق أهل الذمة التي قررها لهم الإسلام وواجباتهم . نحب أن نذكر بعض الوقائع التاريخية التي حصلت مع أهل الذمة في المجتمع الإسلامي خلال التاريخ الإسلامي الطويل.

وذلك لأن بعض التشريعات قد تذكر كلاما جميلا في هذه المسألة أو تلك حتى إذا وصلنا إلى التطبيق نجد العكس أحيانا. فالمنظمات الدولية اليوم لاتشبع من الحديث عن حقوق الإنسان ، وحقوق الأقليات والتنمية والطفولة ومساعدة العالم الثالث وغيرها . بل إن الأديان السماوية الأخرى التي يتحدث منتسبوها عن الدين والسلام والأخلاق، كل هؤلاء، نجد كلامهم في واد والتطبيق في واد آخر.

في العصر النبوي :

ذكر ابن اسحق في سيرته : أن وفد نجران-وهم من النصارى - لما قدموا على رسول الله ﷺ بالمدينة، دخلوا عليه مسجده بعد العصر، فكانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده ، فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله ﷺ «دعوهم » فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم. ولقد استنتج الفقهاء المسلمون من هذه الحادثة جواز دخول أهل الكتاب مساجد المسلمين وتمكينهم من الصلاة في مساجدهم إذا كان ذلك عارضا. [١]

وروى أبو عبيد عن سعيد بن المسيب، أن رسول الله ﷺ تصدق بصدقة على أهل بيت من اليهود، فهي تجري عليهم. [٢]وروى البخاري عن أنس : أن النبي ﷺ عاد يهوديا، وعرض عليه الإسلام فأسلم ، فخرج وهو يقول : «الحمد الله الذي أنقذه بي من النار» .

وروى البخارى أيضا : أن النبي ﷺ مات ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله. ومرت عليه جنازة فقام ﷺ لها واقفا ، فقيل له: إنها جنازة يهودي ، فقال ﷺ : «أليسَتْ نفْساً» .

في عصر الصحابة والتابعين

يأمر الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بصرف معاش دائم ليهودي وعياله من بيت مال المسلمين ، ثم يقول :قال الله تعالى﴿ إنما

١-زاد المعاد-الجزء الثالث
٢- الأموال:٦١٣

الصدقات للفقراء والمساكين﴾ وهذا من مساكين أهل الكتاب.[١] ويمر الخليفة عمر في رحلته إلى الشام بقوم مجذومين من النصارى فيأمر بمساعدة اجتماعية لهم من بيت مال المسلمين. وماتت أم الحارث بن أبي ربيعة وهي نصرانية فشيعها أصحاب رسول الله ﷺ. وكان بعض أجلاء الصحابة يعطون نصيبا من صدقة الفطر لرهبان النصارى ولايرون في ذلك حرجا.

بل ذهب بعضهم كعكرمة وابن سيرين والزهري إلى جواز إعطائهم من الزكاة نفسها.[٢]وروى ابن أبي شيبة عن جابر بن زيد: «أنه سئل عن الصدقة فيمن توضع؟ فقال: في أهل ملتكم من المسلمين، وأهل ذمتهم.»[٣]

في العصر الأموي

يذكر لول ديورانت في كتابه «قصة الحضارة» مايلي.[٤]«لقد كان أهل الذمة (المسيحيون والزرادشتيون واليهود والصابئون) يتمتعون في عهد الخلافة (الأموية) بدرجة من التسامح لانجد لها نظيراً في البلاد المسيحية هذه الأيام، فلقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم، ولم يفرض عليهم أكثر من ارتداء زي ذي لون خاص وأداء

١-الخراج-أبو يوسف، ص ٢٦
٢-غير المسلمين في المجتمع الإسلامي-القرضاوي ص ٥٠
٣- ذكر ذلك ابن حزم في المحلي ٥/ ١١٧ عن كتاب القرضاوي (المرجع السابق: ص ٥٠)
٤-ج١٣/ ص ١٣١ عن كتاب القرضاوي (المرجع السابق) ص ٥٣-٥٤)

ضريبة عن كل شخص تختلف باختلاف دخله وتتراوح بين دينار وأربعة دنانير ولم تكن هذه الضريبة تفرض إلا على غير المسلمين القادرين على حمل السلاح، ويعفى منها الرهبان والنساء والذكور الذين هم دون البلوغ، والأرقاء والشيوخ والعجزة وأهل العمى الشديد والفقر، وكان الذميون يعفون في نظير ذلك من الخدمة العسكرية أو إن شئت فقل لايقبلون فيها ، ولاتفرض عليهم الزكاة البالغ قدرها اثنان ونصف بالمائة من الدخل السنوي ، وكان لهم علي الحكومة أن تحميهم ، ولم تكن تقبل شهادتهم في المحاكم الإسلامية ، ولكنهم كانوا يتمتعون بحكم ذاتي يخضعون فيه لزعمائهم وقضاتهم وقوانينهم» .

في العصر العباسي

وذكر الدكتور الخربوطلي في كتابه«الإسلام وأهل الذمة »[1] مايلي : «اشتهر بين أهل الذمة في العصر العباسي كثير من العظماء مثل جرجيس بن بختيشوع طبيب الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ، وقد وثق فيه الخليفة وأكرمه . ومن هؤلاء جبرائيل بن بختيشوع طبيب هارون الرشيد، الذي قال الرشيد عنه : كل من كانت له حاجة إليّ فليخاطب بها جبرائيل» .

وأشاد ترتون بتسامح المسلمين فقال : (والكُتّاب المسلمون كريمون في تقدير فضائل هؤلاء ممن هم على غير ملتهم ، حتى لَيُسَمّون : حنين بن اسحق برأس أطباء عصره) .

وكان بختيشوع بن جبرائيل يضاهي الخليفة المتوكل في ملابسه وفي حسن

١-ص ١٧٠

الحال وكثرة المال وكمال المروءة ويباريه في الطيب والجواري والعبيد .
واشتهر كثير من أهل الذمة في ميدان الآداب والفنون .[١] وقد بلغ ابراهيم بن هلال (وهو نصراني) أرفع المناصب في الدولة وأرقاها .

وهكذا ، وفي ظل التعاليم السمحة التي تنزل بها الدين الحنيف وطبقها النبي ﷺ وخلفاؤه من بعده عاش أهل الذمة من النصارى في ديار المسلمين في وئام وسلام آمنين على أموالهم وأعرضهم أحرارا في ممارسة شعائرهم .

كما عاش اليهود الذين كانت تطاردهم أوربا ولاتريد أن تراهم على أرضها مطمئنين آمنين ، مرة في كنف الدولة الإسلامية في اسبانيا ، ومرة في كنف الدولة الإسلامية العثمانية .

وإذا حفظت لنا ذاكرة التاريخ بعض صور الوفاء من أهل الذمة في ديار المسلمين إلا أنها حفلت بصور المكر والخديعة والوقيعة بالمسلمين في الحروب الصليبية وفي التآمر مع الأعداء وخاصة تجاه الدولة العثمانية التي أعطتهم امتيازات في المال والتجارة جعلت منهم دولة داخل الدولة، وكانوا بالنتيجة عاملا رئيساً في هدم الدولة العثمانية وتفتيت وحدتها .
والإسلام ينطلق في ذلك ليس من مبدأ رد الفعل ، إنما من مبادئه المقررة في كتاب الله وسنة رسوله، فالإسلام يكرم الإنسان لأنه إنسان بغض النظر عن لونه أو جنسه أو دينه، ويطالب المسلمين بأن يعدلوا مع جميع الناس

١- غير المسلمين في المجتمع الإسلامي (المرجع السابق) ص ٥٥

ولو كانوا أعداءهم ، لهم مالنا وعليهم ما علينا .

حقوق أهل الذمة [١]

القاعدة الأولى

معاملة أهل الذمة (دار الإسلام) هي أن لهم من الحقوق مثل ما للمسلمين، إلا في أمور محددة مستثناة، كما أن عليهم ما على المسلمين من الواجبات إلا ما استثنى وهي :

أولاً : حق الحماية

وتشمل حمايتهم من كل عدوان خارجي. وقد انعقد على ذلك إجماع الأمة. ومن المواقف التنفيذية لهذا المبدأ الإسلامي موقف الإمام ابن تيمية حين طالب القائد التترى (قطلوشاه) الذي تغلب على الشام بإطلاق الأسرى . وعندما وافق على إطلاق أسرى المسلمين دون أهل الذمة رفض ابن تيمية وقال : لانرضى إلا بافتكاك جميع الأسرى من اليهود والنصارى فهم أهل ذمتنا. كما تشمل حمايتهم من الظلم الداخلي .

يقول الرسول ﷺ : «من ظلم معاهدا أو انتقصه حقا أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة» . [٢] وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول : انما بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا» . [٣] وفي عهد النبي ﷺ لأهل نجران « إنه لايؤخذ منهم رجل بظلم آخر» . [٤]

١- من كتاب القرضاوي (المرجع السابق ص ٩)
٢- رواه أبو داوود والبيهقي.
٣- المغني ٨/ ٤٤٥ نقلا عن كتاب القرضاوي (المرجع السابق)
٤-أبو يوسف في الخراج . ص ٧٢-٧٣

ثانياً : حماية الدماء والأبدان :

وحق الحماية المقرر لأهل الذمة يتضمن حماية دمائهم وأنفسهم وأبدانهم. يقول رسول الله ﷺ : «من قتل معاهداً لم يرَ رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما ». (١)

ولايجوز إلحاق الأنفس والأبدان حماية الأموال، جاء في عهد النبي ﷺ لأهل نجران: «ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة رسوله على أموالهم وملتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ». (٢)فمن سرق مال الذمي قطعت يده. ومن غصبه عُزِّر وأعيد المال إلي صاحبه . وحتى الخمر والخنزير فلا يعتبران عند المسلمين مالا متقوما، أما إذا ملكها الذمي فهما مالا عنده . فمن أتلفهما على الذمي غُرِّم قيمتهما. (٣)

ثالثاً : حماية الأعراض

يجب كف الأذى عن الذمي وتحرم غيبته كالمسلم. ويعلق العلامة ابن عابدين علي ذلك فيقول: «إنه بعقد الذمة وجب له مالنا فإذا حرمت غيبة

١- رواه أحمد والبخاري والنسائي وابن ماجه.
٢- الخراج ص٧٢
٣- هذا مذهب الأحناف. وفي الأمر خلاف (كتاب القرضاوي ص١٥)

المسلم حرمت غيبته». [1]

رابعاً : التأمين عند العجز

في عقد الذمة الذي كتبه خالد بن الوليد رضي الله عنه لأهل الحيرة بالعراق (كانوا من النصاري) وجعلت لهم : أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله». [2] وكان ذلك في عهد أبي بكر، وبحضرة عدد كبير من الصحابة، وقد كتب خالد به إلى الخليفة ولم ينكر عليه أحد، ومثل هذا يعد إجماعا.

وكذلك قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أخذ بيد اليهودي الذي كان يسأل الناس، إلى بيت مال المسلمين ، وأمر خازنه بأن يفرض له ولأمثاله من بيت المال ما يكفيهم ويصلح شأنهم وقال في ذلك : ما أنصفناه إذ أخذنا منه الجزية شابا ثم نخذله عند الهرم». [3] فالضمان الإجتماعي في دولة الإسلام للمسلم ولغير المسلم سواء.

١-الدر المختار وحاشية ابن عابدين عليه ٢/ ٣٤٤ كتاب القرضاوي ص١٥
٢-الخراج لأبي يوسف ص ١٤٤
٣-الخراج ص ١٢٦

خامساً : حرية التدين

ويحمي الإسلام فيما يحميه من حقوق أهل الذمة حق الحرية. كحرية الاعتقاد والتعبد، قال تعالى: ﴿ **لا إكراه في الدين** ﴾[1] ولقد صان الإسلام لغير المسلمين معابدهم ورعى حرمة شعائرهم ، قال تعالى: ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً** ﴾[2] وفي عهد النبي ﷺ إلى أهل نجران : «أن لهم جوار الله وذمة رسوله على أموالهم وملتهم وبيعهم».

وفي عهد عمر بن الخطاب إلى أهل إيلياء نص على حريتهم الدينية وحرمة معابدهم وشعائرهم ، فقد «أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسائر ملتها لاتسكن كنائسهم ولاتهدم ولاينتقص منها ،، ولامن حيزها ، ولامن صليبها ، ولامن شئ من أموالهم ، ولايكرهون على دينهم ، ولايضار أحد منهم » . [3]

وفي عهد خالد بن الوليد لأهل عانات «ولهم أن يضربوا نواقيسهم في أي ساعة شاؤوا من ليل أو نهار إلا في أوقات الصلاة ، وأن يخرجوا الصلبان في أيام عيدهم»[4]

١- سورة البقرة : ٢٥٦
٢-الحج:٣٩
٣-تاريخ الطبري ٣/ ٦٠٩
٤-الخراج لأبي يوسف ص١٤٦

قضية واحدة هي موضع خلاف بين فقهاء المسلمين وهي : هل يجوز لأهل الذمة إنشاء معابد جديدة لهم ؟ فريق من الفقهاء أجاز لأهل الذمة إنشاء الكنائس والبيع وغيرها من المعابد في الأمصار الإسلامية وفي البلاد التي فتحها المسلمون عنوة إذا أذن لهم إمام المسلمين بذلك .

وقد ذهب إلى ذلك الزيدية والإمام ابن القاسم من أصحاب مالك .[١] ويبدو أن العمل جرى على هذا في تاريخ المسلمين ، وذلك منذ عهد مبكر ، فقد بنيت في مصر عدة كنائس في القرن الأول الهجري مثل كنيسة مار مرقص بالإسكندرية ما بين عامي ٣٩و ٥٦ هـ كما بنيت أول كنيسة بالفسطاط في حارة الروم في ولاية مسلمة بن مخلد على مصر بين عامي ٤٧ و ٦٨هـ .

أما في القرى والمواضع التي ليست من أمصار المسلمين فلا يمنعون من تجديد كنائسهم وبناء ما تدعو حاجتهم إلى بنائه نظرا لتكاثر عددهم .[٢]

يقول العلامة غوستاف لوبون« إن مسامحة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمةللغاية وإنه لم يقل بمثلها مؤسسو الأديان التي ظهرت من قبل كاليهودية والنصرانية علي وجه الخصوص»[٣]

١-احكام الذميين والمستأمنين -عبدالكريم زيدان ص ٩٦-٩٩
٢-غير المسلمين في المجتمع الإسلامي المرجع السابق ص٢١
٣- حضارة العرب -غوستاف لوبون ص ١٢٨

سادساً : حرية العمل والكسب والتوظيف

لغير المسلمين حرية العمل والكسب، شأنهم في ذلك شأن المسلمين.
قال آدم ميتز«ولم يكن في التشريع الإسلامي ما يغلق دون أهل ذمة أي باب من أبواب العمل، وكانت قدمهم راسخة في الصنائع التي تدر الأرباح الوافرة ، فكانوا صيارفة وتجارا وأصحاب ضياع وأطباء»[١]

ولأهل الذمة الحق في تولي وظائف الدولة كالمسلمين إلا ما غلبت عليه الصبغة الدينية كالإمامة ورئاسة الدولة والقيادة في الجيش والقضاءبين المسلمين والولاية على الصدقات ونحو ذلك. حتى إن بعض فقهاء المسلمين من أمثال الماوردي لايرى بأسا من تولية الذمي وزارة التنفيذ.

وقد تولي الوزارة في زمن العباسيين بعض النصارى أكثر من مرة، منهم نصر بن هارون سنة ٣٦٩هـ وعيسى بن نسطورس سنة ٣٨٠هـ[٢]

ولسائل أن يسأل: وهل كانت هذه الحقوق نصوصا نظرية غير قابلة للتنفيذ أم أنّها نُفّذت بالفعل؟ وما هي الضمانات التي اتخذها الدين الحنيف للوفاء بالعهود؟ قال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط، ولايجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوي ، واتقوا الله ، إن الله خبير بما تعملون** ﴾[٣]

١- الحضارة الإسلامية أدم ميتز ١/ ٨٦
٢-غير المسلمين في المجتمع الإسلامي المرجع السابق ٢٤
٣-المائدة :٨

هذا من ناحية المبدأ ، وفي حالة حدوث أي انحراف عنه، فالمجتمع المسلم بكل عناصره الحكام والعلماء والشعب المسلم جاهزون لتصحيح الخطأ. والتاريخ الإسلامي ملآن بالشواهد التي تدل على التزام المجتمع المسلم بحماية أهل الذمة من كل ظلم يمس حقوقهم المقررة. (١)

أشهر هذه الحوادث التاريخية قصة القبطي مع عمرو بن العاص رضي الله عنه والي مصر، حيث ضرب ابن عمرو ابن القبطي بالسوط وقال له : "أنا ابن الأكرمين" . وسافر القبطي إلى عاصمة الخلافة ليرفع للخليفة ظلامته. واستدعي الخليفة عمر بن الخطاب عمراً وابنه. وأعطى السوط لابن القبطي وقال له : "اضرب ابن الأكرمين" . وقال لعمرو المقولة المشهورة التي بقت خالدة على جبين الدهر: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا». ولولا أن القبطي أدرك أن عدالة الإسلام ستصيبه لما تجشم هذا السفر الطويل من مصر إلى المدينة المنورة.

وحادثة أخرى عندما أخذ الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك كنيسة يوحنا وأدخلها في المسجد الأموي، فلما استخلف عمر بن عبدالعزيز شكا النصاري إليه، فكتب إلى عامله يرد ما زاده في المسجد عليهم، لولا أنهم تراضوا مع الوالي على أساس أن يعوضوا بما يرضيهم. (٢)

وقصة أخرى مشهورة عندما تخاصم سيدنا علي رضي الله عنه وهو الخليفة مع رجل نصراني لدى القاضي(شريح) على درع. حيث قال علي:

١-المرجع السابق ٢٧
٢-فتوح البلدان ص ١٧١-١٧٢

" الدرع درعي ولم أبع ولم أهب " . وقال الخصم : " الدرع درعي " فالتفت شريح إلى علي يسأله : هل لك من بينة : قال علي : مالي بينة . فحكم القاضي للنصراني بالدرع . ولم يمش النصراني خطوات حتى عاد يقول : أما إني أشهد أن هذه أحكام أنبياء ، أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمد رسول الله ، الدرع درعك يا أمير المؤمنين، اتبعت الجيش وأنت منطلق إلى صفين، فَخَرَجَت من بعيرك .[١]هذه مجرد نماذج وشهادات سجلها تاريخ المسلمين في الوفاء بالعهود لأهل الذمة .

واجبات أهل الذمة[٢]

تنحصر واجبات أهل الذمة في أمور معدودة هى :

*- أداء الجزية والخراج والضريبة التجارية ، وهذه هي واجباتهم المادية .

*- التزام أحكام القانون الإسلامي في المعاملات المدنية .

*- احترام شعائر المسلمين .

أولاً : الجزية والخراج

أما الجزية فهي ضريبة سنوية زهيدة تفرض على الرجال البالغين القادرين . أما الفقراء فمعفون منها .

وأما الخراج فهو ضريبة مالية تفرض على رقبة الأرض إذا بقيت في أيديهم ويرجع تقديره إلى الامام .

١-البداية والنهاية -لابن كثير ٨ / ٤-٥

٢-غير المسلمين في المجتمع الإسلامي -المرجع السابق ٣١

الفرق بين الجزية والخراج، أن الأولى تسقط بالإسلام، أما الخراج فلا بد من أدائه . ويزيد على الذمي الباقي على دينه أنه يدفع العشر أو نصف العشر عن غلة الأرض . فالخراج هو بمثابة ضريبة الأملاك العقارية اليوم، والعشر بمثابة ضريبة الاستغلال الزراعي .

ولقد لعب الإعلام المعادي في تشويه المصطلحات الإسلامية التي نظمت علاقات غير المسلمين بالدولة الإسلامية . ومنها كلمات الذمة، والجزية وغيرها من المصطلحات . والجزية هي مجرد بدل مالي عن «الخدمة العسكرية» المفروضة على المسلمين، ولهذا فهي مفروضة فقط على القادرين على حمل السلاح من أهل الذمة. وتسقط الجزية عن هؤلاء في حالتين .

الأولي :

أن يضعف المسلمون عن حماية أهل الذمة. كما أمر أبو عبيدة بن الجراح عندما بلغه تجمع جحافل الروم في الشام ، نوابه العسكريين برد الجزية وقال : «إنما رددنا عليكم أموالكم ، لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع، وإنكم اشترطتم علينا أن نمنعكم ، فإذا نصرنا الله عليهم، فنحن لكم على الشروط»(١) .

١-ابو يوسف في الخراج

الثانية :

أن يشارك أهل الذمة المسلمين في القتال والدفاع عن دار الإسلام ضد أعداء الإسلام. ولقد صالح أبو عبيدة جماعة «الجراجمة» وهم من نصاري انطاكية أن يكونوا أعوانا للمسلمين وعيونا علي عدوهم وألا يؤخذوا بالجزية . (١)

وفي التاريخ الإسلامي القديم والحديث عشرات الأمثلة لأهل الذمة الذين ساعدوا الجيش الإسلامي أو حاربوا معه فكان ذلك بديلا للجزية . (٢)

ثانياً: التزام أحكام القانون الإسلامي

وهي قضية يفهمها كل إنسان سوي. فلاتوجد دولة في العالم المتحضر اليوم إلا ولها قوانين انبثقت عن رغبات شعبها، يخضع لها جميع قاطني هذه الدولة. فالمواطن في الإتحاد السوفياتي أو في الولايات المتحدة يخضع للقوانين الشيوعية أو الرأسمالية هنا أو هناك .

ومع ذلك فالإسلام أكثر تقدمية من جميع النظم الوضعية التي تعارف عليها الناس . . فقد منح غير المسلمين في المجتمع الإسلامي الحرية أن يتعاملوا في أحوالهم الشخصية والإجتماعية وفق شريعتهم وأمام قضاة دينهم .

١- فتوح البلدان - للبلاذري ص ٢١٧ -عن كتاب القرضاوي ص ٣٥
٢- تخد كثيراً من هذه الأمثلة في كتاب القرضاوي ٥٧

يقول المؤرخ الغربي« آدم متز» في كتابه (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري): «ولما كان الشرع الإسلامي خاصا بالمسلمين فقد خلَّت الدولة الإسلامية بين أهل الملل الأخرى وبين محاكمهم الخاصة بهم. والذي نعلمه من أمر هذه المحاكم أنها كانت محاكم كنسية. وكان رؤساء المحاكم الروحيون يقومون فيها مقام كبار القضاة أيضا. ولم تقتصر أحكامهم على مسائل الزواج، بل كانت تشمل كذلك مسائل الميراث وأكثر المنازعات التي تخص المسيحين وحدهم مما لا شأن للدولة به ».

وفيما عدا الأمور الشخصية والإجتماعية ، فعليهم أن يخضعوا لقوانين الدولة الإسلامية في الدماء والأموال والأعراض شأنهم في ذلك شأن المسلمين .

ثالثاً: مراعاة شعور المسلمين

وعلى غير المسلمين في المجتمع الإسلامي أن يراعوا مشاعر المسلمين، وكرامة المجتمع الإسلامي وهيبة السلطة الإسلامية. عن عارفة بن الحارث – وكانت له صحبة مع النبي ﷺ وقاتل مع عكرمة بن أبي جهل باليمن في الردة أنه دعا نصرانيا إلى الإسلام فذكر النصراني النبي بسوء فرفع ذلك إلى عمرو بن العاص، فقال عمرو: (قد أعطيناهم العهد). فقال عرفة: (معاذ الله أن نكون أعطيناهم العهود والمواثيق على أن يؤذونا في الله ورسوله ، إنما أعطيناهم على أن نخلي بينهم وبين كنائسهم ، وألا نحملهم ما لاطاقة لهم به ، وأن نقاتل من ورائهم، وأن نخلي بينهم وبين أحكامهم إلا أن

يأتونا فنحكم بينهم بما أنزل الله) . فقال عمرو : (صدقت) [1]

شبهات حول الموضوع

بالرغم من التسامح الكريم والعدل الذي لايقاربه عدل في معاملة الإسلام لغير المسلمين في الدولة الإسلامية. فقد أثار أعداء الإسلام وخاصة المستشرقون بعض الشبهات حول هذا الموضوع . وكلما حاول المسلمون تطبيق أحكام الشريعة في بلد من بلدانهم ارتفعت الأصوات من هنا أو هناك وهي تتساءل : "كيف يمكن تطبيق الشريعة على غير المسلمين؟! . وهل يمكن أن يرضى فريق من المواطنين أن يعيشوا مواطنين من الدرجة الثانية في بلادهم ؟! .

ومن أهم الشهبات التي يثيرونها

أولاً : الجزية

فهم يدفعون الجزية ، بينما لايدفعها المسلمون . وقد بينا أن الجزية يدفعها هؤلاء مقابل فريضتين فرضتا على المسلمين وهما : فريضة الجهاد وفريضة الزكاة . وأنها لاتؤخذ إلا من القادرين على القتال. وأنهم يدفعونها مقابل حماية الجيش الإسلامي لهم وأنهم يسترجعونها في حال عدم قدرة الجيش على حمايتهم . وبينا أنهم لايدفعونها إذا أعانوا في قتال العدو أو أدوا خدمات للجيش الإسلامي.

---

١ - رواه الطبراني عن كتاب القرضاوي المرجع السابق ص,٤٣

ومع ذلك فإذا أصر أهل الذمة علي عدم تميزهم عن المسلمين بدفع الجزية، وأن هذه التسمية تؤذي مشاعرهم ، فإنه بإمكان الحاكم المسلم أن يفرض عليهم ضريبة تعادل الزكاة التي تفرض على المسلم. وقد ذهب إلى ذلك الاستاذ القرضاوي في كتابه القيم (فقه الزكاة). [١]

كما أنه لاضرورة لتسمية هذه الضريبة بالجزية . وقد أخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه من نصارى بني تغلب الجزية باسم الصدقة، اعتباراً بالمسميات لا بالأسماء.

ثانياً : ختم رقاب أهل الذمة

ومن الشبهات أن المسلمين كانوا يختمون رقاب أهل الذمة . وفي ذلك من الإذلال ما فيه . وتوضيح الأمر : أن هذه الطريقة أخذها المسلمون عن البيزنطيين فلم تكن هناك وسيلة أخرى لمعرفة من دفع الجزية ممن لم يدفعها. ولقد ذكر أبو يوسف: ينبغي أن تختم رقابهم في جباية الجزية ثم تكسر الخواتيم. [٢] ويمكن في العصر الحديث استخدام أية وسيلة أخرى تؤمن المصلحة وتنجو من شبهة الإذلال.

١- ص١-٩٨- ١٠٤

٢-الخراج ص ٧٢

ثالثاً: أزياء أهل الذمة .[1]

وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه اشترط على أهل الذمة ألا يتشبهوا بالمسلمين في ثيابهم وسروجهم ونعالهم ، وأن يضعوا في أوساطهم أو على أكتافهم شارات معينة تميزهم عن المسلمين . وينسب ذلك إلى عمر بن عبدالعزيز أيضا . ولقد وضح الدكتور الخربطلي[2] هذه المسألة فقال: (ونحن نرى ، أنه لو افترضنا جدلاً حقيقة هذه الأوامر الصادرة عن الخليفتين، فقد كان هذا لاغبار عليه ، فهو نوع من التحديد للملابس في نطاق الحياة الإجتماعية، للتمييز بين أصحاب الديانات المختلفة، وخاصة أننا في وقت مبكر من التاريخ ، ليس فيه بطاقات تثبت الشخصية، وما تحمله عادة من تحديد الجنسية والدين والعمر وغير ذلك. فقد كانت الملابس المتميزة هي الوسيلة الوحيدة لإثبات دين كل من يرتديها . وكان للعرب المسلمين ملابسهم، كما للنصارى أو اليهود أو المجوس ملابسهم أيضاً) .

وناقش المؤرخ ترتون هذه المسألة أيضاً، وأبدى رأيه فيها وقال: «كان الغرض من القواعد المتعلقة بالملابس سهولة التمييز بين النصارى والعرب وهذا أمر لا يرقى إليه الشك. [3]ويستطيع أهل الذمة في كل عصر، إذا اعتبروا ذلك مساسا بكرامتهم أن يغيروه.. فالأمر في مجمله وسيلة اجتماعية للتميز وليس مجالا للاضطهاد . وفي الاتفاقية التي وقعها

١-غير المسلمين في المجتمع الإسلامي – القرضاوي ص ٦٥
٢-الإسلام وأهل الذمة – الخربوطلي
٣- في كتابه أهل الذمة .

المسلمون في سنة ٩٨هـ مع الجراجمة (النصاري) الذين يسكنون المناطق الجبلية من بلاد الشام تضمنت النص على أن يلبس الجراجمة لباس المسلمين.[١]

موالاة أهل الكتاب

فهم بعض المسلمين بعض النصوص على غير وجهها الصحيح مثل:
قوله تعالى: ﴿**لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين**﴾.[٢] ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين**﴾.[٣] ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم**﴾.[٤]

فهم بعض المسلمين مثل هذه النصوص أنها تدعو إلى الجفوة والوقيعة والكراهية لغير المسلمين، وإن كانوا من أهل دار الإسلام، الموالين للمسلمين المخلصين لجماعتهم.

يقول الدكتور القرضاوي حول هذا الموضوع.[٥] إن نهي النبي ﷺ إنما هو عن اتخاذ المخالفين أولياء بوصفهم جماعة متميزة بديانتها وعقائدها

١- فتوح البلدان -البلاذري ص ١٦١
٢- آل عمران :٢٨
٣- النساء: ١٤٤
٤-المائدة: ٥١
٥-المصدر السابق ٦٩

وأفكارها وشعائرها ، لابوصفهم جيرانا أو مواطنين. فالمفروض أن يكون ولاء المسلم للأمة المسلمة وحدها. لا لأى جماعة أخرى على حساب جماعته. ولايرضى أي نظام دينى أو وضعي لأحد من أتباعه أن يدع جماعته التي ينتسب إليها ويعيش بها، ليجعل ولاءه لجماعة أخرى من دونها.

إن الموادة التي نهت عنها الآيات هي موادة من آذى المسلمين وحاد الله ورسوله، واتخذ مواقف العداء بالقتال أو بالإخراج من الديار ، أو المظاهرة والمعاونة على ذلك. فهؤلاء تحرم موالاتهم ومودتهم.

إن الإسلام أباح للمسلم التزوج من أهل الكتاب ، والحياة الزوجية يجب أن تقوم على السكون النفسي والمودة والرحمة. وهذا يدل على أن مودة المسلم لغير المسلم لاحرج فيها. وكيف لايواد الرجل زوجته إذا كانت كتابية؟ وكيف لايواد الولد جده وخاله وخالته إذا كانت أمه ذمية؟

الخلاصـــة

فإن الإسلام -دين الله الخالد- جاء بأسمى التشريعات التي رفعت من قيمة الإنسان بغض النظر عن دينه أو معتقده أو لونه أو أرضه أو لغته.. ولم تعرف البشرية في السابق واللاحق ولن تعرف في المستقبل نظاما على هذا المستوى من الاعتراف بالكرامة والإنسانية.

وإذا ألقينا نظرة فاحصة على أمم العالم لرأينا التعصب المذموم، والحقد المدفون والعنصرية البغيضة يوجه مشاعر وأفعال هؤلاء الأقوام.

لقد عاشت المدنية الإسلامية عشرات القرون ، وامتدت ساحتها على عدة قارات، واستظل بظلها عشرات الشعوب بمئات الأجناس والألوان واللغات والأديان . عاشوا جميعا يهتفون من أعماقهم بوحدة الجنس البشري وبكرامة الإنسان.

واليوم تسيطر على العالم مدنية الغرب الرأسمالية والشيوعية ، وجميع دول العالم تدور في فلك هذه المدنية، تقتدي بها وتتأسى بمدنيتها، فماذا فعلت ؟ ! لم تقدم سوى الشعارات البراقة، والمواثيق الخادعة، والهيئات التي ليس لها من الإنسانية غير اسمها. أما إذا نظرت إلى فعلها فتكريس الانقسام وتأييد الطغيان وتسويغ القهر والظلم والحرمان.

إن الحروب الطاحنة الطويلة بين انجلترا وفرنسا وبين فرنسا وألمانيا إنما كانت لتغليب جنس على جنس ولغة على لغة ومصالح استعمارية على

مصالح أخرى ، والحروب العالمية التي ذاقت البشرية ويلاتها إنما كانت في سبيل الشيطان الذي أوحى لسدنة معبده بأن الاقوام يتفاضلون وأن الجنس الآرى فوق الجميع .

والغزوات الخسيسة التي حاكتها ونفذتها دول أوربا في حملات صليبية متتابعة تريد استذلال العالم الإسلامي واحتلال أرضه وقتل شعوبه إنما كانت تحت شعار: **(اقتلوهم جميعاً كباراً وصغاراً فالله لايريد لهذا الجنس الملعون أن يعيش).**

والمؤامرات التي دبرتها الدول الغربية لتقسيم الدولة الإسلامية العثمانية نتج عنها سقوط الدولة الإسلامية مزعا بأفواه الطامعين . وذاقت هذه الدويلات من مرارة التجزئة والاستغلال والتمييز العنصري مايذهل الإنسانية الكريمة. من أجل تثبيت دعائم الشيوعية في روسيا ذبح ستالين ثلاثين مليونا من البشر أكثرهم من المسلمين .

وفي يوغسلافيا الحديثة العهد بالوجود ، بنت وجودها على مذبحة كبرى سقط فيها حوالي مليون مسلم .

في الجزائر أكثر من مليون ونصف المليون مسلم سقطوا باسم الكنيسة .

في اسبانيا الأوربية قتلوا جميع المسلمين فيما عرف بمحاكم التفتيش . وحتى العظام التي في القبور نبشوها وحرقوها .

في الحبشة : بدأت مذابح المسلمين منذ ثلاثين سنة ولم تتوقف بعد .

في فلسطين : مازال شعبها مشرداً مبعداً عن أرضه ووطنه .

في مؤامرة مزدوجة صليبية يهودية ترعاها دول العالم المتحضر لسحق الشعب المسلم.

ولو تتبعنا جميع دول العالم بدون استثناء لوجدنا مأساة سببها العنصرية الجنسية أو اللغوية أو القومية أو الدينية . حتى الدول النصرانية ذاتها ذاقت من مرارة الكأس التي سقتها للآخرين ، فاضطهاد اليهود في الغرب الصليبي فترة من الزمن، واضطهاد البروتستانت في الدول الكاثوليكية. واضطهاد الكاثوليك في الدول البروتستانتية .كل ذلك شاهد على فساد الأساس الأخلاقي الذي قامت عليه هذه الدول. . المصلح الديني النصراني لوثر يقول لأتباعه: «من استطاع منكم فيلقتل، فليخنق. فليذبح، سراً أو علانية، اقتلوا واخنقوا واذبحوا، ماطاب لكم، من هؤلاء الفلاحين الثائرين» (١)

يذكر "بريفولت" أن تقدير المؤرخين للناس الذين قتلتهم المسيحية في أوربا يتراوح بين سبعة ملايين كحد أدنى وخمسة عشر مليونا كحد أعلى(٢)

إن فظاعة هذا العددتتضح لنا عندما نذكر أن عدد سكان أوربا آنذاك كان جزءاً ضئيلا فقط من سكانها اليوم .

١-الايديولوجية الإنقلابية -نديم البيطار ص ٧١٠
٢- الإسلام والنصرانية -الشيخ محمد عبده

كان هؤلاء القتلة يجدون تبريرا لأعمالهم مما جاء في التوراة:

(اهدموا معابدهم. واقذفوا أعمدتها إلى النار، وأحرقوا جميع صورها، وأحرقوا جميع من فيها من رجال ونساء وأطفال).

هذه هي مدنية الآخرين في السابق واللاحق. ومع ذلك يطاردون المسلمين ويتهمونهم بالتعصب الديني وإذا حاول قوم من المسلمين تطبيق الشريعة الإسلامية في بلادهم .. رفعوا عقيرتهم يستصرخون الضمير البشري ليحول دون إرهاب المسلمين.

ويصدقهم في دعواهم تلك نفر من جهلة المسلمين. فيرددون مقولة الأعداء إن الشريعة ما عادت تصلح للحياة في هذه العهود.

التعريف بالمحاضرين

١- فضيلة الشيخ الدكتور/ يوسف القرضاوي

٢-الدكتور/ أحمد جاء بالله

٣-الأستاذ/ أحمد الراوي

٤-فضيلة الشيخ / راشد الغنوشي

٥-فضيلة الشيخ / عبدالله الجديع

٦-الدكتور/ عزام التميمي

٧-الدكتور/ عصام البشير

٨-فضيلة الشيخ/ فيصل مولوي

٩-الدكتور / كمال الهلباوي

١٠- الأستاذ/ مصطفي الطحان



الشيخ الدكتور / يوسف القرضاوي
في سطور

*- ولد في مصر ١٩٢٦م

*- حفظ القرآ ن الكريم وهو دون العاشرة.

*- تخرج من كلية أصول الدين بالأزهر الشريف سنة ١٩٥٣م.

*-حصل على الدكتوراة بمرتبة الشرف الأولى سنة ١٩٧٣م.

*-عمل في مراقبة الشؤون الدينية في وزارة الأوقاف .

*- أصبح مديراً للمعهد الديني في دولة قطر.

أسس قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية في جامعة قطر وكان رئيساً له.

*- أسس كلية الشريعة والدراسات الإسلامية وكان عميداً لها .

*-أسس مركز بحوث السنة والسيرة والذي لايزال مديراً له .

*- عمل منذ فجر شبابه في مجال الدعوة وأوذي بالسجن بسبب ذلك.

*- فقيه متميز بالرسوخ في العلم والاعتدال في الأحكام.

*- رائد مذهب الوسطية في الفقه في العصر الحديث.

*-كاتب وشاعر له دواوين عديدة.

*- عضو في الكثير من المؤسسات والجمعيات مثل:

١-عضو المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.
٢-عضو في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن.
٣-عضو مركز الدراسات الإسلامية في جامعة اكسفورد -بريطانيا.
٤-عضو مجلس أمناء الجامعة الإسلامية العالمية باسلام أباد- باكستان
٥-عضو منظمة الدعوة الإسلامية بالخرطوم - السودان
٦-رئيس هيئة الرقابة الشرعية في عدد من المصارف الإسلامية.
٧-رئيس المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث .
٨- رئيس مجلس إدارة الهيئة العالمية للتعريف بالاسلام عبر الإنترنت- قطر .

*- حصل على العديد من الجوائز التقديرية منها:

١- جائزة البنك الإسلامي للتنمية في الاقتصاد الإسلامي سنة ١٤١١هـ.
٢-جائزة الملك فيصل العالمية في الدراسات الإسلامية سنة ١٤١٣هـ.
٣- جائزة العطاء العلمي المتميز من الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا ١٩٩٦م.
٤-جائزة السلطان حسن بلقية-سلطان بروناي في الفقة سنة ١٩٩٧ .

*- له عدد لايحصى من المقالات والمحاضرات والخطب.

*- ألف أكثر من ثمانين مؤلفاً طبعت عشرات المرات وترجمت لكثير من لغات الأرض .. ومن أهم هذه المؤلفات:

١-فقه الزكاة (جزءان)
٢- الحلال والحرام في الاسلام.
٣- مشكلة الفقر وكيف عالجها الاسلام.
٤- الإيمان والحياة.
٥- الناس والحق.
٦- عالم وطاغية.
٧-درس النكبة الثانية.
٨-العبادة في الإسلام.
٩- حتمية الحل الإسلامي.
١٠- عقائد الإسلام في ضوء القرآن والسنة.
١١- أخلاق الإسلام في ضوء القرآن والسنة.
١٢-تكفير المسلم: حدوده وضوابطه.
١٤- معالم النظام الاقتصادي في الإسلام.
١٥- أولويات العمل في المرحلة القادمة.
١٦- الاخوان المسلمون .

الدكتور / أحمد بن الهادي جاء بالله
في سطور

*- من مواليد سنة ١٩٦٥م في تونس.

*- يعمل أستاذاً ومديراً للشؤون العلمية في المعهد الأوربي للعلوم الإنسانية في فرنسا.

*- تخرج من كلية الشريعة وأصول الدين في جامعة الزيتونة بتونس ١٩٧٩م.

*- حصل على دبلوم البحوث المعمقة من جامعة السوربون في باريس ١٩٨٢م

*- حصل على الدكتوراة من جامعة السوربون في باريس ١٩٨٧م.

*- تولى رئاسة اتحاد المنظمات الإسلامية في أوربا في الفترة من ١٩٨٥ حتي ١٩٩١م.

*- بالإضافة لعمله في المعهد الأوربي للعلوم الإنسانية، فإنه يعمل رئيساً لقسم الدعوة والتعريف بالاسلام في اتحاد المنظمات الإسلامية في أوربا.

*- له كتاب «مفهوم العمل في القرآن الكريم» وهو أطروحة الدكتوراة.

*- له العديد من البحوث والمحاضرات والمقالات الصحفية في مجالات الشريعة الإسلامية وواقع المسلمين في أوربا.

الأستاذ / أحمد كاظم الراوى
في سطور

من مواليد مدينة (راوة) في العراق سنة ١٩٤٧م.

*- يعمل حالياً رئيساً لاتحاد المنظمات الإسلامية في أوربا.

*-تخرج من كلية الهندسة في جامعة بغداد.

*-تولى رئاسة جمعية الطلبة المسلمين في المملكة المتحدة وآيرلندا سنة ١٩٧٧م.

*- أصبح نائباً لرئيس اتحاد المنظمات الإسلامية في أوربا في الفترة من نوفمبر ١٩٨٩م الى مايو ١٩٩٢م.

*- يعتبر من المؤسسين للمؤسسات والجمعيات التالية:

١- اتحاد المنظمات الإسلامية في أوربا.
٢-المعهد الأوربي للعلوم الإنسانية في فرنسا.
٣- المعهد الأوربي للعلوم الإنسانية في بريطانيا.
٤- المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث.
٥- الملتقى الأوربي للطلبة والشباب.
٦- الوقف الأوربي.
٧- رابطة الاعلاميين في أوربا.
٨- رابطة المدارس الإسلامية في أوربا.

*- له بعض البحوث منها:

١- العمل الإسلامي في أوربا: الماضي والحاضر والمستقبل.
٢- التواصل بين الأجيال المسلمة في أوربا في الدين والفكر والثقافة.
٣- دور المؤسسات التعليمية في أوربا في التواصل مع الغرب.
٤- الجالية المسلمة في أوربا :الواقع والآمال.

الشيخ / راشد محمد الغنوشي في سطور

*- من مواليد تونس سنة ١٩٤١م.

*- يعمل رئيساً لحركة النهضة التونسية.

*- حصل على بكالوريوس في الفلسفة الإسلامية.

*-يعتبر من كبار مفكري الحركة الإسلامية.

*-له إسهامات بارزة في تأصيل مفاهيم الديمقراطية وحقوق الإنسان في الإسلام.

*-اشتهر الشيخ الغنوشي بدعوته للحوار بين مختلف التيارات الفكرية في العالمين العربي والإسلامي.

*- صدرت رسالة دكتوراة من جامعة وستمنستر في لندن عن فكر الغنوشي السياسي، وستقوم جامعة اكسفورد بطباعة الكتاب.

*- له الكثير من المقالات و البحوث والكتب منها:

١- الحريات العامة في الدولة الإسلامية.

٢- المرأة بين القرآن وواقع المسلمين.

٣-حقوق المواطنة.

٤-مقاربات في العلمانية والمجتمع المدني.

٥-القدر عند بن تيمية.

٦-الحركة الإسلامية وإشكاليات التغيير.

٧-حوارات.

الشيخ / عبدالله بن يوسف الجديع في سطور

*- من مواليد مدينة البصرة بالعراق سنة ١٩٥٩م.

*- يعمل حالياً مديراً لمركز البحوث الإسلامية بمدينة (ليدز) في بريطانيا.

*- تخرج من المعهد الإسلامي في البصرة سنة ١٩٧٨م.

*- عمل كإمام وخطيب في العديد من المساجد في الدول العربية وبريطانيا.

*- أشرف علي برامج السنة النبوية في شركة (صخر) للكمبيوتر في الفترة من ١٩٨٨م حتي ١٩٩٢م.

*- يشغل منصب الأمين العام للمجلس الأوربي للإفتاء والبحوث منذ سنة ١٩٩٨ حتى الآن.

*-من مؤلفاته:

١-العقيدة السلفية في كلام رب البرية.
٢-المقنع في علوم الحديث لابن الملقن (تحقيق)
٣-تيسير علم أصول الفقه.
٤-مقدمات في علوم القرآن .
٥-تحرير علوم الحديث.
٦-أحكام العورات في الشريعة الإسلامية.
٧-الموسيقى والغناء في ميزان الإسلام.

الدكتور / عزام سلطان التميمي
في سطـور

*- من مواليد مدينة الخليل في فلسطين سنة ١٩٥٥م

*- يعمل حالياً مديراً لمعهد الفكر السياسي الإسلامي.

*- حصل على درجة الدكتوراةفي العلوم السياسية من جامعة وستمنستر بلندن

*- عمل محرراً اعلامياً ومحللاً إخبارياً في هيئة المعلومات الإذاعية الخارجية التابعة للحكومة الأمريكية في الفترة من ١٩٨٠م حتي ١٩٨٥م.

*- عمل في مجال الترجمة الفورية في الفترة من ١٩٨٥م حتى ١٩٨٩م.

*- عمل مديراً لمكتب نواب الحركة الإسلامية في الأردن من سنة ١٩٩٠ حتى ١٩٩١م.

*- له الكثير من البحوث بالعربية والاتخليزية التى ألقيت في ندوات ومؤتمرات محلية ودولية منها:

١-الإسلام والتعددية.
٢-الديمقراطية في الفكر السياسي الإسلامي الحديث.
٣-الإسلام في الاعلام الغربي.
٤-الأصولية الإسلامية والعنف السياسي.
٥-التجربة الديموقراطية للحركة الإسلامية في الأردن.
٦- حقوق الإنسان في مفهوم الإسلام المعاصر.
٧-الإسلام والديمقرطية :الديني والسياسي في الفكر السياسي الإسلامي.
٨-شرعية المقاومة · مفهوم إسلامي.
٩- القدس تحت الحكم الإسلامي .
١٠-الهوية الإسلامية وحقوق الإنسان.
١١-الإسلام والمجتمع المدني.
١٢- الحركات الإسلامية :أصولية أم مشاريع إجتماعية وسياسية.

*- حرر وألف العديد من الكتب منها:

١-مشاركة الإسلاميين في السلطة
٢-الشرعية السياسية في الإسلام ، مصادرها وضوابطها.
٣- الإسلام والعلمانية في الشرق الأوسط
٤- راشد الغنوشي (تحت الطبع -جامعة اكسفورد)

الدكتور / عصام أحمد البشير

في سطـور

*- من مواليد السودان سنة ١٩٥٦ م

*- حصل على الدكتوراة في السنة وعلوم الحديث.

*- عضو المجلس الوطني (البرلمان) سابقاً.

*- يعمل مديراً لمركز «الكلم الطيب للبحوث والدراسات»

*- عضو المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث.

*- عضو مجلس إدارة الهيئة العالمية للتعريف بالاسلام عبر الانترنت- قطر

*- عضو لجنة المتابعة لمؤتمر الحوار القومي الإسلامي -بيروت.

*-عضو الأمانة العامة لمناصرة القدس-عمان.

*- عضو الجمعية العمومية للمعهد الأوربي للدراسات الإنسانية -فرنسا.

***- له العديد من المؤلفات والبحوث نذكر منها:**

١- أصول منهج النقد عند أهل الحديث.

٢- أضواء على الأصول العشرين.

٣- مفهوم الفرقة الناجية.

٤- الشورى في سياق التأصيل والمعاصرة.

٥- نظرات في معنى التجديد والمجدد.

٦- التعددية في سياق الفكر الإسلامي المعاصر.

الشيخ / فيصل أنور مولوى
في سطور

*- من موليد طرابلس -لبنان ١٩٤١م .

*- يعمل حالياً أميناً عاماً للجماعة الإسلامية في لبنان منذ سنة ١٩٩٢م.

*- أنهى دراسة الحقوق في الجامعة اللبنانية والشريعة في جامعة دمشق ١٩٦٧م.

*- عمل مستشاراً في المحكمة الشرعية العليا في بيروت واستقال سنة ١٩٩٦ للتفرغ للعمل الدعوي.

*- من المؤسسين لاتحاد المنظمات الإسلامية في أوربا وهو من المرشدين الدينيين في الاتحاد.

*- يعمل الآن نائباً كرئيس المجلس الأوربي للإفتاء.

*- من المؤسسين للمعهد الأوربي للعلوم الإنسانية في فرنسا.

*- من الدعاة والمفكرين الناشطين في العالم الإسلامي وله الكثير من المحاضرات والدروس في المنتديات والمؤتمرات في العالم العربي وأوربا.

*- حصل على جائزة تقديرية من الندوة العالمية للشباب الإسلامي في المملكة العربية السعودية لدوره في حقل الدعوة الإسلامية في أوربا.

*- له الكثير من المؤلفات منها:
١-تيسير فقة العبادات.
٢-دراسات حول الربا والمصارف والبنوك .
٣-الإسلام و الرق.
٤- أحكام المواريث : دراسة مقارنة.
٥- الأسس الشرعية للعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين.
٦- نظام التأمين وموقف الشريعة منه.

الدكتور / كمال توفيق الهلباوي في سطور

*- من مواليد كفر البتانون-شبين الكوم-جمهورية مصر العربية ١٩٤٩م.

*-يعمل باحثاً وكاتباً في القضايا الفكرية والسياسية والاستراتيجية.

*- تخرج من كلية الأداب سنة ١٩٦٠م في مصر .

*- حصل على شهادة في إدارة الأعمال والترجمة من الجامعة الامريكية بالقاهرة سنة ١٩٧١م.

*-حصل علي درجة الدكتوراة من باكستان سنة ١٩٩٣م

*- عمل باحثاً في الجهاز المركزي للتدريب في مصر من سنة ١٩٦٠-١٩٧٠م.

*- عمل مديراً تنفيذياً للندوة العالمية للشباب الإسلامي في المملكة العربية السعودية من ١٩٧٤-١٩٨٢م.

*- شغل منصب مستشار لمعهد الدراسات السياسية في إسلام أباد- باكستان من ١٩٨٨-١٩٩٤م.

*-ترأس تحرير مجلة "قضايا دولية "من :١٩٩٠-١٩٩٤م.

*- مـــن مؤلفـاته:

١- السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط.

٢-الاستراتيجيات الدولية في القضية الأفغانية.

٣-دور الشباب المسلم في بناء المستقبل.

*-له مئات المقالات والمحاضرات والبحوث في مختلف القضايا السياسية والاستراتيجية والاجتماعية.

*- قام بترجمة كتاب (الحلال والحرام) للشيخ الدكتور / يوسف القرضاوي قبل أكثر من عشرين سنة.

الأستاذ / مصطفي محمد الطحان
في سطور

*- من مواليد لبنان سنة ١٩٤٠م.
*- يعمل حالياً أميناً عاماً لاتحاد المنظمات الطلابية.
*- حصل على الماجستير في الهندسة الكهربائية.
*- كان أميناً عاماً للاتحاد الإسلامي العالمى للمنظمات الطلابية سنة ١٩٨٠
*-عضو مؤسس للندوة العالمية للشباب الإسلامي في الرياض بالمملكة العربية السعودية.

له الكثير من المؤلفات نذكر منها:

١-الفكر الحركي بين الأصالة والانحراف.
٢-نظرات في واقع المسلمين السياسي .
٣-القيادة في العمل الإسلامي.
٤-في التدريب التربوي.
٥- حاضر العالم الإسلامي.
٦-فلسطين والمؤامرة الكبرى.
٧-مستقبل الإسلام في القوقاز وبلاد ماوراء النهر.
٨- دور الشباب المسلم في إعادة بناء الأمة.
٩-النظام الإسلامي منهج متفرد.
١٠-رد على كتاب "أيات شيطانية" .
١١-شخصية المسلم المعاصر.
١٢-الصراع الحضاري ودور الشباب المسلم.
١٣-كيف نعالج المجاعة في افريقيا : الظاهرة والحل.
١٤-المرأة في موكب الدعوة.
١٥- الحركة الإسلامية تواجه التحديات.
١٦-العولمة.
١٧- التربية ودورها في تعديل السلوك.
١٨- الحركة الإسلامية في تركيا.

سلسلة ذخائر الجمعية

[illegible]

- [illegible]

فضيلة الشيخ الدكتور / يوسف القرضاوي

- [illegible]

الدكتور أحمد جاب الله

- [illegible]

الأستاذ / أحمد الراوي

- [illegible]

الشيخ راشد الغنوشي

- [illegible]

الشيخ / عبدالله الجديع

- [illegible]

الدكتور / عزام التميمي

- [illegible] الدكتور / عصام البشير

- [illegible]

الشيخ / فيصل مولوي

- [illegible]

الدكتور / كمال الهلباوي

- الإسلام يكرم الإنسان لأنه إنسان بغض النظر عن لونه أو جنسه أو دينه، ويطالب المسلمين بأن [illegible] الأستاذ / مصطفى الطحان